حال المسرح العربي

ص13.12.11

محمد صلاح من نجم كرة قدم إلى ظاهرة اجتماعية

ص22

صورة جديدة لوجوه قديمة في انتخابات العراق

ص4

العرب

www.alarab.co.uk

أول صحيفة عربية يومية تأسست في لندن 1977

الأحد 2018/04/29

13 شعبان 1439

السنة 40 العدد 10974

Sunday 29/04/2018

40th Year, Issue 10974

حراك دولي ضاغط على أذرع إيران في اليمن

● استهداف القيادات لإجبار الحوثيين على الانخراط في الحل السياسي

تطويق إيران على رأس أولويات بومبيو

صالح البيضاني

❑ **صنعاء** – تظهر زيارة وزير الخارجية الأميركي الجديد مايك بومبيو إلى الرياض أن تطويق التهديد الإيراني لأمن المنطقة سيكون أولوية للدبلوماسية الأميركية في المرحلة المقبلة، وأن من ملامح ذلك الضغط على أذرع إيران خاصة في اليمن، وهو ما عكسه تزامن الزيارة مع تصعيد نوعي من القوى اليمنية المدعومة من التحالف العربي لعملياتها في عدة جبهات، وخاصة استهداف قيادات حوثية نوعية لإجبار الجماعة على القبول بانتقال سياسي جدي.

وتعتقد مصادر يمنية أن زيارة بومبيو تبعث برسالة قوية عن أن أولى خطوات محاصرة إيران هو الدعم الأميركي للسعودية في مواجهة الحوثيين.

وصعد التحالف العربي لدعم الشرعية في اليمن من وتيرة الاستهداف لقيادات ومراكز الجماعة الحوثية في صنعاء بالتزامن مع التحركات السياسية الدولية في المنطقة.

ونقلت مصادر إعلامية من صنعاء تعرض عدد من المؤسسات الأمنية والعسكرية الخاضعة لسلطة الحوثيين لسلسلة من الغارات يعتقد أنها استهدفت قيادات أمنية بارزة أثناء عقد اجتماعات تحضيرا لتشييع جنازة رئيس ما يسمى بالمجلس السياسي الأعلى صالح الصماد.

وأرجعت أوساط يمنية أسباب التحول النوعي في عمليات التحالف العربي إلى عدة أسباب من بينها تفهم المجتمع الدولي لضرورة حسم المعركة في اليمن وكسر الميليشيات الحوثية تمهيدا للانخراط في أي عملية سلام، وهو الأمر الذي ساهمت في تعزيزه زيارة ولي العهد السعودي الأمير محمد بن سلمان إلى واشنطن وعدد من العواصم الغربية الأخرى.

وتوقعت المصادر عودة التنسيق العسكري الأميركي مع التحالف والذي تقلص إلى درجة غير مسبوقة عقب إقدام الإدارة الأميركية السابقة على سحب عدد من مستشاريها وخبرائها العسكريين العاملين في مقر قيادة التحالف العربي.

ولفتت المصادر إلى بروز تحولات مهمة على صعيد التقنيات العسكرية التي استخدمها التحالف العربي في قصف موكب الصماد وهو ما زاد في إرباك قيادات أنصارالله، حيث كشف التسجيل الذي بثه التحالف العربي لعملية تتبع ورصد الموكب عن تطور تقني مهم على ارتباط بخدمات الأقمار الاصطناعية التي يبدو أن بعضها بات تحت تصرف التحالف، مع ظهور مؤشرات على استخدام طائرات دون طيار للمرة الأولى.

ولفتت المصادر إلى دخول عامل إضافي على خط المواجهات سيفاقم خسائر الحوثيين على مستوى القيادات، بعد انضمام أنصار الرئيس اليمني السابق علي عبدالله صالح إلى خارطة الحرب ضد الحوثيين بقيادة العميد طارق صالح ومشاركة الآلاف من ضباط وجنود الحرس الجمهوري السابق.

مهدي المشاط خليفة الصماد الذي يقود جماعته إلى آخر المواجهات

ص8

مجلس الأمن يكبح جماح البوليساريو في المنطقة العازلة

محمد بن امحمد العلوي

❑ **الرباط** – بعد ترقب ساد طيلة شهر أبريل الجاري صوت مجلس الأمن، مساء الجمعة، لفائدة مشروع قرار تقدمت به الولايات المتحدة يكبح جماح البوليساريو ومن ورائها الجزائر في المنطقة العازلة، ويحث على بدء "مفاوضات دون شروط مسبقة"، ويمدد مهمة بعثة مراقبة وقف إطلاق النار (المينورسو) ستة أشهر فقط.

وعبّر مجلس الأمن في قراره مجددا عن "قلقه من وجود البوليساريو في الكركرات بالمنطقة العازلة" في جنوب غرب الصحراء المغربية، داعيا إياها "إلى الانسحاب الفوري" وعدم نقل مكاتبها إلى بير لحلو.

وقد أشاد وزير الخارجية المغربي ناصر بوريطة بالمضمون الإيجابي للقرار، معتبرا أنه يعد ثمرة لجهود العاهل المغربي الملك محمد السادس من أجل التصدي لكل المحاولات اليائسة التي تستهدف المصالح العليا للمملكة، ونتيجة للتعبئة القوية من أجل الدفاع عن الوحدة الترابية للمغرب.

وأعرب مجلس الأمن عن قلقه إزاء إعلان البوليساريو عن نقل بعض ما يسمى بـ"منشآت إدارية" إلى بير لحلو، شرق الشريط العازل مطالبا إياها بالامتناع عن مثل هذه الأفعال المزعزعة للاستقرار، والانسحاب من الكركرات. كما أبدى قلقه إزاء انتهاكات الاتفاقات القائمة، داعيا الأطراف إلى احترام التزاماتها ذات الصلة والامتناع عن أي عمل من شأنه زعزعة استقرار الوضع.

وجاء القرار حسب وزير الخارجية المغربي مرتبطا بالانتهاكات المتعددة لوقف إطلاق النار من قبل البوليساريو، بتشجيع من الجزائر، وبالمحاولات المتعددة لتغيير النظام القانوني والتاريخي للمنطقة الواقعة شرق المنظومة الدفاعية، وكذلك بالتحديات المتكررة لسلطة مجلس الأمن والشرعية الدولية.

ويعتقد مراقبون أن القرار الأممي يعكس ميلا دوليا واضحا للمقاربة المغربية في قضية الصحراء، وأن ذلك يأتي امتدادا لجهود متنوعة قادتها الدبلوماسية المغربية خلال السنوات الأخيرة، موظفة الاستثمارات الاقتصادية والانفتاح على المحيط الأفريقي للرباط.

وقال صبري الحو، الخبير في القانون الدولي والهجرة ونزاع الصحراء لـ"العرب"، إن مطالبة مجلس الأمن بإخلاء المنطقة العازلة والانسحاب من منطقة الكركرات تشكل استجابة للتنبيه المغربي، وجوابا بالنفي على محاولة البوليساريو إعادة تأويل اتفاق وقف إطلاق النار وملحقه العسكري في محاولة للإيهام بكونه ينسحب فقط على العناصر العسكرية وليس المدنية.

وأضاف صبري الحو أن موقف مجلس الأمن يشرعن مغربية المنطقة من خلال عدم مساسه بحق المملكة في استغلال ممر الكركرات، كما يجيب القرار على طلب الرباط رفض أي تغيير في الوضع القائم في المنطقة.

وقرر مجلس الأمن تمديد مهمة بعثة المينورسو إلى غاية 31 أكتوبر 2018، معربا عن قلقه لتواجد جبهة البوليساريو في المنطقة العازلة بالكركرات داعيا إلى انسحابها الفوري من المنطقة التي تقع في المنطقة العازلة.

ولفت سعيد الصديقي، أستاذ العلاقات الدولية بجامعة العين للعلوم والتكنولوجيا بأبوظبي، في تصريح لـ"العرب"، إلى أن هذا القرار لا يختلف في مضمونه عن قرار السنة الماضية، باستثناء تجديد ولاية البعثة لمدة ستة أشهر موضحا أن مجلس الأمن اعتاد منذ 10 سنوات تمديد مهمة البعثة الدولية لعام كامل نظرا لوجود نوع من الاستقرار النسبي للوضع في المنطقة، والعودة إلى مدة ستة أشهر هي وسيلة للضغط لأجل العودة إلى المفاوضات المباشرة.

وامتنعت كل من روسيا والصين وإثيوبيا، عن التصويت فيما حظي مشروع القرار الذي تقدمت به الولايات المتحدة الأميركية بتأييد 12 عضوا. وفي هذا الصدد قال صديقي إنه ورغم صعوبة معرفة الدوافع الحقيقية لامتناع كل من روسيا والصين عن التصويت لا سيما وأن القرار كان متوازنا إلى حد كبير، فإن موقف الدولتين لا يؤشر إلى وجود أي توجه لصراع النفوذ بين القوى الدولية الكبرى في المنطقة.

ويعتقد صبري الحو أن امتناع إثيوبيا عن التصويت على القرار دليل على أن سياسة المغرب الجديدة في أفريقيا وحجم الاستثمارات الاقتصادية المغربية في إثيوبيا بدأ يثمران عائدات سياسية تجاه قضية الصحراء، وأن أديس أبابا لم تعد تصطف إلى جانب الجزائر والبوليساريو.

وفي الوقت الذي لم يحدد القرار جدولا زمنيا لإعادة إطلاق المفاوضات بين الأطراف المعنية شدد مجلس الأمن على أهمية تجديد التزام تلك الأطراف بالمضي قدما في العملية السياسية استعدادا لجولة خامسة في إطار من الواقعية وروح التسوية، داعيا الأطراف إلى التحلي بالإرادة السياسية والعمل في بيئة مواتية للحوار من أجل التوصل إلى حل سياسي عادل ودائم ومقبول.

ضغوط أردوغان تحول دون رغبة غول في المنافسة على الانتخابات المبكرة

● تهديدات مبطنة للرئيس التركي السابق وقيادات من العدالة والتنمية بمصير مشابه لفتح الله غولن وأنصاره

❑ **أنقرة** – قالت أوساط تركية مطّلعة إن ضغوطا مورست على الرئيس التركي السابق عبدالله غول كانت وراء تراجعه عن الترشح للانتخابات القادمة كمنافس للرئيس الحالي رجب طيب أردوغان، كاشفة عن أن الأخير أرسل إلى غول شخصيات من حزب العدالة والتنمية لتحذيره من مغبة تقديم ترشحه والنتائج التي قد تترتب عن ذلك.

وذكرت المصادر لـ"العرب" أن غول تلقى تحذيرا من مصير مشابه لفتح الله غولن الذي أدى اختلافه مع أردوغان إلى حملة واسعة لاعتقال الآلاف من أنصاره ومحاكمته. وكشفت المصادر عن أن التهديد المبطن طال أيضا قيادات من حزب العدالة والتنمية لم يخفوا دعمهم لترشح غول، وأنه تم التلميح باستهداف المزايا التي حصلوا عليها والوظائف التي يشغلونها في الحزب أو في الدولة، فضلا عن فتح باب التقصّي القضائي في ما يخص ممتلكاتهم.

وتحدثت تقارير في وسائل الإعلام التركية عن ضغوط على غول ودائرته الداخلية لعدم الترشح.

وأعلن غول، السبت، أنه لن يترشح للانتخابات المبكرة في يونيو المقبل لعدم تمكنه من حمل المعارضة على الالتفاف حوله.

وقال خلال مؤتمر صحافي في إسطنبول "لم يعد من الوارد الدخول في آلية من أجل ترشحي"، مبررا هذا القرار بعدم وجود "توافق واسع النطاق" عليه. وأكد أنه لو تم مثل هذا التوافق لكان "تحمل مسؤولياته".

ومن دون أن يذكر أردوغان بالاسم، ندد غول بـ"أجواء الاستقطاب" السائدة في تركيا، وشدد على أهمية "الفصل بين السلطات والحقوق والحريات".

وأشارت أوساط تركية إلى أن التهديدات وُجّهت أيضا إلى أحمد داود أوغلو، وزير الخارجية السابق، وأحد أبرز معارضي أردوغان في حزب العدالة والتنمية، ما دفعه إلى الظهور الإعلامي بشكل غير متوقع ليعلن عدم ترشحه للرئاسة أو للبرلمان، منحيا باللائمة على غول لكونه لم يعلن بصراحة "إنني في خدمة حزبي"، والمقصود قيادة العدالة والتنمية وبالذات أردوغان.

ونقلت وكالة الأناضول التركية تأكيد داود أوغلو أنه لا ينوي التخلي عن هوية العدالة والتنمية، مشيرا أنّ ترشيح أردوغان لمنصب رئاسة البلاد هو قرار الحزب بالإجماع.

كما أشار داود أوغلو أنه لن يترشح للانتخابات البرلمانية القادمة التي ستجري بالتزامن مع الانتخابات الرئاسية في 24 يونيو المقبل.

وساهم غول مع أردوغان في تأسيس حزب العدالة والتنمية عام 2001 وكان وزير خارجية في عهد رئاسة أردوغان بين 2003 و2007 قبل أن يصبح رئيسا حتى 2014.

وبدأت الخلافات تظهر بينهما خلال رئاسة غول، غير أنه حرص على الدوام على عدم انتقاد أردوغان بشكل مباشر.

ويقول محللون إن غول وداود أوغلو يعرفان جيدا أن مواجهة أردوغان على المناصب ستدفع به إلى تجميد نشاطهما في الحزب بالتزامن مع حملة شيطنة وتشويه واتهام بخدمة أجندات خارجية، ومن ثمة يسهل التخلص منهما كقوة منافسة داخل الحزب أو في محيطه المحافظ.

ويقول أحمد سيفر، أبرز مستشاري غول إبان ولايته، إن الرئيس السابق كان يريد العودة إلى السياسة في الخطوط الأمامية بعد انتهاء ولايته. لكنه لم يفعل ذلك لسبب واحد، وهو رجب طيب أردوغان. وينقل عن غول قوله "طيب بيك سيعارض ذلك". ويضيف "سيؤدي ذلك إلى نزاع بيننا لن يكون مفيدا للبلاد. لا يستطيع بهلوانيان اللعب على الحبل ذاته".

ويشير المحللون إلى أن أردوغان لا يفرّق بين قيادات العدالة والتنمية أو أي شخصية أخرى منافسة، وأنه يعتقد أن المختلفين معه هم أعداؤه الشخصيون.

وقد أشار أردوغان في كلمة ألقاها، الجمعة، خلال اجتماع موسع مع رؤساء فروع حزب العدالة والتنمية الحاكم بالمحافظات التركية، بالعاصمة أنقرة، بلهجة عدائية لبعض أحزاب المعارضة قائلا، إنّهم "يستنفرون جميع قواهم ليس من أجل تولي السلطة في تركيا وإدارتها، إنما لإظهار عدائهم لشخصي ولحزب العدالة والتنمية".

ليبيا 1 دينار – السعودية 2 ريال – مصر 3 جنيه مصري – موريتانيا 120 أوقية – تونس 900 مليم – المغرب 3 دراهم – الجزائر 7 دينار – البحرين 200 فلس – اليمن 50 ريالا – الكويت 150 فلسا – الإمارات 2 درهم – عمان 200 بيزا – قطر 2 ريال – العراق 2000 دينار – الأردن 500 فلس – سوريا 150 ليرة – السودان 50 دينارا

AUSTRIA 2 € - BELGIUM 2 € - CYPRUS 2 € - FRANCE 2 € - GERMANY 2 € - GREECE 2 € - ITALY 2 € - TURKEY 2.350.000 TL (YTL2.35) - MALTA 2 € - NETHERLANDS 2 € - SPAIN 2 € - SWEDEN 13 KR - SWITZERLAND 3SF - USA $ 1 - UK £ 1

لأول مرة في تونس رجال الأمن والجيش ينتخبون

هيئة الانتخابات تتخذ إجراءات خاصة لحماية رجال الأمن والعسكريين

يستعد رجال الأمن والعسكريون في تونس للإدلاء بأصواتهم لأول مرة في انتخابات عامة، إذ يشاركون في الاقتراع للانتخابات البلدية الأحد وسط دعوات مقاطعة وأصوات رافضة لها. واتخذت الهيئة العليا للانتخابات إجراءات استثنائية لضمان سلامة عناصر قوات الأمن والجيش يوم الاقتراع، كما دعتهم إلى المشاركة بكثافة في هذا الاستحقاق المحلي الأول الذي تنظمه تونس منذ العام 2011.

❑ **تونس** – دعا رئيس الهيئة العليا المستقلة للانتخابات محمد التليلي المنصري، السبت، جميع رجال الأمن والعسكريين إلى المشاركة بكثافة في الانتخابات البلدية التي تجري الأحد.

وأكد التليلي المنصري، خلال ندوة صحافية نظمتها الهيئة، أن هيئة الانتخابات "جاهزة كما يجب لتأمين عملية اقتراع رجال الأمن والعسكريين وحماية معطياتهم الشخصية".

وبين أنه تم اتخاذ إجراءات خاصة لحماية العناصر الأمنية والعسكرية، من ضمنها تخصيص يوم اقتراع خاص بهم وعدم استعمال الحبر الانتخابي كي لا تكشف هوياتهم. كما لن يتم تعليق قوائم الناخبين أمام مراكز الاقتراع، بالإضافة إلى أنه لن يقع فرز أصوات رجال الأمن والعسكريين في 29 أبريل وإنما سيتم تأمينها في صناديق الاقتراع لخلطها مع أصوات المدنيين في 6 مايو الجاري.

ويدلي رجال الأمن والجيش في تونس للمرة الأولى بأصواتهم في الانتخابات في تونس، حيث يشارك في الانتخابات البلدية الأولى التي تنظمها تونس منذ سقوط النظام السابق 36 ألفا و495 عنصرا من رجال الأمن والعسكريين بحسب سجلات هيئة الانتخابات.

وخصصت هيئة الانتخابات 350 مركز اقتراع لعملية تصويت رجال الأمن والعسكريين في الانتخابات البلدية.

وتأتي دعوة رئيس الهيئة رجال الأمن والعسكريين إلى المشاركة بكثافة في الانتخابات البلدية، بعد أن علت أصوات البعض من نقابات الأمن في تونس تنادي

> الهيئة العليا المستقلة للانتخابات تؤكد استعدادها التام لتأمين عملية اقتراع رجال الأمن والعسكريين وحماية معطياتهم الشخصية

انتخابات استثنائية

بمقاطعة هذا الاستحقاق بدعوى أنه يتعارض مع ضرورة أن يحافظ رجل الأمن أو العسكري على حياده وحماية المواطنين.

وفي مناسبات عديدة، أعلنت نقابة قوات الأمن الداخلي أنها تتمسك بقرارها الرافض للمشاركة في الانتخابات البلدية. وقال كاتب عام النقابة شكري حمادة إن النصوص القانونية التي تمكن رجال الأمن والعسكريين من التصويت في الانتخابات لم تمنحهم حق الانتخاب كحق دستوري، معتبرا أن من وضعوا القانون الانتخابي كان هدفهم "الحصول على أصوات رجال الأمن والعسكريين فقط".

وتطالب النقابة التونسية لقوات الأمن الداخلي بحق رجال الأمن والعسكريين في المشاركة الفعلية في العملية الانتخابية لممارسة حقهم الانتخابي.

في المقابل يعارض اتحاد نقابات قوات الأمن التونسي، الذي يضم العديد من النقابات الأمنية، دعوات مقاطعة الانتخابات البلدية إذ يراها محاولات تهدف "إلى التشويش على العملية الانتخابية وعلى رجال الأمن".

وقال عماد بالحاج خليفة، الأمين العام لاتحاد نقابات قوات الأمن التونسي، إن "انتخاب رجال الأمن لأول مرة منذ حوالي 60 سنة يعتبر عملية تاريخية". وشدد على أن اتحاد نقابات قوات الأمن والجبهة الوطنية للنقابات الأمنية، التي تضم 9 نقابات أمنية، متفقان على إنجاح الانتخابات البلدية.

وأوضح بالحاج خليفة "نريد بناء أمن ديمقراطي وجمهوري، فنحن ندفع الضرائب وسنختار من سيمثلنا في المجالس البلدية لنعرف لمن ندفع هذه الضرائب".

ومطلع العام الماضي، صادق البرلمان التونسي على تعديل قانون الانتخابات أعطى بموجبه قوات الجيش والأمن التي لم يسبق لها الاقتراع منذ الاستقلال حق التصويت في الانتخابات البلدية والمحلية مستثنيا الانتخابات الرئاسية والتشريعية.

وحظر القانون على هذه القوات الترشح للانتخابات البلدية أو المشاركة في الحملات الانتخابية وكل نشاط له علاقة بالانتخابات. وينص القانون على عزل رجل الأمن أو العسكري الذي يخالف هذا القانون.

وتعطل النقاش حول قانون الانتخابات البلدية لأشهر بسبب الخلافات بين مؤيدين ورافضين لحق التصويت للقوات الحاملة للسلاح، ليتحول الخلاف إلى أزمة سياسية مما فاقم المشكلات المتسببة في تأخر إجراء الانتخابات البلدية.

وتعطل تعديل قانون الانتخابات والاستفتاء منذ منتصف 2016 بسبب رفض حركة النهضة الإسلامية صاحبة أغلبية المقاعد في البرلمان إعطاء قوات الأمن والجيش حق التصويت في الانتخابات البلدية والمحلية بحجة أن ذلك قد يؤثر على حيادها. لكن ملاحظين يقولون إن النهضة رفضت منح رجال الأمن حق التصويت لأنها ليست متأكدة من احتمال كسب أصواتهم لصالحها في الانتخابات.

ولا ينص الدستور التونسي على منح قوات الجيش والأمن حق التصويت في الانتخابات. وأكد على أن الأمن والجيش مؤسستان "جمهوريتان" تلتزمان "الحياد التام". ويبلغ عدد قوات الأمن في تونس نحو 75 ألفا، وعدد قوات الجيش 60 ألفا باعتبار الاحتياط.

وكانت الحكومة قد تقدمت بمبادرة السماح لرجال الأمن والعسكريين بالتصويت في الانتخابات، معتبرة أن منحهم هذا الحق لا يعني مشاركتهم في الحياة السياسية ولا يؤثر على حياد المؤسستين الأمنية والعسكرية.

اجتماع للمجموعة الرباعية حول ليبيا الاثنين

❑ **القاهرة** – تستضيف الجامعة العربية، الاثنين، اجتماعا للمجموعة الرباعية حول ليبيا بمشاركة فيديريكا موغريني الممثلة العليا للاتحاد الأوروبي للشؤون الخارجية والسياسة الأمنية، وغسان سلامة رئيس بعثة الدعم الأممية في ليبيا، وبيير بويويا رئيس بوروندي الأسبق والممثل الأعلى للاتحاد الأفريقي إلى مالي والساحل.

وقال محمود عفيفي المتحدث الرسمي باسم الأمين العام للجامعة العربية، في بيان صحافي السبت، إن الاجتماع يأتي في سياق التزام الجامعة والاتحادين الأفريقي والأوروبي والأمم المتحدة بمواصلة تعاونها والتنسيق الوثيق القائم في ما بينها دعما للعملية السياسية في ليبيا ومن أجل مرافقة الأشقاء الليبيين للوصول إلى إتمام الاستحقاقات الدستورية والانتخابية المقررة بموجب الاتفاق السياسي الليبي الموقع في الصخيرات.

وتم توقيع الاتفاق السياسي الليبي في مدينة الصخيرات المغربية في ديسمبر من العام 2015، وبموجبه تم تعيين حكومة الوفاق برئاسة فائز السراج (سلطة تنفيذية) والمجلس الأعلى للدولة (هيئة استشارية) ومجلس النواب (سلطة تشريعية).

وأشار المتحدث إلى أن المجموعة ستبحث في آخر المستجدات الأمنية والسياسية على الساحة الليبية منذ انعقاد الاجتماع الأخير للمجموعة في نيويورك في سبتمبر الماضي.

وبحسب المتحدث، يستعرض المشاركون التقدم المحرز في سبيل تنفيذ خطة العمل، التي أطلقتها الأمم المتحدة لحلحلة العملية السياسية والتي تتأسس على التنفيذ التوافقي للنقاط الخلافية في اتفاق الصخيرات، وعقد ملتقى وطني جامع يساهم في دفع الوحدة والمصالحة الوطنية بين الليبيين، وعقد استفتاء دستوري وانتخابات تشريعية ورئاسية.

وأضاف أن المجموعة الرباعية سوف تتفق على جملة من الخطوات المشتركة التي تهدف إلى تشجيع الأطراف الليبية على تحمل مسؤولياتها والمضي قدما في مسار استكمال عملية الانتقال السياسي في البلاد، بما في ذلك في مجال مساندة ومراقبة العملية الانتخابية المرتقبة، استجابة لأي طلب يمكن أن تتلقاه من السلطات الليبية.

ومساء الجمعة، وصل إلى القاهرة المبعوث الأممي بشأن ليبيا في زيارة لمصر تستغرق ثلاثة أيام، يبحث خلالها آخر التطورات على الساحة الليبية وسبل التوصل إلى حل سياسي للأزمة الليبية.

وقالت مصادر مطلعة لوكالة الأنباء الألمانية إن المبعوث الأممي "سيلتقي خلال زيارته مع عدد من كبار المسؤولين والشخصيات في مصر وجامعة الدول العربية من بينها وزير الخارجية المصري سامح شكري وأحمد أبوالغيط أمين عام جامعة الدول العربية، وذلك لبحث آخر التطورات على الساحة الليبية وسبل التوصل إلى حل سياسي للأزمة الليبية بما يحقق سلامة ووحدة الأراضي الليبية.

أعضاء من المجلس الوطني الفلسطيني يطالبون بتأجيله لكثرة المقاطعين

❑ **رام الله** – أعلن مسؤول فلسطيني، السبت، أن أكثر من مئة عضو في المجلس الوطني الفلسطيني طالبوا الرئيس محمود عباس بتأجيل عقد اجتماع المجلس المقرر الاثنين في رام الله حتى تحقيق الوحدة الفلسطينية.

وستكون هذه الجلسة، في حال تم عقدها، الأولى منذ سنوات للمجلس الذي يمثل الفلسطينيين في الداخل والشتات.

وقال نائب رئيس المجلس الوطني الفلسطيني حسن خريشة، في رسالة بعث بها إلى عباس ووزعها في مؤتمر صحافي السبت، "باسمي وباسم 114 عضوا في المجلس الوطني نؤكد أهمية انعقاد المجلس لكن ذلك لن يكون ذا قيمة إلا بحضور الكل الوطني الفلسطيني".

ووقع 114 عضوا في المجلس الوطني عريضة توجهوا بها إلى رئيسه سليم الزعنون يطالبون فيها بتأجيل الاجتماع المقرر عقده الاثنين في رام الله في الضفة الغربية المحتلة.

وجاء في العريضة "درءا للأخطار المحدقة بقضيتنا الفلسطينية، وحرصا منا على لم الشمل الفلسطيني بعيدا عن التمزق والانقسام، فإننا نتوجه إليكم نحن الأعضاء في المجلس الوطني الفلسطيني بضرورة تأجيل عقد جلسة المجلس في دورته الثالثة والعشرين، والتي تم إرسال دعوات من قبلكم لعقدها في رام الله".

ووقع العريضة 87 نائبا في المجلس التشريعي وشخصيات سياسية مستقلة وأخرى تمثل فصائل فلسطينية مختلفة.

وفي السابع من مارس، ذكرت وسائل إعلام رسمية فلسطينية أن المجلس الوطني سيجتمع آخر أبريل وسط مقاطعة فصائل أهمها حركتا حماس والجهاد الإسلامي والجبهة الشعبية لتحرير فلسطين، على أن تعلن الجبهة الديمقراطية موقفها الاثنين.

وقال عضو المجلس الوطني راسم عبيات، وهو أحد موقعي العريضة من مدينة القدس، السبت "لا يجوز عقد دورة المجلس بعقلية شاء من شاء وأبى من أبى".

ومن المتوقع أن يتم خلال هذه الجلسة في حال انعقادها انتخاب أعضاء اللجنة التنفيذية لمنظمة التحرير الفلسطينية.

وكانت حركة فتح التي تقود السلطة الفلسطينية قد أعلنت في وقت سابق ترشيح كل من الرئيس محمود عباس وأمين سر منظمة التحرير الفلسطينية صائب عريقات ورئيس كتلة فتح البرلمانية عزام الأحمد لعضوية اللجنة التنفيذية.

وعقد المجلس الوطني آخر جلساته العادية العام 1996 لكنه عقد جلسة طارئة العام 2009. ويعتبر المجلس الذي يضم أكثر من 700 عضو بمثابة برلمان لمنظمة التحرير الفلسطينية.

وتفاقم التصدع والتشتت داخل منظمة التحرير الفلسطينية، منذ فترة، في ظل غياب التوافق على عقد المجلس الوطني الفلسطيني. وتستغل هذا الأمر البعض من القوى وعلى رأسها حركة حماس للتشكيك في القرارات التي من الممكن أن يتخذها المجلس وأيضا لضرب السلطة القائمة.

ويقول مراقبون إن عقد المجلس الوطني "بمن حضر" أو اعتماد سياسة الإقصاء لشخصيات وقوى وتعويضها بأخرى محسوبة على السلطة التي تتمحور في شخص الرئيس عباس بالتأكيد لا يصب في صالح الإجماع الفلسطيني، وقد يشكل مدخلا لضرب شرعية القرارات التي من الممكن أن يتخذها المجلس وبينها حل المجلس التشريعي الذي تترأسه حماس.

وينعقد المجلس الوطني في ظرفية بالغة التعقيد في ظل فشل جهود المصالحة جراء رفض حماس تقديم أي تنازلات ومحاولتها الإبقاء على هيمنتها على قطاع غزة بما يخدم المشروع الإسرائيلي القائم على فصل القطاع عن الضفة الغربية، إلى جانب تبني عباس خيار الإجراءات العقابية ضد قطاع غزة. كما يأتي انعقاد المجلس مع اقتراب موعد نقل السفارة الأميركية إلى القدس، ما يعني تكريس القدس عاصمة لإسرائيل كأمر واقع.

ويرى مراقبون أن السلطة التي يترأسها محمود عباس يقع على عاتقها الجزء الأكبر من حالة الانقسام التي تشهدها منظمة التحرير، حيث أنها وبدل السعي إلى تحقيق الوفاق بين مكونات المنظمة تعمد إلى تبني سياسات انفرادية للتحكم في المشهد العام الفلسطيني دون أن تبدي الوعي الكافي بأن ما تقوم به يخصم من رصيدها الكثير على المستوى الشعبي والسياسي.

ويشير هؤلاء إلى أن حركة حماس نجحت نسبيا في استغلال أسلوب تعاطي السلطة مع مكونات منظمة التحرير والانقسام الدائر حول المجلس الوطني، لشق صف المنظمة.

وتأمل حماس في تكريس هذا الواقع، متطلعة إلى تشكيل جسم موازٍ لمنظمة التحرير الفلسطينية، بيد أن مراقبين يستبعدون فعليا نجاحها في تحقيق هذا الهدف، وربما المسألة الوحيدة التي قد تحقق فيها نجاحا هي تكريس فصل الضفة عن غزة، وهي تلاقي في ذلك دعما من تركيا وقطر وإيران.

> التصدع داخل منظمة التحرير الفلسطينية يفاقمه غياب التوافق على عقد المجلس الوطني الفلسطيني، وهو أمر يخدم مصلحة حماس

وكانت كتلة حماس البرلمانية قد اعتبرت، الخميس، أن اجتماعات المجلس الوطني لمنظمة التحرير الفلسطينية المقررة الأسبوع المقبل "بلا قيمة قانونية".

وعقدت الكتلة اجتماعا لنوابها في مقر المجلس التشريعي في غزة لبحث انعقاد اجتماعات المجلس الوطني. وخلصت مداخلات نواب حماس إلى أن انعقاد المجلس الوطني في رام الله الاثنين "يشكل خروجا عن الإجماع الوطني وكل ما سيخرج عنها غير شرعي وبلا قيمة قانونية".

وقال رئيس الكتلة القيادي البارز في حماس محمود الزهار، خلال الاجتماع، إن "المجلس الوطني وجلسته القادمة لا شرعية لهما، ولن نلتزم بأي قرارات تصدر عن اجتماعات رام الله".

في الوقت الذي بدأت القضية الفلسطينية تسترجع قدرا من مكانتها العربية وهو ما تُرجم في قمة "الظهران"، تواجه مصر التي تقود جهود وساطة بين الفصائل الفلسطينية أزمة معقدة بتمسك فتح وحماس في السير بعيدا عن المصالحة، فالأولى تركز جهودها على عقد المجلس الوطني في موعده، والثانية تراهن على كسب الوقت كسلطة أمر واقع.

المطلوب حضور جميع الفصائل

عملية عسكرية جديدة للجيش اليمني ضد تنظيم القاعدة

«الجبال السود» تبدأ في حضرموت بدعم من قوات التحالف العربي

بدأ الجيش اليمني مدعوما من قوات التحالف العربي الداعمة للشرعية في البلاد عملية عسكرية جديدة أطلق عليها تسمية "الجبال السود" بهدف ملاحقة العناصر المسلحة التابعة لتنظيم القاعدة في شمال محافظة حضرموت شرقي اليمن. وتتزامن هذه العملية مع الذكرى الثانية لتحرير مدينة المكلا ومديريات ساحل حضرموت من تنظيم القاعدة، الذي ظل يسيطر عليها أكثر من عام.

❏ **حضرموت (اليمن)** – أعلن الجيش اليمني، السبت، عن إطلاق عملية عسكرية بدعم من التحالف العربي الداعم للشرعية في البلاد، لملاحقة مسلحي تنظيم القاعدة في المناطق الشمالية بمحافظة حضرموت شرقي البلاد.

وجاء ذلك في بيان صادر عن الناطق باسم المنطقة العسكرية الثانية بمدينة المكلا عاصمة محافظة حضرموت، هشام الجابري.

وقال الجابري إن العملية التي تنفذها قوات المنطقة الثانية، بدعم من قوات التحالف العربي الداعم للشرعية، تحمل اسم "الجبال السود"، في إشارة إلى الطبيعة الجبلية للمناطق المستهدفة. وأضاف أن قوات الجيش اليمني نفذت انتشارا واسعا وكبيرا في المناطق الشمالية لمحافظة حضرموت في "الحيسر، وقارة الفرس، والضليعة ولبنه".

وأشار إلى أن "العملية جاءت عقب رصد تجمعات وتحركات لعناصر التنظيم الإرهابي في هذه المناطق بعد أن لجأت إليها إثر تطهير مناطق ساحل حضرموت".

ولفت أن "التنظيم استخدم هذه المناطق ممرات له لتنفيذ أعمال إرهابية، آخرها عملية حجر الأخيرة (28 مارس الماضي وقتل فيها 10 جنود)".

وتتزامن العملية مع الذكرى الثانية (24 من أبريل) لتحرير مدينة المكلا ومديريات ساحل حضرموت من تنظيم القاعدة الذي ظل يسيطر عليها أكثر من عام. وتأتي العملية

> العملية العسكرية تأتي بعد حوالي شهرين ونصف من عملية مماثلة شنتها قوات المنطقة الثانية في فبراير ونجحت خلالها في السيطرة على وادي المسيني، أهم معاقل القاعدة غربي المكلا

انتشار واسع

أيضا بعد حوالي شهرين ونصف من عملية مماثلة شنتها قوات المنطقة العسكرية الثانية في منتصف فبراير الماضي، نجحت خلالها في السيطرة على وادي المسيني أهم معاقل تنظيم القاعدة غربي مدينة المكلا.

ومنذ تحرير القوات الحكومية، مدعومة بالتحالف العربي الداعم للشرعية في اليمن، مدينة المكلا عاصمة محافظة حضرموت في أبريل 2016 من مسلحي القاعدة نشط التنظيم في المناطق الغربية الشمالية وشن هجمات على قوات الجيش والأمن خصوصا بمديريتي دوعن والضليعة.

وتعد حضرموت كبرى محافظات اليمن مساحة، إذ تمثل ثلث مساحة البلاد، وتخضع لسيطرة الحكومة اليمنية. وتنقسم إداريا وعسكريا إلى منطقتين هما مدن ساحل حضرموت (12مديرية) وتنتشر فيها قوات المنطقة العسكرية الثانية، أما المنطقة الثانية فهي مدن وادي وصحراء حضرموت (16 مديرية) وتوجد فيها قوات المنطقة العسكرية الأولى.

والأسبوع الماضي، قال مركز التواصل الدولي في السعودية إن القوات المدعومة من التحالف قتلت اثنين من قادة تنظيم القاعدة في اليمن، وذلك في مداهمة بمحافظة أبين بجنوب البلاد. ووصف المركز القتيلين، وهما مراد عبدالله محمد الدوبلي الذي يعرف باسم أبوحمزة البطاني وحسن باصريع، بأنهما من "أخطر قادة" فرع القاعدة في اليمن الذي يعرف باسم تنظيم القاعدة في جزيرة العرب.

ونقل بيان صادر عن المركز التابع لوزارة الثقافة والإعلام السعودية عن مصادر أمنية قولها إن القتيلين سقطا في اشتباك مع قوات تدعمها الإمارات، أحد أهم أعضاء التحالف العربي بقيادة السعودية في اليمن.

ويسعى التنظيم المتشدد لتعزيز وضعه في البلاد، فيستغل الحرب المستمرة منذ ثلاث سنوات بين جماعة الحوثي المتحالفة مع إيران وحكومة الرئيس اليمني عبدربه منصور هادي.

ووضع التحالف العربي الذي تقوده المملكة العربية السعودية ويواجه بشكل رئيسي المتمردين الحوثيين الموالين لإيران، مواجهة باقي التنظيمات الإرهابية في اليمن، ضمن مهامه. وبذل على هذا الصعيد جهودا كبيرة منعت تلك التنظيمات من استغلال واقع الحرب في البلد لإحكام سيطرتها على مناطقه، ولا سيما مناطق الجنوب والشرق، حيث لعبت دولة الإمارات العربية المتحدة دورا محوريا في تدريب وتسليح قوات نخبة محلية كان لها دور حاسم في استعادة مناطق كثيرة من يد تنظيم القاعدة.

ويسجل خبراء الشؤون الأمنية تراجعا كبيرا وانحسارا في أنشطة تنظيم القاعدة، خصوصا بعد خسارته مواقع حيوية على رأسها مدينة المكلا مركز محافظة حضرموت، لكنهم ينبهون إلى أن التنظيم لا يزال قادرا على تنفيذ عمليات دامية هادفة إلى إرباك الوضع ومنع بسط الاستقرار.

وفي نهاية مارس الماضي، أسفر هجوم شنته عناصر من تنظيم القاعدة على نقطة تفتيش عسكرية في جنوب شرق اليمن، عن مقتل تسعة جنود من النخبة الحضرمية المدعومة من التحالف العربي والمكلفة بحفظ الأمن ومواجهة الإرهاب في محافظة حضرموت بالإضافة إلى مقتل خمسة من المتشددين وحمل الهجوم الأخير للقاعدة ملامح انتقام لتلك العملية المؤلمة التي كبدته خسائر كبيرة في الأرواح والعتاد.

خطة ألمانية لإبطاء استقدام أسر اللاجئين

❏ **برلين** – توقعت وزارة الخارجية الألمانية أن خططا جديدة لوزارة الداخلية قد تتسبب في الحد بشدة من استقدام أسر اللاجئين، وذلك على خلفية القواعد المنتظر إقرارها لاستقدام عائلات اللاجئين الحاصلين على وضع حماية مؤقت في ألمانيا، من بينهم الكثير من السوريين.

وذكرت مجلة دير شبيغل الألمانية، في عددها الصادر السبت، أنه بحسب خطط داخلية لوزارة الداخلية فإنه من المفترض أن تتولى السفارات الألمانية دراسة حالة أي فرد من أفراد عائلة اللاجئ المقيم خارج ألمانيا أحق بالالتحاق به في ألمانيا.

وبحسب تقرير المجلة، فإن وزارة الخارجية ترى أن هذا الإجراء قد يتسبب في إبطاء عملية استقدام اللاجئين بشدة.

وقال مسؤول رفيع المستوى في الخارجية الألمانية في تصريحات للمجلة إنه من المتوقع أن يبلغ عدد الطلبات التي سيجرى الموافقة عليها في إطار هذا الإجراء 20 طلبا فقط شهريا.

وتجدر الإشارة إلى أن الائتلاف الحاكم في ألمانيا اتفق على استقدام ما يصل إلى ألف فرد من عائلات اللاجئين شهريا.

ويضم الائتلاف الحاكم التحالف المسيحي، بزعامة المستشارة أنجيلا ميركل، والحزب الاشتراكي الديمقراطي.

ولا يجوز للاجئين الحاصلين على وضع حماية مؤقت الآن عمليا استقدام عائلاتهم إلى ألمانيا. ومن المقرر أن يسمح الائتلاف الحاكم باستقدام ألف فرد شهريا كحد أقصى بحلول أغسطس المقبل، إلا أن هذا الإجراء يتطلب تعديلات في القانون الألماني، وهو ما يتفاوض حوله أطراف الائتلاف الحاكم حاليا بصعوبة.

وبحسب تقرير المجلة، يعارض وزير الخارجية هايكو ماس، المنتمي للحزب الاشتراكي الديمقراطي، خطط وزير الداخلية هورست زيهوفر، المنتمي للحزب المسيحي الاجتماعي البافاري في هذا الشأن.

وذكرت المجلة أن ماس يرى أن هذا الإجراء من اختصاص الهيئة الاتحادية لشؤون الهجرة واللاجئين، وأن أقسام منح التأشيرات في سفارات مثل السفارة الألمانية في بيروت أو عمان مثقلة في الأساس بأعباء جمة، وليس بمقدورها النظر في المزيد من الطلبات الجديدة.

وترى وزارة الخارجية أن المراجعة الأولية لطلبات استقدام أسر اللاجئين يتعين أن تتولاها الهيئة الاتحادية لشؤون الهجرة واللاجئين، بينما يمكن للسفارات أن تتولى بعد ذلك إتمام باقي الإجراءات عقب حصول طلبات الاستقدام على الموافقة من الهيئة.

وبحسب تقرير المجلة، فإن الحزب الاشتراكي الديمقراطي يرجح أن زيهوفر على علم بنقص القدرات في الأقسام القنصلية، ويعمد من خلال مقترحه إلى خفض عدد العائلات المستقدمة.

روسيا وإيران وتركيا تتفق على استمرار عملية السلام في سوريا

❏ **موسكو** – أنهى وزراء خارجية روسيا وتركيا وإيران، السبت، اجتماعا لهم في موسكو استغرق بضع ساعات سادته أجواء توافق، وشددوا على أهمية محادثات أستانة للدفع نحو تسوية سياسية للنزاع في سوريا.

وعقد وزراء الخارجية الروسي سيرجي لافروف والتركي مولود جاويش أوغلو والإيراني محمد جواد ظريف اجتماعات ثنائية وثلاثية في موسكو، وأكدوا في مؤتمر صحافي مشترك في نهاية هذه المحادثات على توافق وجهات نظرهم من الأزمة السورية.

وترعى روسيا وإيران الداعمتان للنظام السوري، وتركيا الداعمة لفصائل معارضة سورية، محادثات أستانة التي أتاحت خصوصا إقامة أربع مناطق لخفض التوتر في سوريا التي أوقع النزاع فيها أكثر من 350 ألف قتيل منذ العام 2011.

وقال لافروف إن "الحوار السياسي في أستانة حقق نتائج" أكثر من المسارات التفاوضية الأخرى، مؤكدا أن محادثات أستانة "تقف بثبات على قدميها" بفضل التعاون "الفريد" بين الدول الثلاث.

وأضاف الوزير الروسي، "إن منتقدي محادثات أستانة قد تكون لهم أهدافهم الخاصة، مثل محاولة القول للعالم بأنهم يتحكمون بكل القضايا في العالم، لكن ولحسن الحظ فإن هذا العصر قد ولى".

وأكد الوزراء الثلاثة على التقارب في مواقفهم، مع العلم أن المساعي لحل النزاع تراوح مكانها نتيجة تضارب مصالح موسكو وأنقرة وطهران حول مصير الرئيس السوري بشار الأسد.

وشدد لافروف على أنه "لدى تركيا وروسيا وإيران، رغم البعض من الاختلافات، حرص مشترك على مساعدة السوريين".

وتعود القمة الأخيرة بين الدول الثلاث إلى مطلع أبريل في أنقرة عندما تعهد الرئيس الروسي فلاديمير بوتين ونظيراه الإيراني حسن روحاني والتركي رجب طيب أردوغان التعاون من أجل التوصل إلى "وقف دائم لإطلاق النار" في سوريا.

إلا أن الوحدة التي أبدتها الدول الثلاث في أنقرة تزعزعت بعد الهجوم الكيمياوي المفترض المنسوب إلى النظام السوري على دوما قرب دمشق والضربات التي شنتها واشنطن وباريس ولندن ردا على ذلك.

فقد رحبت تركيا بالغارات معتبرة أنها رد "ملائم" بينما دافعت روسيا وإيران عن النظام السوري.

إلا أن لافروف انتقد ضمنا دمشق، السبت، لمنعها دخول مساعدات إنسانية أرسلتها الأمم المتحدة إلى مدينة دوما في الغوطة الشرقية، وقال إن موسكو تطالب النظام السوري بالمزيد من "الليونة".

وكانت وزارة الخارجية الروسية قد أعلنت قبل انعقاد اللقاء الثلاثي أن المحادثات ستركز على الأوضاع الإنسانية في سوريا.

وقالت المتحدثة الروسية ماريا زاخاروفا إن "تأمين المساعدات إلى الشعب السوري لا يمكن أن يكون مشروطا بهدف سياسي".

وقال لافروف لدى بدء اللقاء مع نظيره التركي الذي استهلت به القمة إن "وتيرة لقاءاتنا تدل على الأهمية التي سيعطيها فلاديمير بوتين ورجب طيب أردوغان لعلاقاتنا".

من جهته رحب مولود جاويش أوغلو بـ"أجواء الثقة بين بلدينا التي تسمح بتسوية قضايا إقليمية".

ويقول المحلل الروسي الكسندر شوميلين إن الهجوم الكيمياوي المفترض "أحدث تصدعا في الوحدة بين الدول الثلاث"، مضيفا أن ""غايات وأهداف كل منها مختلفة"، مشيرا خصوصا إلى الطموحات المتباينة بين موسكو وطهران.

وتابع شوميلين أن "إيران بحاجة إلى موطئ قدم في سوريا لتهديد إسرائيل"، إلا أن ذلك "يطرح مشكلة لروسيا التي تريد فقط ضمان الاستقرار في المنطقة والرحيل"، متسائلا "كم من الوقت يمكن أن تظل هذه الدول معا، هذا السؤال الذي لا يملك أحد إجابة عليه".

> الهجوم الكيمياوي المفترض أحدث تصدعا في وحدة روسيا وإيران وتركيا، فغايات وأهداف كل منها مختلفة خاصة الطموحات المتباينة بين موسكو وطهران

أما أليكسي مالاشنكو مسؤول معهد الحوار بين الحضارات فاعتبر أن الدول الثلاث تشكل "تحالفا غير ثابت"، بمواقف لا يمكن التوفيق بينها قائلا "تركيا لديها موقف واضح جدا فهي ضد بشار الأسد ومن المستحيل التوصل إلى اتفاق حول هذه المسألة".

وشددت وزيرة خارجية الاتحاد الأوروبي فيديريكا موغريني في بروكسل، الأربعاء، على أن "روسيا وإيران تمارسان ضغوطا على سوريا حتى توافق على الجلوس إلى طاولة المفاوضات تحت إشراف الأمم المتحدة"، معتبرة أن "من مصلحة موسكو وطهران المساهمة في حل سياسي".

ولا تُعقد آمال كبيرة على تحقيق تقدم ملموس من أجل التوصل إلى تسوية سياسية فالاجتماع سيخصص للتنسيق بين الدول والحفاظ على اتصال بينها أكثر منه لاقتراح حلول فعلية.

وختم مالاشنتكو "باستثناء إعلان النوايا لن نتوقع شيئا من الاجتماع، البعض سينتقد الولايات المتحدة والبعض الآخر سيدافع عن الأسد بينما سيتناول آخرون المشكلات في شمال سوريا ومسألة الأكراد".

تحالف غير ثابت

العرب

أول صحيفة عربية صدرت في لندن 1977

أسسها

أحمد الصالحين الهوني

رئيس مجلس الإدارة
رئيس التحرير المسؤول

د. هيثم الزبيدي

رئيس التحرير والمدير العام

محمد أحمد الهوني

مدراء التحرير

علي قاسم
مختار الدبابي
كرم نعمة

تصدر عن
Al-Arab Publishing House
المكتب الرئيسي (لندن)
The Quadrant
177 – 179 Hammersmith Road
London, W6 8BS, UK
Tel: (+44) 20 7602 3999
Fax: (+44) 20 7602 8778

للإعلان
Advertising Department
Tel: +44 20 8742 9262
ads@alarab.co.uk

www.alarab.co.uk
editor@alarab.co.uk

الانتخابات التشريعية في العراق: صورة جديدة لنفس الوجوه القديمة

خيبة أمل شعبية من طبقة سياسية تتقاسم السلطة من أجل مصالحها

من المقرر أن يتوجه العراقيون إلى صناديق الاقتراع في الثاني عشر من مايو المقبل لاختيار أعضاء الدورة الرابعة للبرلمان، ولكن أغلب الناخبين في جميع أنحاء العراق لا ينظرون بتفاؤل إلى هذا الاستحقاق الانتخابي، ويؤكدون أن الكلام نفسه يتكرر في كل حملة انتخابية وأن البرلمان القادم لن يحمل تغييرا كبيرا.

❑ **بغداد** – بعد نحو عشر سنوات من أول انتخابات شهدها العراق إثر سقوط النظام السابق، يبدي العراقيون من بغداد إلى أربيل مرورا بمختلف المدن العراقية، خيبة أمل اليوم من الوجوه المتكررة، معتبرين أن بديل صدام حسين كان طبقة سياسية لا يمكن إزاحتها، تتقاسم السلطة من أجل مصالحها.

وفي بلد عانى لسنوات من العنف الطائفي والحروب والحصار، سيختار أكثر من 24 مليون ناخب يتوزعون على 18 محافظة تمثل كل واحدة منها دائرة انتخابية، نحو سبعة آلاف مرشح يتنافسون على 329 مقعدا برلمانيا، بينهم نحو ألفين يخوضون السباق لنيل 71 مقعدا في بغداد وحدها.

وتناوبت على الحكم منذ سقوط نظام حسين، شخصيات باتت أسماؤها محفوظة عن ظهر قلب لدى العراقيين، وتهيمن بشكل تام، هي وأحزابها، على مفاصل السلطة.

ويقول ميدان الحمداني (40 عاما) "منذ متى ونحن نرى إبراهيم الجعفري ونوري المالكي وإياد علاوي وحيدر العبادي، تارة نائبا ومرة وزيرا. نفس الطاسة ونفس الحمام". ويضيف "هي الأحزاب نفسها والأشخاص أنفسهم سيعودون للحكم مجددا، شئنا أم أبينا" خلال الانتخابات البرلمانية المقررة في 12 مايو.

ويعزز هذا الشعور الفساد المستشري في البلاد، والذي غالبا ما يفلت مرتكبوه من العقاب بينما لا يستفيد المواطنون من الخدمات الأساسية مثل مياه الشرب والكهرباء ووسائل النقل العام، في حين أن إنتاج وأسعار النفط، الذي يعتبر المورد الرئيسي للبلاد، لم تكف عن الارتفاع.

لا جديد

لم يبق ركن في العاصمة العراقية إلا ونصبت فيه لافتات عملاقة عليها صور لمرشحين، فيما غطت أخرى أعمدة وأشجار النخيل، حتى منهم من علق صوره مكان صور قتلى القوات الحكومية والحشد الشعبي، الذين قضوا في المعارك التي انطلقت منذ العام 2014 ضد تنظيم الدولة الإسلامية.

> تناوبت على الحكم منذ سقوط نظام حسين، شخصيات باتت أسماؤها محفوظة عن ظهر قلب لدى العراقيين، وتهيمن بشكل تام، هي وأحزابها، على مفاصل السلطة في البلاد

أمام تلك اللافتات في شارع السعدون الشهير بوسط بغداد، يقف حيدر الشمري (35 عاما) وتعلو ملامح الغضب وجهه قائلا "كلها للوجوه السابقة نفسها (..) همها الوحيد كسب الأموال وليس خدمة الشعب".

وما يعزز يأس العراقيين، أن الكلام نفسه يتكرر في كل حملة انتخابية، ويسألون عن وعود لم يف بها المرشحون بعدما أصبحوا نوابا.

ويشعر بهذا السخط في بقية أنحاء البلاد، وخاصة في مدينة الموصل التي دمرت إلى حد كبير أثناء القتال من أجل استعادة السيطرة على "عاصمة الخلافة" السابقة لتنظيم الدولة الإسلامية.

وتتساءل أم يوسف (54 عاما) من الموصل "ما هو مفهوم التغيير إذن؟ فلنغير الوجوه على الأقل! لقد مللنا الكذب".

وتقول المرشحة هالة كريم (30 عاما) الموظفة بوزارة الصحة "لقد مللنا ومضت 15 عاما ولم نر أي تغيير، من سيء إلى أسوء". وأضافت "هذا بلد الحضارات بلاد الرافدين، ما الذي جرى فيه خلال 15 عاما هو طائفية وانحدار".

ويشكل فوز وجوه جديدة تحديا كبيرا وسط المنافسة مع الأحزاب الكبيرة التي تهيمن على السلطة منذ 15 عاما. والأمر كان مستحيلا بالنسبة إلى حيدر البيضاني (38 عاما) الذي شارك في الانتخابات السابقة بقائمة مستقلة، لذلك قرر الانضمام إلى حزب كبير ومعروف وهو تيار الحكمة بزعامة عمار الحكيم.

ويقول البيضاني، في تصريحات نقلتها وكالة فرانس برس، "وصلت إلى قناعة بأن المرشح لم ولن يفوز دون مجازفة إذا لم ينخرط في قائمة كبيرة"، معتبرا أن "الكتلة الكبيرة قد توصلك إلى العتبة الانتخابية وتفوز".

ووفق أرقام مفوضية الانتخابات، فإن أكثر من 20 بالمئة من المرشحين في العراق، هم وجوه جديدة تؤكد نيتها في التغيير.

وفي وسط بغداد، ساحة معروفة فيها نصب امرأة تدعى كهرمانة مستوحاة من قصص ألف ليلة وليلى، اشتهرت بصب الزيت في 40 جرة اختبأ في كل واحدة منها لص.

وتنشر الناشطة والشاعرة العراقية آية منصور صورة عبر حسابها على تويتر

لا تستحق عناء إعادتها إلى مكانها

لعشرات من صور المرشحين التي حجبت رؤية التمثال. وتعلق منصور بالقول "وين كهرمانة؟ خلف الأربعين حرامي!".

كسر عظام في كردستان

لا تختلف فوضى الحملات الانتخابية في كردستان العراق عن نظيرتها في بغداد وبقية المحافظات العراقية.

ويقول هونر حمه رشيد، الصحافي في موقع نقاش العراقي، إن الدعاية الانتخابية للقوى السياسية في كردستان وصلت إلى مرحلة كسر العظام، واتخذت اللعبة شكلا يسمح باللجوء إلى كل الطرق المشروعة وغير المشروعة من أجل الفوز فقط.

ويلفت إلى أن الأطراف السياسية في الإقليم كانت تستخدم الشوارع لحملاتها الانتخابية في السابق وذلك عبر حشد مؤيديها وتنظيم مواكب السيارات وتزيينها والسير في الأماكن العامة، إلا أن هذه الظاهرة قلت في معظم المدن خلال الحملات لهذه الانتخابات، وحلت محلها الحملات الرقمية.

وتختلف الحملات الانتخابية هذه المرة في أن أكثر الدعايات تجري على مواقع التواصل الاجتماعي ما مهد الطريق لتسقيط الآخرين، وفق هونر حمه رشيد، الذي يضيف أن المفوضية العليا المستقلة للانتخابات في العراق والجهات القانونية في الإقليم عاجزتان عن محاسبة القوى السياسية على الهجمات التي تشن في السوشيال ميديا.

تتشابه مواقف الناخبين الأكراد مع بقية مكونات المجتمع العراقي في النظرة التشاؤمية حول البرلمان المقبل الذي لن يختلف عن سابقيه. والناخبون الأكراد بين مؤيد للمشاركة ومقاطع للعملية.

ويوجد بين هاتين الفئتين عدد كبير من الأصوات الرمادية أو التي لم تحسم أمرها وهي تمثل أهمية كبيرة للمرشحين والكيانات السياسية في سعيها للفوز بمقاعد البرلمان.

وينقل معاذ فرحان، الصحافي في موقع نقاش، عن محمد أحمد (32 سنة)، قوله إنه فقد الأمل في الانتخابات، إذ ولدت السنوات الأربعة المليئة بالأزمات في إقليم كردستان لديه قناعة بأن لا يلون إصبعه لأي مرشح أو قائمة كما فعل في المرات السابقة.

ويؤكد يقوله محمد أحمد، الذي يعمل سائق سيارة أجرة في السليمانية، "لم أر شيئا طيبا من السلطة ولا من المعارضة، سواء أكانوا علمانيين أم إسلاميين، يساريين أم يمينيين، لم أعد أثق بأحد منهم".

ومحمد واحد من مئات الأشخاص الذين قرروا عدم المشاركة في انتخابات الدورة الرابعة للبرلمان العراقي، وفي المقابل هناك كثيرون قرروا مسبقا المشاركة في العملية فهم مهما حصل خلال جميع الانتخابات يصوتون للجهة التي يعتبرونها محل آمالهم.

> الشاعرة العراقية آية منصور صورة لعشرات من صور المرشحين تحجبت تمث الكهرمانة الشهير في وسط بغداد. وتعلق بالقول «وين كهرمانة؟ خلف الأربعين حرامي!»

الأصوات الرمادية

مع أن محمد ينظر إلى عملية التصويت من منطلق حياته الحالية، إلا أن العملية لها جانب قومي بالنسبة إلى آخرين.

ويقول كنعان صابر (39 سنة) وهو يبيع أجهزة ريموت كونترول في شارع مولوي في السليمانية منذ تسعينات القرن الماضي، وهو في الأصل من كركوك ويذهب إلى هناك في كل انتخابات للإدلاء بصوته، "لا أنتظر أن يمنحني أي حزب أموالا، ومع ذلك سأذهب للإدلاء بصوتي، لماذا يذهب العربي للتصويت لكيانه ولمَ لا أذهب أنا أيضا؟".

وأضاف كنعان أن "الأعوام الأربعة الماضية من الأزمات أثرت على حياتي أيضا، ولكنني سأذهب للإدلاء بصوتي من أجل الأكراد".

وشارك 60 بالمئة من المواطنين في آخر انتخابات لمجلس النواب العراقي، ولكن "شبكة شمس" تقدر حسب تحليلاتها أن تكون نسبة المشاركة في كردستان لهذا العام 50 بالمئة.

ونقل موقع نقاش عن هوكر جتو، منسق الشبكة قوله، إن "جميع المؤشرات ليست إيجابية بالنسبة لمشاركة المواطنين في الانتخابات" وعزا السبب في ذلك إلى ثلاث نقاط:

- لم يظهر تطور كبير من قبل القوى والأطراف المشاركة أي أنه لا توجد جهة تنقذ الناخبين من الوضع الحالي وتأتي بموديل جديد للحكم.
- وعود الانتخابات السابقة التي لم ينفذ معظمها في العراق وكردستان ولم يطرأ تغيير على الوضع المعيشي للمواطنين.
- القوى والأطراف السياسية هي أقوى من الدولة وهي تدعي أن عملية التسجيل البايومتري والإجراءات الأخرى للمفوضية لن تنفع في منع التزوير، ما يؤدي إلى فقدان الناس الأمل في الانتخابات.

ويضم إقليم كردستان 503 من المرشحين من 25 كيانا سياسيا يتنافسون للحصول على (46) مقعدا في البرلمان كما يحق لثلاثة ملايين و(144) ألفا و(730) شخصا التصويت. وهناك عدد آخر من المواطنين يدخلون ضمن التصنيف الذي يسمى بالأصوات الرمادية، فهم لم يقرروا المقاطعة ولكن لم يحسموا الجهة التي سيصوتون لها بعد.

ويرى منسق شبكة شمس أن الأصوات الرمادية هي أكثر أهمية للمرشحين والكيانات من الأصوات المضمونة "لأن نسبة الأصوات الرمادية كبيرة وتنحصر المنافسة عليها وهي التي ستحسم الكثير من المعادلات".

ويضيف جتو "ستدخل أربعة أعمار جديدة الانتخابات وهم لا يؤمنون كثيرا بالحياة السياسية ويمكن العمل عليهم".

المؤسسة البرلمانية العراقية.. في خدمة المنتخبين لا الناخبين

د.ماجد السامرئي
كاتب من العراق

❑ يعتبر العراق من أوائل الدول العربية التي استقلت بعد الحرب الكونية الأولى والتي شهدت خيار الدولة البرلمانية. تشكل الوعي السياسي عند العراقيين في استفتاء 1918–1919 حينما طالب السياسيون بحكم دستوري نيابي ووقفوا ضد الانتداب البريطاني وردوا عليه بالمطالبة بعقد مؤتمر عام منتخب يقرر شكل الحكم في العراق.

وأصبح قانون انتخاب "مجلس المبعوثان العثماني" هو الأساس للانتخابات العراقية النيابية حتى عام 1946. ودعا دستور سنة 1925 إلى برلمان من مجلسين هما مجلس النواب ومجلس الشيوخ. وينتخب مجلس النواب بناء على حق الاقتراع للمؤهلين.

وينفي خيرالدين العمري، وهو أحد أعمدة التجربة البرلمانية الملكية، أن هناك دوافع طائفية لاختيار أعضاء البرلمان. في المقابل، كان للوجاهة الاجتماعية والعشائرية في المدن الرئيسية العراقية دور مهمّ في اختيار الشخصيات البرلمانية.

ويؤكّد العمري في مذكراته "من كل محافظة يترشح عدد من النواب وحسب عدد سكان المحافظة، وقد يترشح من المحافظات الشيعية نائب سني، وقد يترشح مع نواب المحافظات الكردية عربي". ويضيف أن "هذه الترشيحات كانت تسير على أساس جغرافي بحت وليس على أسس طائفية أو قومية، فعن محافظة الناصرية المعروفة بأنها شيعية كان دائما يفوز مع نوابها شخص سني من عشائر السعدون المعروفة هناك وكانت لهم مكانة".

لكن تدخل البريطانيين في عمل البرلمان لإضفاء الشرعية على مصالحهم، أدى إلى فشل التجربة البرلمانية في العراق الملكي. ووصلت الدرجة بالمحتل البريطاني إلى حل عدة برلمانات قبل أن تكمل دوراتها التشريعية، عندما رأى أن هناك عقبات تقف بوجه مصالحه وتهدد وجوده في العراق. وقد زورت الانتخابات لأكثر من مرة. ولم يمارس البرلمان حقه في يوم ما بسحب الثقة من الحكومة.

ومنذ ذلك الوقت ترسخ لدى العراقيين انطباع بأن الدستور وقانون الانتخابات، هما وسيلة تستخدم من قبل السلطة التنفيذية لضمان انتخاب مرشحيها، ونتيجة لذلك لم تكن هناك رغبة لدى المجتمع بحماية الدستور والذي كان يعتبر ورقة لا قيمة لها في المجتمع.

تلاشت الحياة البرلمانية في العراق بحلول حكم حزب البعث الذي أصدر عام 1970 قانون المجلس الوطني، كمؤسسة برلمانية ويتم اختيار أعضائها عن طريق الانتخاب الحرّ المباشر. إلا أن الملاحظ على هذه الفترة أن حزب البعث قد هيمن على المجلس الوطني لكون معظم أعضائه يتم انتخابهم من أعضاء حزب البعث. ولم تشهد البلاد انتخابات عامة حتى عام 1980. وفي ظل انفراد صدام حسين بالحكم تحولت هذه المؤسسة التشريعية إلى مؤيّد مطلق له.

بعد الغزو الأميركي للعراق في 2003، تمت صياغة الدستور على أساس طائفي. وجرت انتخابات أول مجلس نواب عام 2005 من داخل الأحزاب والكتل السياسية حيث فازت القائمة "الشيعية" ولكن دون أغلبية مما حرك نظرية "التوافق" بين تلك الأحزاب عبر صفقات سياسية لتحديد الخيارات النهائية خصوصا في مناصب (رؤساء الجمهورية والوزراء ومجلس النواب). ولم تتحقق آمال العراقيين بقيام مؤسسة برلمانية حقيقية تعبر عن همومهم السياسية الوطنية وتطلعاتهم في حياة أمنية ومعاشية مستقرة.

جرت الانتخابات الأولى في ظرف أمني مشحون وهجمة منظمة لإثارة نزاع طائفي وتحضير منظم لجعل البرلمان ساحة لعرض الهيمنة السياسية للأحزاب الشيعية. وكانت اللعبة أن يترأس سني البرلمان مقابل إعطاء شرعية لولاية الأحزاب الشيعية على الحكم، والضغط على جمهور العرب السنة وإشعارهم بأن لديهم من يمثلهم في مؤسسة تشريعية رسم لها ألا تكون سوى واجهة شكلية غير فاعلة.

> يترسّخ لدى العراقيين انطباع بأن الدستور وقانون الانتخابات، هما وسيلة تستخدم من قبل السلطة التنفيذية لضمان انتخاب مرشحيها، ونتيجة لذلك لم تكن هناك رغبة لدى المجتمع بحماية الدستور، والذي كان يعتبر ورقة لا قيمة لها في المجتمع

وأصبحت قصة توزيع حصص مناصب الرئاسات الثلاث تقليدا سمي توافقيا، الحكومة للشيعة والبرلمان للسنة ورئاسة الجمهورية للأكراد. وما بين 2010 و2018 تولى رئاسة البرلمان شخصيتان إسلاميتان سنيتان، أسامة النجيفي وسليم الجبوري، فيما حافظ الأكراد على رئاسة الجمهورية، الراحل جلال الطالباني وفؤاد معصوم، فيما تم تثبيت رئاسة الوزارة للأحزاب الشيعية وخصوصا حزب الدعوة.

بعد احتلال تنظيم داعش لثلث أراضي العراق، ثم محاربته، كانت التوقعات تشير إلى تغييرات جوهرية تأخذ بنظر الاعتبار مسببات تلك الهجمة المتطرفة، وفي مقدمتها ما عاناه أبناء الغرب السنة من حيف وظلم للخروج إلى فضاء وطني جديد يسعى إلى تعديل العملية السياسية ويحدث تغييرا جوهريا في منظوماتها المنغلقة والمتطرفة.

لكن ذلك لم يحدث. الذي حصل هو إحداث تغييرات شكلية في عناوين تلك الأحزاب، ودعوة صريحة من قبيل زعيم حزب الدعوة نوري المالكي لاستبدال صيغة التوافق بصيغة "الأغلبية السياسية" بمعنى مجيء حكام مقابل معارضين داخل البرلمان ومغادرة التوافق على جميع مفردات الحكم، أي توزيع الرئاسات الثلاث، خصوصا بعد انهيار التحالف الاستراتيجي الكردي الشيعي الذي يعني "عدم وجود مبررات" لاختيار رئيس الجمهورية من المكون الكردي.

وعلى افتراض نجاح هذه الصيغة فمعنى ذلك انتقال سياسيين "شيعة" إلى جبهة المعارضة وتحول مؤسسة البرلمان إلى قوة سياسية لها تأثير في القرارات السياسية العليا بشكل فعلي، وبذلك لن تصبح رئاسة البرلمان وفق المحاصصة، برئيس سني ونائبين أحدهما شيعي والآخر كردي.

قد تواجه هذه الاحتمالات معارضة جدّية بعد ظهور النتائج الانتخابية من قبل الأكراد المتمسكين بمنصب رئاسة الجمهورية، في حين لا يتوقع للسنة بعد تشتتهم إلى شظايا أن يبرز من يمثلهم بالصورة السابقة. البرلمان في العالم مؤسسة قوية تمثل مصالح الناس وليس السياسيين، إلا في العراق فهو مؤسسة خيرية نفعية للنهب وتوزيع الحصص.

خياران إيرانيان... أحلاهما مرّ

خيرالله خيرالله
إعلامي لبناني

❏ يمكن تلخيص نتيجة زيارة الرئيس الفرنسي إيمانويل ماكرون لواشنطن بفكرة بسيطة. تواجه إيران خيارين أحلاهما مرّ. هناك خيار الرئيس دونالد ترامب، القاضي بإلغاء الاتفاق في شأن الملف النووي الإيراني الذي أمكن التوصّل إليه صيف العام 2015 بدفع من الرئيس باراك أوباما وغطاء من إدارته. لم يقرّر ترامب بعد ما الذي سيفعله، لكنّ ميله الشخصي إلى إلغاء الاتفاق.

هناك أيضا خيار ماكرون والأوروبيين عموما والقاضي بإيجاد ملحق للاتفاق في شأن الملف النووي الإيراني. يعتبر مثل هذا الملحق سدّا للثغرات التي سمحت لإيران باستغلال المفاوضات في شأن ملفّها النووي من أجل تحقيق مكاسب على الصعيد الإقليمي في خدمة مشروع توسّعي لا هدف له سوى تحقيق اختراقات في الداخل العربي وصولا إلى اليمن.

لم يكن الملف النووي الإيراني أولوية لدول الإقليم في أيّ يوم من الأيّام. وحدها إسرائيل أرادت استغلال الملف للقول إنّها دولة مهدّدة وإنّها ضحية تهديدات يومية تطلقها طهران.

في الواقع، ساعد الملفّ النووي الإيراني إسرائيل في ابتزاز الإدارة الأميركية من جهة وإيجاد غطاء لإرهاب الدولة الذي تمارسه والمتمثل في استمرار احتلالها للأرض الفلسطينية، بما في ذلك القدس الشرقية من جهة أخرى.

> ما كان مفترضا طرحه في موازاة الملف النووي الإيراني صار مطروحا الآن. ما الهدف من الصواريخ الباليستية الإيرانية؟ ماذا تفعل إيران في لبنان غير تدمير مؤسسات الدولة... أو ما بقي منها؟ ماذا تفعل إيران في العراق؟

على الصعيد الدولي، كانت إدارة باراك أوباما الطرف الوحيد الذي أخذ الملفّ النووي الإيراني على محمل الجدّ. اختزل أوباما، الذي ربط بين أهل السنّة والإرهاب، كلّ مشاكل المنطقة وأزماتها بالملفّ النووي الإيراني. تغاضى عن كلّ التصرّفات الإيرانية، بما في ذلك الدخول كطرف مباشر في الحرب على الشعب السوري. فعل كلّ ذلك، مستبيحا دم السوريين، من أجل تفادي أي حاجز يمكن أن يؤخر الوصول إلى اتفاق في شأن الملف النووي الإيراني.

كان أوباما يمتلك أيديولوجيا خاصة به تقوم على أن إيران دولة ديمقراطية متجاهلا كلّ الجرائم التي يرتكبها النظام في حقّ الإيرانيين. كان مطلوبا من الرئيس الأميركي السابق توفير كلّ ما من شأنه استرضاء النظام الإيراني وذلك كي يضمن استمرار المفاوضات الهادفة للوصول إلى اتفاق في شأن الملف النووي ونجاحها. وهذا ما تحقق في صيف العام 2015.

كان الاتفاق بين إيران ومجموعة الخمسة زائدا واحدا، أي الدول التي تمتلك عضوية دائمة في مجلس الأمن زائد ألمانيا. لكنّه كان عمليا اتفاقا بين الولايات المتحدة وإيران. جاء الاتفاق نتيجة مفاوضات سرّية بين الجانبين بدأت باكرا في سلطنة عمان وانتقلت إلى عواصم أوروبية.

وضعت هذه المفاوضات الأسس لما يمكن عليه الاتفاق. تلت ذلك سلسلة اجتماعات علنية بين وزير الخارجية الأميركي جون كيري ووزير الخارجية الإيراني محمد جواد ظريف الذي أظهر قدرة عالية على تسويق الأوهام لدى كيري نفسه.

لم يكن جون كيري سياسيا ساذجا انطلت عليه ألاعيب ظريف وخزعبلاته فحسب، بل كان يعرف أيضا أن أوباما محاط في البيت الأبيض بمجموعة من المستشارين الإيرانيي الهوى. من بين هؤلاء كانت فاليري جاريت المولودة في إيران والتي كانت من أقرب الناس إلى أوباما وزوجته.

ما تغيّر في عهد دونالد ترامب أن الإدارة الأميركية بدأت تعي أبعاد الخطر الذي يشكله المشروع التوسّعي الإيراني. هناك موقف واضح للرئيس الأميركي من الاتفاق في شأن الملف النووي الإيراني الذي يصفه ترامب بأنّه "أسوأ الاتفاقات" التي عقدتها الولايات المتّحدة.

لكنّ المهمّ في الأمر أن الإدارة الأميركية بدأت تتحدث عن السلوك الإيراني بشكل عام وعن تاريخ العلاقات بين واشنطن وطهران منذ حصول الثورة الشعبية التي أطاحت بالشاه في العام 1979. استعادت الإدارة الأميركية كلّ الأحداث التي توالت منذ أقام آية الله الخميني "الجمهورية الإسلامية" بدءا باحتجاز الدبلوماسيين في السفارة الأميركية في طهران في تشرين الثاني – نوفمبر 1979 لمدّة 444 يوما.

استعادت أيضا تفجير مقرّ المارينز قرب مطار بيروت في الثالث والعشرين من تشرين الأوّل – أكتوبر 1983. كذلك، استعادت خطف مواطنين أميركيين وغربيين في لبنان واحتجازهم فترات طويلة.

ليست الإدارة الأميركية التي استفاقت. استفاقت فرنسا وبريطانيا وحتّى ألمانيا التي لم تخف يوما انحيازها لإيران ورغبتها في تغليب مصالحها التجارية على أيّ اعتبارات أخرى.

كانت الاستفاقتان الأميركية والأوروبية وراء قيام وضع جديد. لم يعد مطروحا مصير الاتفاق في شأن الملفّ النووي الإيراني. المطروح ما العمل بالصواريخ الباليستية الإيرانية التي صار الحوثيون يطلقونها من الأراضي اليمنية في اتجاه المملكة العربية السعودية. فوق ذلك كلّه، ما العمل بالميليشيات المذهبية الإيرانية المنتشرة في كلّ المنطقة والتي تعتبر الوجه الشيعي لتنظيم "داعش" السنّي؟

هناك مشكلة حقيقية اسمها السلوك الإيراني. هل مسموح لإيران إقامة وجود دائم في سوريا، بعد الوجود الذي أقامته في لبنان في ظلّ علاقة غير محدّدة المعالم بين طهران وموسكو؟

في السنة 2018، بات على إيران أن تختار بين ما إذا كانت دولة طبيعية أم لا. لم يعد الموضوع موضوع الملف النووي الذي استخدمته طويلا من أجل تحقيق مكاسب في واشنطن وخدمة إسرائيل في الوقت ذاته. بفضل الملف النووي الإيراني والتصريحات التي يطلقها المسؤولون الإيرانيون بين حين وآخر، استطاعت إسرائيل تمرير أشياء كثيرة وصولا إلى مرحلة بات فيها اعتراف الرئيس ترامب بالقدس عاصمة لها أمرا أكثر من عادي.

ما كان مفترضا طرحه في موازاة الملفّ النووي الإيراني صار مطروحا الآن. ما الهدف من الصواريخ الباليستية الإيرانية؟ ماذا تفعل إيران في لبنان غير تدمير مؤسسات الدولة... أو ما بقي منها؟ ماذا تفعل إيران في العراق الذي تعرّض لعمليات تطهير ذات طابع مذهبي؟ ترافقت عمليات التطهير هذه مع تدمير ممنهج للمدن العراقية آخرها الموصل.

«نِعم» الاتفاق النووي لن تدوم طويلا

باتت إيران تقف أمام خيارين، خصوصا أنّ المطروح هل العالم مستعدّ للاعتراف بها قوّة إقليمية مهيمنة لديها طموحاتها في الخليج والشرق الأوسط بعد حدثين في غاية الأهمّية هما الاحتلال الأميركي للعراق في 2003 وملء الفراغ الأمني الذي خلفه الانسحاب العسكري السوري من لبنان.

نعم، هناك خياران أحلاهما مرّ أمام إيران. لكن أمام إيران خيار ثالث أيضا هو الخيار المستحيل. أي أن تكون إيران دولة طبيعية. لكنّ من الصعب على نظام إيراني يقتات من تصدير أزماته إلى خارج البلد ورهانه الأوّل والأخير على إثارة الغرائز المذهبية أن يعيش في ظروف طبيعية. سيتوجب عليه عندئذ الانصراف إلى معالجة الوضع الداخلي والاستجابة لمطالب الإيرانيين الذين يعيشون في معظمهم تحت خطّ الفقر. هذا من رابع المستحيلات... هذا ما يمكن أن يؤدي إلى انفجار كبير في المنطقة في ضوء الوضع الذي وجد النظام الإيراني نفسه فيه.

في انتظار كيم جونغ أون إيراني

إبراهيم الزبيدي
كاتب عراقي

❏ في الإعلام الأميركي، هذه الأيام، حالة انتشاء فريدة. تتباهى أهم الأقلام بقوة أميركا السياسية والاقتصادية والعسكرية التي لولاها لما اضطرت الصين وروسيا إلى الضغط على رئيس كوريا الشمالية كيم جونغ أون وحمله على رمي عصا العناد والعنجهية والعبور إلى كوريا الجنوبية لإعلان تخليه عن خياراته النووية، والعودة إلى السلوك المتجانس مع العصر، والعيش بسلام.

في عام 1948 أسس "خميني" كوريا الشمالية، كيم إيل سونغ، نظامه المعاند والمناطح والمتحدي، وأورثه لخلفه كيم جونغ إل، ثم لحفيده كيم جونغ أون. وبرغبة الرئيس السوفييتي جوزيف ستالين والصيني ماوتسي تونغ في مناكفة أميركا ومعاكستها تم وضع دولة كيم إيل سونغ على طريق سياسة العداء مع كوريا الجنوبية واليابان وأميركا وحلفائها والعالم.

منذ ذلك العام أصبحت كوريا الشمالية دولة مغلقة تفاخر بالدكتاتورية المفرطة، وبإنفاق سبعين بالمئة من مواردها على تطوير تجاربها النووية وإطلاق الصواريخ، وتصنيع سلاح الدمار الشامل، وتهريب الأسلحة والخبراء إلى الأنظمة المعادية لأميركا والغرب، مع قمع الداخل وتمزيقه وتجويعه وحرمانه من نعم العصر الحديث.

وأخيرا حدثت المعجزة، وفتح الرئيس الكوري الشمالي بوابة دولته المغلقة، وخرج إلى النور، وعانق الرئيس الكوري الجنوبي، وأعلن نهاية حقبة العناد ومشاكسة الأقوياء.

اعتبر المتفائلون من الكتاب والمحللين ما حدث بين الكوريتين مقدمة لتغييرات وانفراجات دراماتيكية لاحقة في مناطق أخرى من العالم، أولها سوريا ثم العراق ثم اليمن، حين ستضطر روسيا والصين لتصبحا أكثر استعدادا للتخلي عن سياسة مناكفة الولايات المتحدة وحلفائها باحتضان الأنظمة المعادية التي يسميها الأميركان بالمارقة، وتسليحها وتقويتها وحمايتها من العقاب.

ومن المحتمل أن تجد إيران نفسها، قريبا، محكومة بأحد اختيارين، مواصلة التحدي والعناد والاحتلال وتمويل الإرهاب وتسليح الجماعات الإرهابية، أو العودة إلى منطق العصر الحديث والعيش بسلام، أو الرحيل، إن لم يكن اليوم فغدا أو بعد غد.

لخص أحد الوكلاء العراقيين للنظام الإيراني، جلال الدين الصغير، بوضوح، مشروع الخميني الذي حققه أخيرا وريثه علي خامنئي بالقول في حديث لصحيفة الوطن، "إن نفط السعودية، (ويقصد المناطق النفطية السعودية في المنطقة الشرقية التي تتواجد فيها كثافة سكانية شيعية)، ونفط العراق وأفغانستان وأذربيجان وسوريا ولبنان بأيدينا، وإن المضايق الرئيسية في البحر الأحمر بأيدي الشيعة، حيث تسيطر جماعة الحوثيين على باب المندب، أما مضيق هرمز فهو بأيدي إيران".

ولم تتوقف تصريحات القادة الدينيين والعسكريين التي يباهون فيها بامتلاكهم سوريا والعراق ولبنان واليمن، وضمنا فلسطين. فقد تحدث نائب القائد العام للحرس الثوري الإيراني العميد حسين سلامي خلال مراسم تجديد ميثاق كوادر مؤسسة (تعبئة المستضعفين) فقال إن "الثورة الإسلامية في إيران قلبت الموازين العالمية، بحيث أصبح أي توازن أمني أو سياسي في العالم الإسلامي اليوم غير ممكن دون إحراز رضى إيران".

إن أوهام القوة هذه، مضافا إليها حقيقية أن نظام طهران لم يتقن شيئا، منذ تأسيسه وحتى اليوم، قدر إتقانه صناعة الخصوم والأعداء، في داخل إيران ذاتها، وعبر القارات الخمس كلها، هي التي تبشر بقرب حلول الساعة المباركة التي يظهر فيها في طهران "كيم جونغ أون" إيراني ليغيّر التاريخ.

فالعالم اليوم هو عالم التمرد على الواقع المفروض، على الشعوب بالقوة والعنف والإرهاب والاحتلال، وموسم الكفر بتخاريف العجائز المُحنطة. فهل تعود إلينا إيران دولة مسالمة متحضرة متقدمة مزدهرة من جديد؟ وهل يدرك الملالي في طهران ماذا يعني هتاف الجماهير الشيعية، وليس السنية، في العراق: (إيران برا برا، بغداد حرة حرة) قبل فوات الأوان؟

> من المحتمل أن تجد إيران نفسها، قريبا، محكومة بأحد اختيارين، مواصلة التحدي والعناد والاحتلال وتمويل الإرهاب وتسليح الجماعات الإرهابية، أو العودة إلى منطق العصر الحديث والعيش بسلام، أو الرحيل إن لم يكن اليوم فغدا

تنمية سيناء.. مشروع أمن قومي يحتاج إلى سنوات من العمل

الرئيس المصري: لو لم نضحّ في المعركة ضد الجهاديين فإن سيناء ستضيع

تأخذ الحرب التي تخوضها مصر ضد الإرهاب تحولات جديدة بعد أن طورت العناصر الإرهابية استراتيجيتها الهجومية وصعّدت من هجماتها كما فتحت منافذ أخرى لدعم جبهة سيناء أين يخوض الجيش المصري معركة مصيرية ضد الإرهاب وجماعاته المتعددة، كما أنها معركة صعبة في تعقيداتها المحيطة بسبب طبيعة سيناء جغرافيا واجتماعيا. وتشكل الطبيعة الجغرافية الوعرة التي تتميز بها سيناء، إضافة إلى الطبيعة العقائدية، صعوبة في المواجهة؛ حيث لا يحسب المسلحون الحسابات الحربية التقليدية للمكسب والخسارة، فهم على استعداد لأن يفقدوا حياتهم، مقابل إلحاق الضرر بأكبر عدد ممكن من قوات الأمن. ومع هذا يأتي عنصر آخر ليزيد من تعقيد الأزمة وهو عنصر التنمية، حيث تعاني منطقة سيناء من إرث تاريخي من الإهمال الحكومي لها منذ أن نجحت مصر في تحريرها من الاحتلال الإسرائيلي.

ما تحقق من تقدم في المعركة ضد الإرهاب قد ينتكس لو بقيت مسبباته

❏ **القاهرة** – تعهّد الرئيس المصري عبدالفتاح السيسي بأن يتم إنهاء العملية العسكرية التي يقوم بها الجيش بالتعاون مع الشرطة في سيناء منذ فبراير الماضي "في أسرع وقت ممكن"، في حين أعلن مساعده إبراهيم محلب عن حزمة من المشروعات التنموية في المنطقة، في رد رسمي واضح على ما وصف بـ"مغالطات" تضمنها تقرير لمنظمة هيومن رايتس ووتش.

> الرئيس المصري يعلن عن تنفيذ خطة تنمية في سيناء تنتهي بحلول 2022، ويؤكد المساعي لإنهاء المهمة العسكرية في أسرع وقت ممكن

وقال السيسي، في لقاء نظمه الجيش المصري وبثه التلفزيون الرسمي، موجها حديثه إلى أهالي سيناء، إنه يتم تنفيذ خطة تنمية في سيناء تنتهي بحلول 2022. وأكد أنه بالتوازي مع ذلك يستمر "الجهد الذي يقوم به الجيش والشرطة بالتعاون معكم". وأضاف "سننهي المهمة في أسرع وقت ممكن".

ويشن الجيش المصري عملية عسكرية واسعة في سيناء لمكافحة الإرهاب بدأها في التاسع من فبراير الماضي أسفرت حتى الآن عن مقتل أكثر من مئة من الجهاديين ونحو 30 جنديا، بحسب إحصاءات الجيش.

الإرهاب منتشر

حرص السيسي على توجيه حديثه لسكان سيناء قائلا إن "كل المصريين يعرفون أن أشقاءهم المصريين في سيناء لا يتحملون مسؤولية بعض أهل الشر" في إشارة إلى الجهاديين. وتابع "نحن لا نحمل أبدا أهلنا في سيناء المسؤولية" عن الهجمات التي يقوم بها الجهاديون، مشددا على أن "الإرهاب موجود في كل محافظات البلاد".

ووجه الرئيس المصري "الشكر لكل مصري شريف في سيناء. الفترة صعبة وقاسية ولكن لو لم نقم بهذه الإجراءات (لمكافحة الجهاديين) فإن سيناء ستضيع منا".

ومنذ أن أطاح الجيش بالرئيس الإسلامي محمد مرسي في 2013 بعد احتجاجات شعبية ضده، تخوض قوات الأمن وخصوصا في شمال ووسط سيناء مواجهات عنيفة ضد جماعات جهادية متطرفة، بينها الفرع المصري لتنظيم الدولة الإسلامية (ولاية سيناء) المسؤول عن شن عدد كبير من الاعتداءات الدامية في البلاد.

وندد المتحدث الرسمي باسم الجيش المصري تامر الرفاعي، الاثنين، بتقرير هيومن رايتس ووتش، التي زعمت فيه وجود "أزمة إنسانية" في سيناء بسبب العملية العسكرية التي يقوم بها الجيش لمكافحة الإرهاب، وأن المعركة في سيناء تخنق إمدادات الغذاء والدواء للآلاف من السكان.

وقال الرفاعي "تم تداول التقرير بالاعتماد على مصادر غير موثوقة نهائيا".

وتابع "نحن نوزع الحصص الغذائية بصورة مستمرة على الأهالي في مناطق العمليات" التي "لا تشمل كل محافظة شمال سيناء".

واعتبرت المنظمة الحقوقية، ومقرها نيويورك، أن "حملة الحكومة المصرية ضد فرع تنظيم الدولة الإسلامية في شمال سيناء، خلفت ما يصل إلى 420 ألف شخص في أربع مدن في شمال شرق البلاد بحاجة ماسة إلى المساعدات الإنسانية".

وتابعت أن "السلطات حظرت بيع أو استخدام البنزين للمركبات في المنطقة، وقطعت خدمات الاتصالات لعدة أيام في كل مرة. وقطعت المياه والكهرباء بشكل شبه كامل في معظم المناطق الشرقية من شمال سيناء، بما في ذلك رفح والشيخ زويد".

ورد الرفاعي بالقول "ليس هناك أي قطع للكهرباء والمياه، هذا الكلام ليس صحيحا". وأضاف أن الجيش ينسق مع وزارتي التموين والصحة وجهاز مشروعات الخدمة الوطنية "لتوفير اللحوم والدواجن والقمح والدقيق وأنابيب البوتاغاز للأهالي بصفة مستمرة". كما أكد "دعم المستشفيات والوحدات الطبية بأنابيب الأوكسجين والأدوية والأمصال اللازمة".

وتؤكد مصادر مصرية أن التقرير مغرض، ويحمل الكثير من الادعاءات المنافية للواقع، مشيرة إلى أن المعركة معقدة في سيناء وأن الجيش الذي دفع ثمنا باهظا من أبنائه وجنوده، من مختلف الرتب العسكرية، يعمل جاهدا على حماية المدنيين بكل الطرق. وتؤكد هذه المصادر أن من أسباب طول هذه المعركة وتأخر الحسم حرص الجيش المصري على المدنيين، وعلى عدم إخلاء سيناء من سكانها، وفق ما يريد ويردد البعض.

وبالتزامن مع الحرب العسكرية ضد الإرهاب، تعمل الحكومة المصرية، على تحريك السلاح التنموي من خلال بعث عدة مشاريع تنموية.

وقال إبراهيم محلب، مستشار الرئيس المصري ومستشار رئيس المشروعات القومية والاستراتيجية، إن مشروعا لتنمية سيناء يجب أن يكتمل في 2022 بتكلفة تصل إلى 275 مليار جنيه (15.6 مليار دولار)، واصفا المشروع بأنه "مشروع أمن قومي".

وتبلغ التكلفة التي قدرها محلب للمشروع بنحو ثلاثة أمثال التكلفة التي قدرها السيسي عند الإعلان عنه في ديسمبر الماضي.

خطط تنموية

ومنذ سنوات يشن متشددون هجمات على الجيش والشرطة في محافظة شمال سيناء التي تفتقر إلى مشروعات البنية الأساسية وفرص العمل. وعلى النقيض منها تعج محافظة جنوب سيناء بالمنتجعات السياحية على البحر الأحمر.

وقال محلب إن المشروع يشمل خططا لإقامة شبكة طرق ضخمة ومجتمعات عمرانية ومشروعات صناعية وأربع محطات لتحلية مياه البحر ومستشفيات وشبكة للصرف الصحي. وشدد على أن "تنمية سيناء مشروع أمن قومي".

لكن، اللواء نبيل فؤاد مساعد وزير الدفاع الأسبق، استبعد فكرة الانتهاء من تنمية سيناء بحلول عام 2022، لأن البنية التحتية تكاد تكون غير موجودة، والوقت غير كاف لطبيعة الظروف الراهنة والمستقبلية. وأضاف في تصريحات لـ"العرب" أن طبيعة الجغرافيا في سيناء صحراوية ورملية، وبالتالي فهذه مهمة صعبة للغاية، لأن الحكومة لا يمكن أن تقوم بالتنمية بالتزامن مع خوضها للحرب ضد العناصر الإرهابية.

وأشار إلى أن البدء في التنمية يتطلب أولا القضاء على الإرهاب، والبيئة الحاضنة له داخل سيناء، لافتا إلى أن كل المؤشرات تصب في اتجاه قرب نهاية الإرهاب.

وأوضح أن التنمية الشاملة والقضاء الكامل على التنظيمات الإرهابية ومنعها من النشاط مرة أخرى يحتاجان إلى تعديل معاهدة السلام مع إسرائيل، حتى يتسنى لمصر وضع قوات عسكرية في المنطقة (ج) أي في وسط سيناء، لأن سحب القوات من المنطقة يعني أنها ستظل بيئة حاضنة للإرهاب.

وتنص اتفاقية السلام التي وقعتها مصر وإسرائيل عام 1979 على أن تكون منطقتا (ب) و(ج) منزوعتي السلاح، وطلبت مصر أكثر من مرة تعديل الاتفاقية بما يسمح لها بنشر قواتها في المنطقة وكانت إسرائيل والولايات المتحدة ترفضان، باعتبار واشنطن الراعية للاتفاقية، أي تعديلات عليها، وفي كل مرة تدخل مصر قواتها للمنطقة يكون بتنسيق مسبق مع الجانب الإسرائيلي.

وفي المقابل، قال اللواء زكريا حسين، المدير السابق لأكاديمية ناصر العسكرية، إن إنجاز تنمية سيناء خلال الأربع سنوات المقبلة لا يرتبط باستمرار العملية العسكرية التي تخوضها قوات الأمن هناك إلى تلك الفترة من عدمه، تحديدا وأن عدم استقرار الأوضاع الأمنية على مدار العامين الماضيين لم يمنع من التوسع في المشروعات التنموية بشكل كبير بعيدا عن مساحة لا تتجاوز 24 كيلومترا في منطقتي رفح الحدودية مع غزة والشيخ زويد.

وأضاف في تصريحات لـ"العرب" أن المؤشرات الأمنية على أرض الواقع تؤكد على أن مواجهة الإرهاب لن تستمر حتى العام 2022، وأن قوة العناصر الإرهابية المتواجدة حاليا هناك تمثل 10 بالمئة فقط من إجمالي قوتها قبل عامين من الآن، إلى جانب أن تقارير العملية العسكرية التي تجري حاليا تشير إلى أنه تم القضاء على حوالي 85 بالمئة من إجمالي العتاد والسلاح والعناصر البشرية المنتمية إلى العناصر الإرهابية الموجودة هناك.

وأوضح أن التحدي الأكبر الذي سيواجه الحكومة المصرية خلال السنوات المقبلة يرتبط بمدى قدرتها على إعادة توطين المواطنين في مساحات سيناء الشاسعة والتي تصل إلى 60 ألف كيلومتر، وبالتالي فإن إنجاز عملية التنمية في تلك الفترة من عدمه سيرتبط بالقدرة على توفير بنية تحتية جاذبة لمواطني الدلتا وبدو سيناء الرحل على الانتشار بكثافة في وسط وشمال سيناء.

ترامب راض عن قمة الكوريتين

❏ **واشنطن** – أعلن الرئيس الأميركي دونالد ترامب أن التحضيرات "تسير بشكل جيد جدا" استعدادا للقمة التي سيعقدها مع الزعيم الكوري الشمالي كيم جونغ أون، وذلك بعد اتصال هاتفي بالرئيس الكوري الجنوبي الذي التقى كيم الجمعة.

وكتب ترامب على تويتر "أجريت للتو حديثا مسهبا وجيدا جدا مع رئيس كوريا الجنوبية مون. الأمور تسير بشكل جيد جدا، يجري العمل على تحديد موعد ومكان اللقاء مع كوريا الشمالية". وذكر أنه أبلغ رئيس الوزراء الياباني شينزو آبي بـ"المفاوضات الجارية".

ويرتقب أن تعقد القمة التاريخية بين ترامب وكيم جونغ أون في موعد أقصاه يونيو. وكان وزير خارجيته الجديد مايك بومبيو التقى الزعيم الكوري الشمالي خلال عطلة عيد الفصح في زيارة سرية قام بها في وقت كان لا يزال مديرا لوكالة الاستخبارات المركزية "سي.آي.إيه"، وكشف عنها لاحقا.

والجمعة، أعلن ترامب أنه تم اقتراح "مكانين أو ثلاثة" لاجتماعه بالزعيم الكوري الشمالي قبل أن يشير إلى "بلدين" محتملين.

وكان تحدث سابقا عن خمسة مواقع محتملة. وذكرت شبكة "سي بي إس نيوز" استنادا إلى مصدرين لم تحدد هويتهما، أن البلدين المطروحين هما منغوليا وسنغافورة. غير أن رئيس وزراء سنغافورة أفاد السبت بأنه لم يتلق أي طلب رسمي في هذا الصدد. وقال لي هسين لونغ للصحافيين خلال اجتماع لقادة رابطة دول جنوب شرق آسيا (آسيان) "قرأنا المقالات ذاتها مثلكم في الصحف عن المواقع التي قد يعقد فيها اللقاء بين الولايات المتحدة وكوريا الشمالية". وأضاف "لم نتلق دعوات أو طلبات رسمية".

وجرت قمة تاريخية الجمعة بين كيم جونغ أون ورئيس كوريا الجنوبية مون جاي، حيث تعد الزعيمان خلالها بالعمل على إزالة الأسلحة النووية من شبه الجزيرة الكورية وإرساء سلام دائم فيها.

وسيسعيان إلى الالتقاء هذا العام مع الولايات المتحدة وربما الصين، وكلاهما من الأطراف الموقعة على وقف إطلاق النار عام 1953، "بهدف إعلان نهاية للحرب، وتحويل الهدنة إلى معاهدة سلام وإقامة سلام دائم وراسخ".

وجاءت الانفراجة في العلاقات بين الكوريتين هذا العام في أعقاب عام من التوتر خلال 2017، أثارت فيه الاختبارات الصاروخية المتعددة التي أجرتها كوريا الشمالية احتجاجات دولية عنيفة، وشهد تبادلا لعبارات الإهانة بين ترامب وكيم.

وينسب ترامب الآن الفضل في التغييرات التي حدثت في موقف الرئيس كيم إلى تصريحاته الصارمة إزاء كوريا الشمالية، وإلى العلاقة التي بناها مع الرئيسي الصيني شي جين بينج، كما قال الرئيس الأمريكي إن "أقصى درجات الضغوط" بما في ذلك العقوبات وغير ذلك من إجراءات العزلة الاقتصادية ستستمر إلى أن تكمل كوريا الشمالية نزع سلاحها النووي.

لقاء تاريخي بكل المقاييس

خصوصية المسلمين في أميركا مخترقة من قبل أحداث 11 سبتمبر

حضور دائم ومقلق للأف بي آي في مناطق عيش الجاليات العربية

رقابة معكوسة

بعد أحداث 11 سبتمبر 2001، أصدرت الإدارة الأميركية قانون مكافحة الإرهاب (باتريوت أكت) الذي منح وكالات المخابرات الأميركية صلاحيات غير مشروطة تحت حجة الحرب على الإرهاب وحماية الأمن القومي الأميركي، للتجسّس على الناس، داخل الولايات المتحدة، وفي مختلف أنحاء العالم وجمع المعلومات عنهم، لكن ماذا عن عمليات التجسس على الجاليات المسلمة في أميركا قبل أحداث 11 سبتمبر، تحت أي مبرر كان مكتب التحقيقات الفيدرالي يجند المخبرين ويخترق خصوصية المسلمين الأميركيين. سؤال تطرحه علياء مالك في مقال نشر مؤخرا في مطبوعة "ذو نيويورك ريفيو أوف بوكس"، ويقدم قراءة لفيلم وثائقي حديث حول هذه القضية من إعداد آسيا بونداوي حمل عنوان "ما هو شعورك عندما تكون مراقبا".

❑ **نيويورك** – في سنة 2001، عندما كانت آسيا بونداوي في السادسة عشرة من عمرها استيقظت في الليل بسبب أضواء ساطعة اخترقت غرفتها.

نظرت آسيا من النافذة لتجد رجلين يتسلقان عمود إنارة ويعبثان بأسلاك مصابيح الشارع التي وضعت حديثا.

أسرعت آسيا إلى غرفة أمها خائفة وطلبت منها الاتصال بالشرطة. لكن، الأم الأرملة حاولت تهدئة ابنتها وقالت لها "لا مشكلة، ربما يكون الأف.بي.آي فحسب. ارجعي إلى سريرك ونامي".

اليوم، لم تعد آسيا تلك الفتاة الصغيرة، لكنها كبرت وكبر معها إحساس بأن هناك دائما من يراقبها، وهي اليوم صحافية ومنتجة أفلام، مهتمة بمتابعة قضية تجسس الأف.بي.آي على الجاليات المسلمة وتأثيرها على المجتمع الأميركي بشكل عام.

آسيا بونداوي، صحافية ومنتجة أفلام أميركية، أعدت مؤخرا فيلما وثائقيا حول عمليات تجسس لمكتب التحقيقات الفيدرالي على السكان المسلمين في بلدة بريجفيو من ولاية إلينوي، يسبق تاريخها أحداث 11 سبتمبر 2001.

توثق آسيا، وهي من أصول جزائرية، قصتها مع مخبري الأف.بي.آي في فيلم وثائقي حمل اسم "ما هو شعورك عندما تكون مراقبا"، (إنتاج 2018) انطلاقا من تجربتها في بلدة بريجفيو من ولاية إلينوي، التي تضم قرابة 200 عائلة أميركية من أصول عربية مسلمة.

وتقوم آسيا بجمع أجزاء الحقيقة التي تقول إن حيّها الصغير كان بالفعل هدفا لتحقيق سري ضد الإرهاب قام به أف.بي.آي بيد أنها مازالت لا تعرف الكثير من الخصوصيات بما في ذلك لمَ فتح التحقيق وهل انتهى أصلا؟

وجاء في بطاقة الفيلم التعريفية أنه يتضمن عشرات الآلاف من صفحات وثائق مكتب التحقيقات الفيدرالي، اطلعت عليها آسيا، وتثبت أن بلدتها الصغيرة كانت موضوعا واحدا ضمن أكبر عمليات التجسس الفيدرالي في الولايات المتحدة قبل أحداث 11 سبتمبر 2001.

الخوف والانعزال

تقدم علياء مالك، قراءة لمحتوى هذا الفيلم، في أحدث أعداد مطبوعة "ذو نيويورك ريفيو أوف بوكس"، منطلقة من عدة أسئلة: ماذا يعني أن يعيش شخص تحت رقابة دائمة وأن يكبر مراهق وهو يشعر دائما بأن هناك من يراقب أدق تحركاته؟ كيف يؤثر ذلك على حياة لشخص ما؟ ماذا يفعل ذلك للقدرة الكامنة لدى فرد أو أسرة أو حي أو مجموعة؟ وما هي تأثيراته على المجتمع عموما؟

تقول آسيا إنه بحلول العام 2001، أصبح أف.بي.آي دائم الحضور في كل مكان في بلدتها. وكانت أول زيارة لعملاء مكتب التحقيقات لمنزلهم لمقابلة والدها قبل ذلك بسنوات. كان والد آسيا الذي توفي سنة 1999، أستاذ رياضيات في جامعة ولاية شيكاغو، وكان أيضا نائب رئيس المسجد المحلي.

كانت سيارات مجهولة تقف لساعات أمام المنازل، ورجال لا تبدو عليهم سمات الفقر والخصاصة يتظاهرون بالتنقيب في حاويات القمامة في الحي، ومازالت تتذكر تلك الخشخشة الغريبة على الخط عندما يتكلم أحدهم على الهاتف.

لا أحد من الأشخاص الذين زارهم أعوان المخابرات في تلك السنوات يعرف بالتحديد لماذا وضعوا تحت الرقابة، وإن كانوا هم أنفسهم أو أشخاصا آخرين أو الجالية برمتها هي المستهدفة، أو إن ساهم أي طرف من هؤلاء في عملية التجسس الرسمية. وهكذا بدأ الخوف والانعزال ينتشران في صفوف الجالية المسلمة في المنطقة.

يراوح الفيلم بين الشخصي والسياسي بينما تحقق آسيا في مسألة ما إذا كانت الجالية التي تربت فيها بالفعل تحت الرقابة الحكومية الرسمية على مدى أكثر من عقد من الزمن.

وتقول علياء مالك إنه لا يقدم إجابة قاطعة، بخصوص تفاصيل علمية التجسس التي تعود إلى عقود قبل أحداث 11 سبتمبر.

لكن، تسعى آسيا من خلاله إلى الكشف عن الحقيقة عن طريق العمل جاهدة إلى إقناع أعضاء الجالية المترددين بالكلام، لكن الكثيرين يرفضون الإجابة على أسئلتها، بل يلمح البعض منهم بأن عليها أن تكون أكثر احتراما لمكتب أف.بي.آي.

ويدفع صمت السكان، آسيا إلى البحث في قصاصات الصحف والوثائق التي رُفعت عنها السرية. واستنادا إلى دلائل وجدتها في تلك الوثائق تقدمت بعدة مطالب حرية الحصول على المعلومة لدى الأف.بي.آي ووزارة العدل لكن رُفضت جميعها.

بيد أن ذلك لم يثن عزمها وهي الآن تقاضي الأف.بي.آي ووزارة العدل لإجبارهما على إطلاق الوثائق المطلوبة التي أقرت الحكومة بأنها تتجاوز 30 ألف صفحة كطريقة للاعتراض على ثقل عبء ما تطلبه. وقضت المحكمة لفائدتها. وتلفت عليا مالك إلى أن آسيا اطلعت على قرابة 5000 صفحة من الوثائق، إلى حد هذا الشهر، ويأتي المزيد كل شهر تطبيقا لقرار المحكمة.

تصحيح النظرة

تقدّم آسيا في هذا الفيلم نفسها وإخوتها وأمها، على أنهم أشخاص يملكون شخصيات جذابة، كطريقة للفت النظر لما حدث لأناس لم يتعاطفوا مع الإرهابيين لكنهم لم يسلموا من أحكام الناس السلبية.

وبالإضافة إلى التحقيق في عملية التجسس الأميركية تأخذ آسيا على عاتقها محاولة تصحيح نظرة الكثير من الأميركيين للمسلمين، إذ تعمدت تضمين مشاهد مفعمة بالحيوية لنفسها وأصدقائها يتزلجون على العجلات ويأكلون الحلويات ويلتقطون صور سلفي في احتفالات العيد ونزهات تملؤها البهجة، وهو ما يمثل اتهاما بمدى الإجحاف الذي يتم به تصوير هذه المجتمعات عموما.

لكن النقاد قد يرفضون هذه الصورة، وفق علياء مالك، باعتبارها صورة تلميعية حيث ارتابت عملية أف.بي.آي بأن الهبات الخيرية التي يتلقاها مسجد بريدجفيو كانت تساعد حركة حماس. لكن لم تؤيد المحكمة أيا من هذه الشكوك ولم تفض العملية إلى إدانة واحدة بالإرهاب.

مع ذلك، أدت وصمة العار الناتجة عن هذه الاتهامات إلى إزعاج حياة الكثير من الناس، وتذكر آسيا عائلات غادرت منازلها في الولايات المتحدة (بعد العيش لعقود فيها) وبدأت حياتها من جديد في بلدان أخرى. لكنها تختار بألا تتعمق كثيرا في تفاصيل المزاعم أو الصورة الأكبر (بعض الدوائر القضائية الأخرى في الولايات المتحدة استهدفت أيضا جاليات عربية مسلمة أميركية بناء على شكوك مماثلة تتعلق بمنح أموال في إطار الأعمال الخيرية)، مستخلصة بأن الحصول على إدانات ربما لم يكن القصد الحقيقي لعملية مكتب التحقيقات الفيدرالي.

> لا أحد من الأشخاص الذين زارهم أعوان المخابرات في تلك السنوات يعرف بالتحديد لماذا وضعوا تحت الرقابة، وإن كانوا هم أنفسهم أو أشخاصا آخرين أو الجالية برمتها هي المستهدفة

تشبّه آسيا تجربة مجتمعها بتجربة المساجين في سجن دائري مصمم بطريقة تسمح بمراقبتهم من قبل مركز رقابة واحد، في أوقات مختلفة. ولأن المساجين لا يعرفون من المراقب ومتى، لكنهم مع ذلك هم محفزون لتنظيم سلوكهم الخاص بهم.

تستنتج آسيا بأن الشعور بأنك مراقب ربما لا يكون فقط نتيجة لعملية الرقابة بل غايتها المقصودة. وفي حين أن محاولة آسيا فهم الخيانة المبتذلة فهما أشمل سيحتاج المزيد من الوقت، ليس ذلك هو هدفها الوحيد. وإذا كانت الرقابة ستكون جزءا منتظما من الحياة الأميركية (مثلما هو الشأن حاليا) فهي عازمة على قول ذلك صراحة. وبروح الرقابة المعكوسة، فإن بونداوي تريد "مراقبة المراقبين"، وفق علياء مالك

وللتعريف أكثر بالقضية أطلق صانعو فيلم الشعور أنك مراقب، صفحة بنفس الاسم على فايسبوك، يدعو الراغبين بمساعدتهم للتبرّع للمساهمة بإنجاز أوّل «وثائقي يحكي قصّة الحرب على الإرهاب من داخل حيّ أميركي مسلم، لإيصال صوت نادرا ما يسمع»، بحسب تعبيرهم. كما دعت الصفحة للتغريد عبر وسم أن تكون مراقبا، لنقل قصص عدد أكبر من مسلمي الولايات المتحدة الذين يشعرون أنهم مراقبون فقط بسبب ديانتهم.

خليفة الصماد الذي يقود جماعته إلى آخر المواجهات

مهدي المشاط

رئيس حوثي بدرجة مدير مكتب

صالح البيضاني

من ينظر إلى زعيم الحوثيين عبدالملك الحوثي، وإلى حصّته من الكاريزما، والطريقة التي يدير بها الصراع في اليمن، يمكنه أن يشكل تصورا سريعا ودقيقا لحجم القيادات التي يمكن أن تتفرع عن زعامته تلك.

وبقدر ما مثل مقتل القيادي الحوثي البارز ورئيس ما يسمى "المجلس السياسي الأعلى" للانقلابيين في صنعاء، صالح علي الصماد ضربة بالغة الخطورة على الصعيد النفسي والمعنوي على أنصار الجماعة الحوثية، من المفترض أن يخلف مصرعه إثر غارة جوية للتحالف العربي الخميس 19 أبريل 2018 في الحديدة، انعكاسا بالغا على تماسك الحوثيين، في ظل حالة التوازنات الهشة التي تخفي في طياتها صراعا مستعرا بين أجنحة متضاربة ومضطربة في أعلى الهرم القيادي للجماعة العقائدية والسلالية.

> المشاط يُعرف عنه أنه مثل الحوثيين في كافة المفاوضات السياسية مع القوى والمكونات اليمنية التي أشرف عليها المبعوث الأممي الأسبق جمال بن عمرو بعد الانقلاب. وقد عرف عنه نزقه السياسي، مما أدى في إحدى تلك الجولات إلى انسحاب ممثلي حزبين يمنيين بعد أن قالا إنهما تلقيا تهديدا مباشرا منه

في وقت أخذت فيه خسائر الحوثيين تتضاعف، على مختلف الأصعدة مع مرور كل يوم إضافي من رحلة الحرب والجنون التي اندلعت شراراتها الأولى في مطلع العام 2004 من إحدى الكهوف في منطقة "مران" الوعرة بمحافظة صعدة. ويبدو أنها ستنتهي هناك، وفقا لآخر قراءة للتطورات الميدانية التي أضحت على مسافة بضعة كيلومترات فقط من ذات المنطقة التي شهدت ميلاد ونهوض الجماعة الحوثية.

بلغته القاسية وملامحه الحادة التي لا تخطئها عين، ظهر الشاب الحوثي المندفع مهدي المشاط للمرة الأولى من على منصة "البرلمان" في صنعاء ليؤدي "اليمين الدستورية" كرئيس للمجلس السياسي الأعلى خلفا للصماد. فيما كان قلة من أعضاء البرلمان اليمني المختطف يجلسون بذهول واستسلام، وهم يستمعون لكلمة الرجل الذي نقلته تحولات اليمن الشرسة خلال سنوات قليلة ليتحول من متمرد حوثي مطارد في مسقط رأسه بجبال حيدان شمالي اليمن من قبل السلطة، إلى مدير افتراضي لمكتب زعيم الجماعة الحوثية الذي ظل يتقاسم معه ذات الكهف خلال حروب صعدة، لينتهي به المطاف في أبريل من العام 2018 كرئيس لمناطق الانقلاب بدرجة مدير مكتب.

أفضل الخيارات السيئة

هدّد المشاط كعادته وأطلق الكثير من العبارات العابرة للحدود، فيما كان يكافح بصعوبة للسيطرة على انفعالاته التي اشتهر بها للظهور بصورة تليق برئيس افتراضي اعتلى للتو سدّة الانقلاب، بعد أيام قليلة من مصرع سلفه الذي قتلته غارة جوية، وحولته إلى رئيس انقلابي سابق لم يحظ بأي تعزية من قبل زعماء العالم، بما في ذلك حلفاء وداعمي الجماعة الحوثية في طهران ودمشق وبيروت الذين لم يقتنعوا بأن من قتل كان يشبه الرئيس لا من قريب ولا من بعيد.

توعد المشاط في أول كلمة له بما اسماها "حرب مفتوحة" ضد قوات التحالف العربي والجيش الوطني اليمني. وقال في محاولة لتدشين ما يبدو أنها مرحلة تصعيد جديد في عمر الجماعة الحوثية إن "التحالف والقوات الحكومية أراداها حربًا مفتوحة، وعليهما تحمل عواقب ما أرادا"، لكنه ترك الباب مواربا كذلك أمام مصير قد يشبه مصير سلفه مضيفا أن "دم الرئيس الشهيد الصماد هو دم المشاط ودم كل واحد في هذا الشعب".

يقول العديد من العارفين بالشأن اليمني إن صالح الصماد لم يكن حالة مثالية في جماعته ليتبوأ صدارة المشهد الظاهري في معسكر الانقلاب في صنعاء، ولكنه كان أفضل الخيارات السيئة في ظل وسط مشحون بالصراعات الخفية والارتباطات الخارجية والداخلية المشحونة بذهنيات طائفية وسلالية معقدة.

جاء الصماد من وسط مجتمع قبلي من "بني معاذ" بمحافظة صعدة أقصى شمال اليمن، من منطقة عادة ما تصنّف بأنها واقعة بالكامل تحت تأثير الثقافة المذهبية التي نشرها الحوثيون وأسلافهم، في مجتمع منعزل لم تصل إليه بشكل حقيقي أي من الثورات السياسية أو الفكرية الناشئة في المركز اليمني. ولم يشهد أي عملية تحديث من خارج نطاق البيئة التقليدية التي ظلت لقرون تحت وطأة التأثير الفكري للون فكري واحد.

التحق بالقتال إلى جانب الحوثيين في الحروب التي تلت مقتل مؤسس الجماعة حسين بدرالدين الحوثي في سبتمبر 2004 بعد أن توسع نطاق المواجهات واستطاع الحوثيون أن يصنعوا من مقتل زعيمهم "مظلومية" أخرى تمكنوا عبرها من حشد المزيد من المقاتلين القبليين الذين امتزجت مشاعرهم بين الولاء الديني والحمية القبلية وكان الصماد واحدا من هؤلاء، وقد قذف به الولاء المطلق للفكر الحوثي ليصبح بعد ذلك أحد أبرز الوجوه القبلية في معقل الحوثيين بصعدة التي تتبوأ مكانة مهمة في السلم التنظيمي والسياسي للجماعة التي أرادت أن تجتذب المزيد من أبناء القبائل وتتظاهر برغبتها في الخروج من الصورة النمطية التي تكرست في الذهنية الشعبية كحركة دينية قائمة على الأفضلية السلالية والحق الإلهي في الحكم.

وبالرغم من إيمان الصماد المطلق بالتصورات الدينية القائمة على أفضلية السلالة التي ينتمي إليها الحوثي والتي عبر عنها ذات مرة بالقول إنه سيوصي بدفن جثمانه في الطريق المؤدي إلى ضريح حسين بدرالدين الحوثي في "مران"، إلا أن خصائص غير واضحة المعالم مستمدة من بيئته القبلية ذاتها، جعلته أكثر براغماتية ومرونة في التعامل مع العديد من المواقف السياسية إلى جانب احتفاظه بطابع الولاء الفكري والنفسي للحوثية كفكرة وقيادة وعقيدة.

وقد وقع الاختيار عليه ليكون خليفة لابن منطقته رئيس المكتب السياسي للحوثيين الأسبق صالح هبرة، حيث تم اختياره في هذا المنصب في مطلع العام 2012 كما تم فرض تعيينه بعد الانقلاب الحوثي في سبتمبر 2014 كمستشار سياسي للرئيس اليمني عبدربه منصور هادي، بعد ثلاثة أيام فقط من اجتياح الحوثيين للعاصمة صنعاء وكان الهدف من ذلك تمرير العديد من القرارات الصعبة من خلاله وفرضها على الرئيس هادي، الأمر الذي باء بالفشل.

في بيئة اجتماعية شبيهة للغاية بتلك التي نشأ فيها الصماد، ترعرع المشاط في إحدى العائلات الريفية في محافظة صعدة، غير أن ظروفا مختلفة جعلته أكثر قربا من مركز صنع القرار في الجماعة الحوثية وواحدا من المنتمين للدائرة الضيقة المحيطة بزعيم الجماعة عبدالملك الحوثي بعد مقتل شقيقه الأكبر حسين الحوثي في سبتمبر 2004، حيث أحاط حينها بالقائد الحوثي الجديد ثلة من شباب صعدة المتحمسين لمناصرته منهم بعض من رفقاء طفولته وصباه، من بينهم المشاط الذي رافق عبدالملك الحوثي في أحلك وأصعب المراحل التي مر بها الحوثيون، وشارفوا خلالها على الانهيار وتنقل معه من كهف إلى آخر، خلال الحروب التالية لمقتل مؤسس الجماعة. وهو ما منحه ميزة إضافية وثقة مضاعفة من قبل زعيم الجماعة الذي عينه مديرا لمكتبه ليصبح همزة الوصل بينه وبين مختلف قيادات الجماعة المتفرقين في الجبال والوديان، في ظل ظروف غاية في التعقيد أمنيا وعسكريا، حيث كانت الطائرات في تلك المرحلة تترصد الكهوف والجبال التي يمكن أن يتحصّن فيها الحوثي.

ملفات ساخنة

أمسك المشاط بالعديد من الملفات الساخنة والتي كانت تحتاج إلى اندفاعه المعهود وتطبيقه الحرفي لتوجيهات وإرادة زعيم الجماعة وكانت أولى تلك المهام خارج إطار حروب صعدة الست توليه مهمة إخلاء بلدة "دماج" في صعدة من آخر مظاهر التنوع الثقافي والمذهبي، من خلال إشرافه على طرد وتهجير السلفيين في المنطقة، بعد قصف وحصار استمر بين عامي 2013 و2014.

وقد توسعت المهام التي كلف بها المشاط بعد ذلك عبر توليه إدارة الملف السياسي الذي كان يديره بصلاحيات شاملة ممنوحة له من زعيم الجماعة. اتضح ذلك من خلال دور المشاط في المفاوضات بين الحكومة اليمنية والحوثيين قبيل اجتياح صنعاء وتوقيعه على وثيقة اتفاق السلم والشراكة في دار الرئاسة بصنعاء ممثلا لجماعته التي كانت تحاصِر القصر آنذاك.

كما مثّل المشاط الحوثيين في كافة المفاوضات السياسية مع القوى والمكونات اليمنية التي أشرف عليها المبعوث الأممي الأسبق جمال بن عمرو بعد الانقلاب. وفي جميع تلك المحطات من الحوار السياسي، عرف عن الرجل نزقه السياسي، واحتدامه في النقاش مع الأطراف الأخرى، ما أدى في إحدى تلك الجولات إلى انسحاب ممثلي حزبين يمنيين بعد أن قالا إنهما تلقيا تهديدا مباشرا منه.

نسبت الكثير من التهديدات والرسائل غير الدبلوماسية للمشاط، وتشتهر في هذا السياق مقولة شهيرة لعراب الدبلوماسية اليمنية عبدالكريم الإرياني الذي شاءت الظروف أن يجلس في إحدى تلك المفاوضات في أواخر عمره وجها لوجه أمام المشاط، خرج منها بمقولته الشهيرة التي قال فيها "من غضب الله عليه أمد في عمره حتى يحاور مهدي المشاط" في تعبير صريح عن سوء وفداحة الانطباع الذي تولد في مخيلة سياسي ودبلوماسي مخضرم قاد خلال مسيرته الطويلة المئات من جولات المفاوضات السرية والعلنية مع أطراف داخلية وخارجية، ولكنه لم يصادف مثل هذا النموذج من المفاوضين من قبل.

وعقب إحكام الحوثيين سيطرتهم على العاصمة صنعاء، تحولت طبيعة عمل المشاط من مدير لمكتب عبدالملك الحوثي نتيجة ما تقتضيه ضرورة بقائه في صنعاء كمندوب سامي لزعيم الحركة وممثل لإرادته التي يديرها من خلف ستار سميك.

وقد تعمقت ثقة الحوثي بالمشاط حتى منحه صلاحيات غير مسبوقة لإدارة ملف الحوار السياسي داخليا وخارجيا، من خلال مشاركته في مفاوضات السلام اليمنية بين الحكومة والحوثيين التي رعتها الأمم المتحدة في الكويت منتصف العام 2016، وهي المفاوضات التي عمل المشاط على التعبير عن مواقفه المتصلبة إزاءها من خلال مواقع التواصل الاجتماعي التي حوّلها إلى منصة لتوجيه الاتهامات غير المسبوقة لجميع الأطراف، بما في ذلك المبعوث الأممي السابق إلى اليمن إسماعيل ولد الشيخ أحمد الذي اتهمه بالعمالة والارتهان لما وصفها بدول العدوان.

بين مرحلتين

استطاع الصماد بمرونته السياسية غير المألوفة عند الجماعة الحوثية أن يتزعم تيارا ضعيفا داخل جماعته، سعى من خلاله إلى تكوين جبهة داخليه لمواجهة الحكومة الشرعية والتحالف العربي، وقد اقتضى ذلك أن يخطط بمشاركة القيادي الآخر في الجماعة يوسف الفيشي لعقد اتفاق شراكة مع الرئيس السابق علي عبدالله صالح وحزبه، تتضمن إنشاء حكومة ومجلس سياسي أعلى لإدارة المناطق الخاضعة لسيطرة الانقلاب.

نجح ذلك المسعى في إعلان ما تسمى "حكومة الإنقاذ الوطني" برئاسة عبدالعزيز بن حبتور، وكذا تأسيس المجلس السياسي الأعلى برئاسة الصماد، وهي مؤسسات تم تشكيلها بالمناصفة في محاولة لإنهاء حالة الازدواج والصراع داخل أروقة المعسكر الانقلابي.

وقد جوبهت خطوات الصماد والفيشي بمعارضة واسعة من جناح الصقور في الجماعة الحوثية الذي لم يكن يؤمن بجدوى الحلول السياسية، منساقا بحالة غضب ثوري وأيديولوجي. وكان محمد علي الحوثي وأبوعلي الحاكم ومعهما المشاط في مقدمة القيادات الحوثية التي سعت لإفشال الاتفاق بين صالح والحوثي، ودفعت لاحقا باتجاه إنهاء أي دور سياسي لحزب المؤتمر، ولو تطلب الأمر تصفية علي عبدالله صالح نفسه.

وقد تعزز موقف تيار الصقور في إحدى اجتماعات المجلس السياسي الأعلى في مايو من العام 2017 عندما خسر الصماد أحد أبرز حلفائه بعد إجبار الفيشي على الاستقالة من المجلس، ليحل محله المشاط، ما اعتبر بداية لمرحلة المواجهات التي تصاعدت فيها الخلافات بين الرئيس اليمني الراحل وحزبه وانتهت بإقدام الحوثيين على قتل رئيس حزب المؤتمر والأمين العام للحزب عارف الزوكا في الرابع من سبتمبر 2017 وهي المرحلة التي اضطلع فيها الصماد بدور جديد واقعي ولكنه غير أخلاقي. حيث عمل على احتواء قيادات حزب المؤتمر في صنعاء والإبقاء على الحزب كشريك شكلي بعد مقتل صالح، ولكن بعض المراقبين يعتقدون أن خلفه المشاط لن يبقي طويلا على حالة الشراكة الصورية تلك مع بقايا حزب المؤتمر الواقعين تحت الحصار الحوثي في صنعاء، انطلاقا من معرفة سابقة بطريقة تفكيره السياسي ورصيده الطويل مع فكرة الصدمات.

> مرحلة تصعيد جديدة في عمر الجماعة الحوثية يدشنها المشاط اليوم، بتصريحه بأن «التحالف والقوات الحكومية أراداها حربا مفتوحة، وعليهما تحمل عواقب ما أرادا»، لكنه يترك الباب مواربا كذلك، أمام مصير قد يشبه مصير سلفه، حين يضيف قائلا إن «دم الرئيس الشهيد الصماد هو دم المشاط ودم كل واحد في هذا الشعب»

● التطبيق الحرفي لتوجيهات وإرادة زعيم الجماعة يجعل من المشاط رجل المهام القذرة الحساسة، وقد كانت أولى تلك المهام خارج إطار حروب صعدة الست توليه مهمة إخلاء بلدة "دماج".

● تحولات اليمن الشرسة تنقل المشاط خلال سنوات قليلة من متمرد حوثي مطارد في مسقط رأسه بجبال حيدان شمالي اليمن، إلى مدير افتراضي لمكتب زعيم الجماعة الحوثية، لينتهي به المطاف رئيسا لمناطق الانقلاب.

فنان يؤمن أن الحروف أمّةٌ من الأمم

خالد الساعي

ساحر الخط العربي الذي يجلب ابن مقلة إلى زماننا

إبراهيم الجبين

❏ "نهوند" و"صبا" و"حجاز" و"عجم" و"بيات" وغيرها، لم تعد أسماء مقامات موسيقية عربية وحسب، بل مقامات حروفية يطلقها الفنان التشكيلي والخطاط السوري خالد الساعي على حالات لوحاته، حين تلتوي حروف الخط الثلث صانعة كائنات نباتية جديدة تعرّش وسط اللوحات.

عرفت الساعي قبل سنوات بعيدة، أثناء الجامعة، كان طالبا نحيلا هادئا يشتغل على الشذرات السوداء التي يجمّعها من شجرات الجوز في فناء بيته، ليطحن المسحوق ويحوّله إلى أحبار للكتابة تروق للقصبة.

ومن ضفاف الفرات إلى ضفاف بردى حيث عاش الساعي طيلة سنوات إقامته في دمشق، كان النهر يجري في اللوحة مع الحروف. تجربة تتفوق على ذاتها كل مرة، بالكشف البطيء الذي يشبه عمل الكيميائي، وبالتجديد النسبي في تشريح الحرف وأبعاده وثناياه.

تراث الأسطوات الكبار

يتحدر الساعي من أسرة توارثت حرفة الخط عبر الأجيال. يقول "كان أجدادي من الخطاطين المميزين وكذلك والدي وإخوتي كلهم خطاطون، وعندما كان عمري أربع سنوات كنت أقلّد إخوتي دون أن أعرف أن ما أكتبه هو حرف الدال أو هو حرف السين أو الصاد، كنت فقط أمسك القصبة وأخط".

درس في كلية الفنون الجميلة بدمشق وحصل على الماجستير. كان غائبا طيلة الوقت في ذلك العالم، عالم الحروف وموسيقاها البصرية.

> الساعي يقول لـ«العرب» إنه «اختار التوجه نحو اللون بالتوازي مع الحرف»، لتتشكل مع الزمن تجربة خاصة جدا لم يشهدها هذا الحقل في العصر الحديث، تجرأت على تطويع الخط العربي دون أن تهينه بكسره أو خدش تقاليده وقواعده المقدسة لدى الخطاطين، لكنها زجت به في عالم لوني جديد

ولم يكد يمضي وقت قصير على تخرّجه، حتى كان يعرض أعماله في معارض فردية في ميتشيغن في الولايات المتحدة الأميركية وفي معهد العالم العربي في باريس في فرنسا.

لقد كان بوسع الساعي أن ينهج نهج الخطاطين الكبار ويبقى في إطار الخط التقليدي المألوف، وهو علم قائم بحد ذاته له رواده ومتاحفه ومقتنوه في دول العالم، لكنه فضل التوجه نحو اللون بالتوازي مع الحرف. فأخذت تتشكل مع الزمن تجربة خاصة جدا لم يشهدها هذا الحقل في العصر الحديث وتجرأت على تطويع الخط العربي دون أن تهينه بكسره أو خدش تقاليده وقواعده المقدسة لدى الخطاطين، لكنها زجت به في عالم لوني جديد، متأثرا بالخطاط حامد الأموي والخطاط سامي أفندي وأحمد القرى حصاري ومحمد أمين. بهذه الروح أنجز الساعي جدارية كبرى على أحد أسوار أصيلة في المغرب، بجوار قصر الثقافة بالمدينة العتيقة "سماها سفينة" وقبلها كانت جداريتها في المكان ذاته بعنوان "ربيع الثورات".

أفق ابن عربي المغاير

خلال مسيرته، حصل الساعي على الجائزة الأولى في الخط العربي المعاصر من البينالي الأول للخط في الوطن العربي في الشارقة في الإمارات العربية المتحدة. وحصل على الجائزة الأولى عن أسلوب خط الجلي الديواني من المسابقة الدولية السابعة للخط في إسطنبول بتركيا. ودرّس الخط العربي في جامعات عديدة في أنحاء العالم.

أعماله مقتناة في العديد من متاحف وبنوك الفن في العالم، مثل المتحف البريطاني، متحف دنفر، كولورادو الأميركية، متحف سان بيدرو في المكسيك، متحف الفن الحديث المغرب ومتحف الشارقة لفن الخط.

قبل سنوات كان الساعي يردد عبارة الشيخ محي الدين بن عربي، ويقول إن "الحرف العربي أمّة من الأمم". كان يؤمن بما قال ابن عربي "إن الحروف أمّة من الأمم، مخاطبون ومكلفون، وفيهم رُسُل من جنسهم، ولهم أسماء من حيث هم، ولا يعرف هذا إلا أهل الكشف من طريقنا، وعالم الحروف أفصح العالم لسانا وأوضحه بيانا». وعلى عكس المتوقع، فإن قرين القصبة والكتابة اليدوية لا يرى في التقنيات الحديثة والكمبيوتر تهديدا للخط العربي، بل إنه يعتبر أن الكمبيوتر قد قام بتنزيه الخط عن البشاعة. وحماه من الأيدي المستاهلة التي بات من الأهون لها أن تستعمل الكيبورد ليبقى الخط للأيدي الأنيقة العارفة.

يقول الساعي لـ"العرب" عن التكنولوجيا والفن إن "التقنية ستفتح أبوابا كثيرة للخط. التقنية اخترعها ويسيرها الإنسان وهي تختصر الزمن. إذ من غير المعقول أن أذهب للمدينة المجاورة على العربة أو الحصان عوضا عن القطار أو غيره. التقنية أيضا تفتح آفاقا جيدة إن كان خلفها فنان يسير ويدير العملية. معظم أعمال الفن الحديث تتجه إلى تقنيات الكمبيوتر أو الفيديو وغيرهما. وهي أفق مغاير ومهم لكنه ليس حصريا، ولا يهدد بل يساعد في الفن، من ناحية ما".

"لوحتي في غليان مستمر" يقول. ويضيف إنها "لم تعد لوحة في بعض الأحيان، أصبحت منجزا جماليا، أو فنيا يحاكي الشعور والقلق والأفكار والطموح. الآن أعمل على مواءمة الحرف مع الطبيعة في تجربة فريدة تمزج الخط مع الطبيعة والتصوير. وهناك بعض الأعمال التركيبية التي يمتزج فيها الفراغ والمادة مع الضوء واللون. التقنية فتحت لي باب البحث على مصراعيه على الصعيد الفكري قبل التقني، وفي هذا السياق، أقوم بالإعداد لمعرض عن طبيعة (اللوار) الفرنسية، ستكون تجربة فريدة عن الطبيعة والشعر، وستكون أعمالا تركيبة وفيديو وفوتوغرافا وخطا، وهذا سيكون في 2019".

الحرف هو الهوية

الحرف هو الحضارة العربية وهو الهوية العربية. والخط مادة قابلة لاستيعاب كافة الحمولات والمعارف، في يقين الساعي، الذي يذكّرنا بما قاله بيكاسو عما يمتلكه الحرف العربي، حيث ينقل عنه الساعي أنه كان يردد دوما "أردت الوصول إلى أقصى نقطة في الرسم، فوجدت أن الحرف العربي قد سبقني إليها. ومنذ أمد بعيد".

ويرى الحروفي السوري أن الخط الديواني على سبيل المثال، بوسعه أن يمنح ليونته ورقة حروفه بعدا رومانسيا مذهلا للعين. والكوفي بهندسته وصلابة تكوينه وزخرفته التي تجعله لغة معمارية. أما خط التعليق فهو خط رقيق خفيف بصريا، وهو خط الشعر والطيران.

في مذهبه تتعدد الخطوط العربية لتصل إلى مئتي نوع وصنف كل منها قائم بذاته. ولذلك فإن الساعي يعد واحدا من أفضل عشرة خطاطين عالميين اطلعوا، ومارسوا أكبر قدر من الخطوط العربية.

الخلق والابتكار

الباحثة الألمانيّة كارين أدريان فون روكس المتخصصة في الفنون الإسلاميّة والعربيّة المعاصرة، ألفت كتابا خاصا، رصدت فيه تجربة الساعي بإصغاء كبير إلى ما تقوله خطوطه.

تقول فون روكس إنه "لم يكن ممكنا ضمان الوضوح والجمال في الخط العربي إلا بتطوير منهج مناسب، وضع أسسه في القرن العاشر الوزير ابن مقلة، ثم قام ابن البواب بتجميل وتطوير قواعده الهندسيّة، إذ حدد حرف الألف بوصفه وحدة قياس تفرعت إلى ستة أساليب أساسيّة، أو ستة أقلام، انسلت منها أساليب أخرى".

ترى فون روكس أن الساعي ابتكر أسلوبه الحروفي الخاص، وألقى نظرة من الخارج إلى الداخل. إلى ذاته، ومن تعرفه على ذاته، انتقل ليتشرب الحكمة فيبدع أولى لوحاته. تقول إنه "لا يكتب حروفه وكلماته بخط مستقيم، وهو لا يُجمّعها في خط أفقي، كما هو سائد، بل يخطها كما لو أنه في فضاء تخيلي. وحروفه إما متقاربة أو مرصوفة فوق أو تحت بعضها البعض: متعانقة، أو متواشجة على شكل متاهة، وتبدو أحيانا كأنها ترقص على وقع موسيقى، وفق إيقاع بطيء، أو جامحة. وتارة أخرى، تبقى معلقة في الفضاء، أو تنداح من أعلى الهاوية كما تنداح الشلالات".

إنها نقطة التقاء رفيعة تلك التي يذهب إليها هذا الخطاط حاملا قصباته وكاغده المدهون بسوائله السرية. نقطة تصوف وموسيقى ونشوة. هكذا يبدو الحرف في لوحة الساعي الكبيرة الفضفاضة، ويبدو في حالات أخرى حين تصغر اللوحة لتصبح ورقة أو ملصقا أو غلاف كتاب.

يقول الساعي إن سبب استخدامه لخط الثلث في الجداريات كون "خط الثلث هو سيد الخطوط العربية وأصعبها، وهو أشدها مراسا، وإمكانياته على التعبير في البناء التشكيلي أعلى".

في صحراء ليوا في الإمارات، كان على الساعي أن يفتتح ورشة للخط العربي في "قصر السراب"، ورشة تطوير الكلمات وتحويلها إلى صور راقصة، إلى جانب أعماله التي عرضها متحف الشارقة في المكان ذاته بجوار لوحات حروفية لخطاطين من الصين وبريطانيا وفرنسا.

تمكن الساعي من إدخال الخط العربي إلى أماكن جديدة لم يكن ليخطر لزوارها أن يروا حروفه فيها، فعرضت عليه دار "رولز رويس موتورز كارز دبي" الجمع بين التاريخ العريق للعلامة التجارية العملاقة وتجربة الساعي الحروفية، فقام برسم لوحة من الأكريليك والزيت بقياس 3×4 أمتار تبرز بريق رولز رويس وفي الوقت ذاته سحر دوامة الحروف العربية الفاتنة.

لكن هذه المرة لم تكن الأولى التي تعاملت فيها رولز رويس مع الساعي الذي كان قد صنع لها عمله "روح السعادة" الذي يتوسّط مقرّها في دبي، وهو عملٌ فنيٌ بارع يصوّر الرمز الشهير للعلامة، مصنوعاً من الحروف في لوحة بحجم 320 ×420 سم.

مستقبل الحروفية

يزهو الساعي في حديثه لـ"العرب" بأنه قد زار معظم بقاع العالم "بفضل الحرف، من أميركا الجنوبية والأخرى وأوروبا وأفريقيا وبقية العالم". يقول "في الفن ليس ثمة وصول مطلق. كلما تدرك ما تبغيه، تبدو وكأنك تشرف من على جبل لترى آفاقا أخرى وأسئلة أخرى. الحرف كما يقال حافة برزخ، لكنه شرك تقع في بعده الجمالي والدلالي، وبالتالي عليك الخوض فيهما يعني التبحر في علم جمال الحرف ورمزيته وبالتالي التعامل مع لغتين؛ لغة الجمال ولغة الدلال. الحرف أوصلني لمعرفة ثقافتي أكثر، لغتي وآلية تفكيري، وتقنيا دخلت في عوالم لم أكن أتصور التعرض لها والتعامل معها، كالتعاون بين فنون الأداء والحرف، كان يتحول الحرف لفن أداء لحظي بالتوازي مع الموسيقى ويصبح الحرف كائنا موجودا. الحرف عرّفني على العالم وعلى نفسي، علمني أن أكون منفتحا لكل صيغ الفن والجمال روحيا، ليتحقق السلام الداخلي عندي، لا بد وأن للحرف من دور في ذلك. التجربة الخطية كممارسة، هي أحد سبل التعامل مع جوهر الإنسان، أليس الحرف خطاباً يهدئ روع النفس؟الحرف إذا هو رفيقي وصنوي".

عمله الضخم "الثورة السورية" والذي تبلغ أبعاده 3×11 مترا، يراه الساعي بمثابة بانوراما تتحدث عن تلك الثورة الدامية، منذ بدايتها السلمية حتى مراحل القصف والتشريد واللجوء. عمل يصف الحب والحلم، ليصل إلى تداعيات الألم والمأساة والدمار.

عن بلاده تلك يقول الساعي إن هناك ما يقوم به الآن، ويضيف "اخترت اللون بالتوازي مع الخط. وهناك ما أخطط له وأعمل عليه على المدى البعيد. سيكون لدي معرض ضخم في متحف الفن الإسلامي (بيرغامون) ببرلين عن سوريا التاريخ والثقافة والصور، سيضم أكثر من 17 ألف صورة. وسأقوم باختيارات شعرية وأدبية وفلسفية عنها، وكله سيكون بلبوس اللوحة الخطية وسأعمد إلى تقنية الكولاج. الأرض السورية ملتقى حضارات وخزان ضخم للفكر والأدب والفن، وأنا أعمل على تشخيص ذلك، وسيكون عماد لوحتي الحرف وعناصر كثيرة أخرى سترفده".

الخط العربي بوضع مقبول، كما يرى الساعي، لكنه وضع شائك، فتقنيا، هناك العديد من المهرجانات والفعاليات بشتى أنحاء العالم، وأيضا هناك وعي بدأ ينهض عن الاهتمام بهذا الفن، لكن معظم ذلك ضمن إطار تقليدي، والمستوى التنظيري والفكري ضعيف جدا، والأهم أنه ليست هناك مؤسسات جادة تعنى به بشكل كاف.

يعتقد الساعي أن "المجتمع منقسم على فكرة اللوحة الخطية الحديثة، فمنهم من يراها تنتمي للماضي وتتعلق بالدين وهم لا يفضلون ذلك، والمجتمع التركي خير دليل، فلا تجد خطاطا محدثا، فقط تجد التقليديين".

ويختم بالقول "لكن الشيء الإيجابي بشكل عام، هو أن هناك أعدادا كبيرة تمارس هذا الفن، وهذا مؤشر جيد. في العالم غير الإسلامي تحصل بعض الفعاليات والأنشطة الكبيرة عن الخط العربي، ولأن الغرب سابق فكريا وتنظيميا، فهو يقدم أفكارا مختلفة ومهمة، كمعرض 'فن الكلمة' الذي نظمه المتحف البريطاني، وهذا يعود بالخير على الحرف، أعني طريقة تفكير الفنان الخطاط، وأين يقع تصنيفيا في هذا العالم ومدى فاعليته".

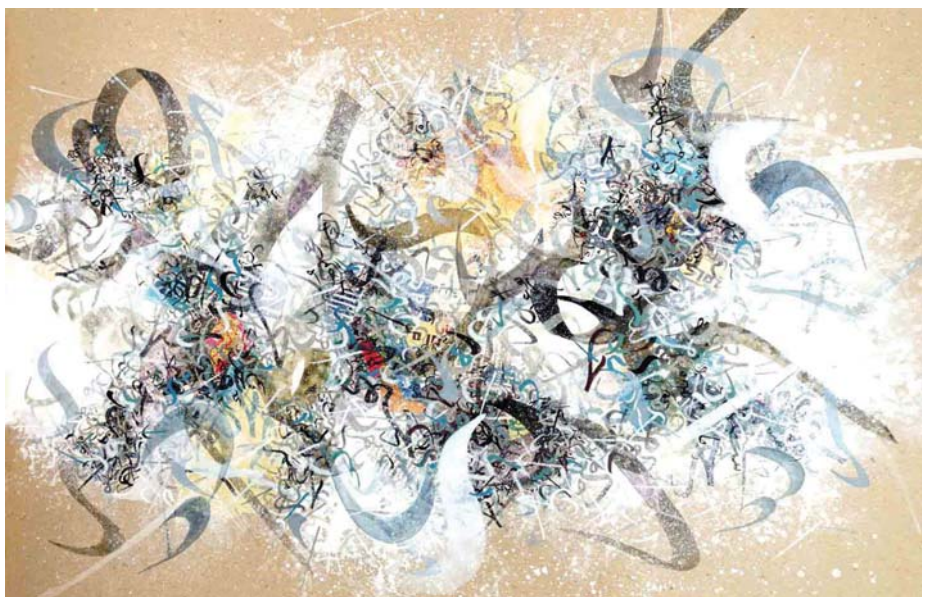

الأجيال الأدبية

منهجية غير واقعية

محمد حياوي
كاتب من العراق

❏ يرتبط تكوّن ما يمكن تسميته بالأجيال الأدبية أو الفنية غالبا بالمتغيرات السياسية أو الاجتماعية الكبرى التي تحصل في بلد معين أو إقليم، كالحروب والمجاعات والأمراض والكوارث والاكتشافات التكنولوجية الكبرى وغيرها، وليس بالضرورة حسب التصنيف الزمني، وهذا ما يؤكده الناقد الأدبي المتخصص في البحث الاجتماعي روبرت فول الذي يؤكد على أن الأجيال الأدبية لا تولد بطريقة تلقائية حسب الحقب الزمنية، بل إن الأحداث هي التي تصنع تلك الأجيال.

أما الناقد والباحث الأمريكي هارولد روزنبرغ فيقترح ضمنا ارتباط الجيل - الأدبي أو الفني - بالخطاب الذي ينتجه أو الذي يتجسد نقديًا نتيجة مجمل أعمال أفراده، لكنه مع ذلك يرفض المصطلح واستخدامه لأن الجيل ليس له معنى ثابت أو متفق عليه حسب رأيه.

عربيًا أكثر من اشتغل على قضية التجييل هم أدباء الستينات نقادا ومبدعين، بعد أن اسهمت ظروف عدة في بلورة هذا الجيل عربيا، أهمها الصحوة القومية والمدّ العروبي اللذان أعقبا نكسة حزيران وما تلاها وانتشار الأيديولوجيات، لا سيّما اليسارية، فراحت الأجيال المتعاقبة تقلدهم بعد أن تصدى الكثير من النقاد للتصنيف ومحاولة إيجاد ما يبرر وحدة تلك الأجيال نقديا، فصرنا نسمع عن جيل الخمسينات ثم جيل السبعينات والثمانينات وهكذا. وهي من وجهة نظري ظاهرة لا تمت للإبداع بصلة، لأن المبدع الحقيقي الفرد منشغل بمشروعه الذاتي وتطويره من دون التعكز على المجايلة، و لأن الإبداع الحق لا يمكن تعليبه أو توحيد ملامحه أو تجميعه في خانة واحدة ليسدّ كامله نقص ضعيفه، وبهذا تتساوى المواهب افتراضيًا محتمية تحت يافطة الجيل الواحد.

لقد أسهمت ظروف عدة في العراق مثلا في تكريس ظاهرة الأجيال، فكان العهد الملكي في الأربعينات والخمسينات والاسترخاء الذي شهدته الحياة الاجتماعية آنذاك، كفيلًا في بلورة رؤى من كتب وبرز فنيًا في تلك المرحلة لتجمعه مع أقرانه بعض الملامح المشتركة، ثم دخلت مرحلة الستينات بصخبها الأيديولوجي وعصر الهزائم القومية الكبرى، لتكتسب ملامح خاصّة ظلت مهيمنة على الساحة الإبداعية لعقود طويلة ما زالت آثارها شاخصة حتى الآن، ليولد تحت ظلها جيل ضائع وقع تحت هيمنتها وانمحت سماته

* لوحة: عمران يونس

سُمي في العراق جيل السبعينات الضائع، بعد ذلك نشبت الحرب العراقية الإيرانية التي امتدت على مدى ثماني سنوات فنتج عنها أدب حربي تعبوي كان كافيًا لتجييل من ظهر في تلك الفترة وأينعت تجاربه الفنيّة تحت لهيب النّار، ليسمى لاحقًا جيل الثمانينات الذي ظل مهيمنا على الساحة الأدبية في العراق حتى سقوط بغداد تحت الاحتلال الأمريكي في العام 2003 لتظهر تجارب مختلفة ومتمردة وعصية على التجييل، تجاوزت فنيًا كافّة الأجيال التي سبقتها، وهي ليست جيلا محدد الملامح أو متقاربا زمنيا، بل خليط من بقايا الأجيال السابقة واللاحقة كلها، وهذا دليل على أن قضية التجييل في الأدب والفنون ليست واقعية ولا تمتلك مسوغاتها النقدية حسب رأي هارولد روزنبرغ السابق، إنما يحاول المشتغلون في الآداب والفنون رسم ملامحهم وتجسيد منجزهم الفني بعيدًا عن أيّ إسقاطات مسبقة، بل أنني أزعم بأن أحد أهم الشروط في العملية الإبداعية هي الاستقلالية والتفرد وامتلاك الملامح الخاصة بكل مبدع.

ويلاحظ عالم الاجتماع ديفيد كيرتزر أن "تعدد المصطلحات وتوظيفها في الخطاب التحليلي هي فضيلة بحد ذاتها، لكنّها قد تصبح عبئا في حالة التحليل العلمي، وعلى الرغم من أهمية فكرة الأجيال بالمعنى النقدي لفهم التغيرات والملامح الثقافية، إلّا أنّ دراسة الأجيال بحد ذاتها لم تلعب دورا كبيرا في تطوير النظرية الاجتماعية.

معارف الناقد المسرحي

عواد علي
كاتب من العراق

❏ يُعد النقد المسرحي أصعب من النقد الأدبي، لأنه يتعامل مع خطاب مركّب من مجموعة عناصر أدبية وفنية بصرية وسمعية، في حين أن النقد الأدبي يتعامل مع خطاب أداته اللغة فقط. وقد أصبح النقد المسرحي في العقود الأخيرة أكثر تعقيدا إثر انفتاحه على المناهج النقدية والعلوم الإنسانية الحديثة، وصارت تنهال عليه معارف ومفاهيم ومصطلحات شتى، أخذ بعض النقاد يوظفها في مقارباته (التنظيرية والتطبيقية).

لكن إشكالية كبيرة نتجت عن ذلك في قسم غير قليل مما يُصنف ضمن هذا النوع من النقد في الثقافة العربية، أبرزها غياب الدقة، والقصور المعرفي والمفهومي في استخدام المصطلح، وجهل دلالته أحيانا، والخلط بينه وبين مصطلح آخر له اشتغاله في حقل آخر غير الحقل الذي يشتغل فيه الناقد، أي توظيفه في منهج نقدي غير المنهج الذي تشكّل في رحمه، علما أن المصطلح وثيق الصلة بالمنهج، ويفقد شرعيته خارج توظيفه، ما جعل من تلك المصطلحات، في أحيان كثيرة، مجرد كيانات بلا ذاكرة ولا تاريخ ولا مستوى معرفي. وأعزو شخصيا هذه الإشكالية إلى ضعف ثقافة بعض ممارسي النقد المسرحي الطارئين، ومحدودية خبرتهم، فباتوا يخبطون خبط عشواء في مقالات أو متابعات صحفية للتجارب المسرحية التي يشاهدونها، تشوبها نزعة انطباعية أو معيارية، مما أدى إلى الإساءة إلى تلك التجارب أكثر من الإسهام في تحليلها أو استكشاف جمالياتها.

وإزاء ذلك أرى أن ممارسة النقد المسرحي تقترن بجملة معارف وخبرات لا بد من توافرها لدى الناقد المسرحي، أهمها ثلاثة: أولها المعرفة المنهجية، فالمنهج النقدي، بتعدد مشاربه، أداة مساعدة على سبر أغوار الخطاب المسرحي، يقوم على آليات وأدوات إجرائية تتحقق مع التجربة المسرحية المراد استنطاقها، أو تحديد القراءة النقدية المناسبة لها.

وهذا لن يتحقق إلاّ من خلال الممارسات والتجارب النقدية المتواصلة التي يكتسبها الناقد عبر تمرّسه على مختلف التجارب المسرحية. لكن المنهج النقدي يجب أن يقترن برؤية نقدية مترشحة عن عالم الخطاب المسرحي، فلا قيمة لرؤية نقدية لا تستند إلى منهج، ولا قيمة نقدية لمنهج منفصل عن الرؤية النقدية، التي هي خلاصة الفهم الشامل للفعالية الإبداعية في نواحي نسجها وبنيتها ودلالتها وتأويلها.

ثانيها الأهلية والكفاءة، فالناقد يُفترض أن يكون ذا ثقافة واسعة، وقدرة على تحليل النص المسرحي والعرض، وإذا ما لجأ إلى التأويل فيُشترط أن يكون تأويلا يحترم الخلفية الثقافية للنص والعرض، ويراعي نواياهما وفق قواعد وضوابط تأويلية يمكن من خلالها الحسم في صحة التأويل، وليس على وفق رغبات الناقد، أو استنطاقهما استنطاقا موضوعيا من خلال الأنظمة العلاماتية والشيفرات التي يقومان عليها.

وبتعبير آخر ألا يكون تأويل الناقد تأويلا حرا يفتقر إلى ضوابط تأويلية، ولا يحترم مقاصد النص والعرض، كما يقول أومبرتو إيكو. أما الشرط الثالث فهو امتلاك الناقد المسرحي خبرة وممارسة مسرحية، ذلك أن الناقد المسرحي القادم من خشبة المسرح، والعارف بأسرارها، ومعاناة المشتغلين في فضائها أكثر كفاءة في مقاربة التجارب المسرحية من الناقد القادم من عالم الأدب.

فالأول أكثر دراية بأدق تفاصيل التجربة المسرحية من المخاض إلى الولادة إلى النضج. إنه يدرك كيف يقرأ المخرج النص المسرحي، ويجري تعديلات عليه، ويؤوله ويجسّده على الخشبة مضفيا عليه حياة جديدة وتكوينات مشهدية وحركية وجماليات نابعة من حساسيته ومخيلته، وكيف يشكّل رؤيته ويصوغها من خلال جميع مكونات العرض المسرحي، وكيف يمكن أن يعبث به ويخونه، أو يحافظ على كينونته باشتغال دراماتورجي واع وذكي، وكيف يفهم الممثل الشخصية التي يؤديها، ويصنع له حضورا ويشد المتلقي إليه بأدائه المتناغم مع طبيعة الشخصية، وأداء أقرانه في العرض.

إن افتقار الناقد المسرحي العربي إلى تلك المعارف والخبرات أدى، حسب رأيي، إلى شيوع كتابات ومتابعات صحفية يشوبها القصور والإنشائية، والجهل أحيانا، في قراءة التجارب المسرحية، إذ تطغى عليها الانطباعية والأحكام القيمية والمعيارية المتعسفة، القاطعة كحد السيف، والتعليقات والشروح المبسترة والمجاملة والمحاباة أو التسقيط.

* تخطيط: محمد عبدالرسول

سؤال عن حال القصّة

عبدالغني فوزي
كاتب من المغرب

❏ ليس الإكراه الموضوعي وحده، المتمثل في عدم تفعيل الآليات الثقافية على اختلاف أنواعها؛ الشيء الذي يحول دون إيصال القصة للناس أفرادا وجماعات. بل هناك ما هو ذاتي قريب من لحمة القصة والذي يولد من رحمها، ليغذيها ويقوّي مناعتها. فإذا به يجزّئها ويجعلها أسمالا في أسمال، تبحث عن ردائها فلا تجد إلاها في شتات القبائل والدوائر. من ذلك على سبيل التمثيل:

النقد الذي لا يفهم دوره ورسالته، أعني النقد الذي لا يسعى لأي إنصات للتجارب والصيغ الجمالية؛ قصد إنصاف الاختيارات الحكائية. النقد على هذه الشاكلة يعمل بشكل مقنع، تكون معه النصوص عبارة عن تعلات فقط لخدمة الأصول النظرية. وفي المقابل غياب ذاك الحوار بين الناقد والنص. في هذا السياق، كثيرة هي الوصفات النقدية التي تسيء للإبداع، وبالأخص منها تلك التي تحوّل المبدعين إلى تلاميذ تحت سقف النظرية؛ أو تقوم بتشطير أهل القص إلى أجيال وجماعات. وفي ذلك الكثير من التعميم والاختزال الذي ينتفي معه شرط الاختيار الجمالي والتجربة الإنسانية والخصوصيات الرؤيوية.

ماذا فعل القصّاصون المغاربة لإنصاف أنفسهم، وحراسة حرثهم ونسلهم من الجرافات العمياء؟ اختاروا صنع إطارات ـدون مجد- ونواد قدمت خدمات لا يمكن التنكر لها من قبيل تعارف القصّاصين ضمن خيمتهم المترحلة دوما، وتغذيتها بالبحث المرجعي والترجمة.. لكن في غياب وسائط إعلامية يبقى الفعل القصصي محدودا. قليلة هي الإطارات التي تشتغل وفق آليات وتصوّرات؛ وبإمكان ذلك أن يقدم تشخيصا قصصيا، أعني الوضعية القصصية والتي حين يتدخل فيها الواقع لأنها تتحرك ضمنه بين صده وبلاغته الخاصة، تتحول إلى وضعية شبيهة بالوضعيات الاجتماعية والسياسية، فتتأثر كغيرها بمشكلاته البنيوية. ومن الملاحظ أن الكثير من القصاصين المغاربة بدأوا يلتفتون حولهم، ويقرون بحقائق مرة في التلقي المعطوب ضمن سقف ثقافي مرفوع بالكاد.

الجميل، أن بعض هذه الإطارات دفع في اتجاه رفع سقف القصة، وتخصيص يوم وطني لها (لأن العالمي لا دعم حكوميا له، فالشعراء في المغرب أقرب إلى الوزارات من كتاب القصة)، أقول أجمع قصّاصو الأمة في نجمهم الأحمر على تخصيص 28 أبريل يوما وطنيا للقصة. لكن الملاحظ، وها هو يتكرر أن الاحتفاء يتم بشكل بارد، كما علاقتنا ببصلنا اليومي، دون أن تمر القصة بالمؤسسات التعليمية، وأن تمر القصة بالشارع وتعلن أردیتها.. وأن تربك ترتيب السؤال الثقافي بالصحافة والوسائط السيارة.. على أي حال ستُقرأ قصص وقصص، وفي الخلف ستتغزل بها أوراق وأوراق ترفع من شأنها وسقفها الساقط منذ الجملة الأولى كما يقول البعض. وحين ينفضّ الجمع، تبقى القصة في المفترق بين غربتها في واقع وجحود القصّاصين والنقاد المتفرقين سبلا والمتسائلين في قارة عصماء مفارقة عن الخيار الجمالي، وعن المعجزة في الحكي.

ذات لقاء ثقافي، سألت القاص أحمد بوزفور عن الوضع القصصي، وعن هذا التراكم، وعن التقليد والتجريب. فقال على تأففه، الكتاب المغاربة يبتدئون تجريبيين وينتهون تقليديين، نظرا لإكراه النشر والحلقية القصصية أيضا.. وقلت أيضا ينتهون هادئين متأملين كما قصصهم، وربما ذاك أحسن وأرفق بكتابة ينبغي أن تبحث عن توغلات وامتدادات في متون خام وحواش غرائبية قد تفوق غرائبية القص كتقنية بلاغية. إذا حصل سيكون الرقص مرفوقا ببعض الموسيقى والشعر.

إطارات قصصية تعمل دون تنسيق، امتد تأثيرها للمبدعين والنقاد. فتحوّل الكل الأدبي إلى جماعات تغذي المجاملات وتخلق التكتلات دون ساحات أو معارك حقيقية تعارك الأسئلة المعطلة، للانتساب عرقا للحقيقة المنفلتة باستمرار كما السمكة التي نشتهي حياتنا فيها. وإذا التبس الأمر بالقصة، فإنهما على قدر من الفيض والسباحة ولو في المستنقع! وتلك قصة أخرى.

المسرح العربي

ثقافة العرض المسرحي وحال المسرح في العالم العربي

تنشر "العرب" في هذا العدد بالاتفاق مع مجلة "الجديد" اللندنية ملفا عن المسرح العربي.

يتضمن الملف مقالات لمسرحيين ونقاد وباحثين من المغرب، سوريا، لبنان، البحرين، مصر، يتناول بعضها ظواهر محددة يعيشها المسرح العربي اليوم، ومحاولات لإنقاذه من عثراته وأزماته المزمنة على يد جيل جديد من المسرحيين العاشقين لفن المسرح والمؤمنين بدوره الثقافي والاجتماعي، ويستعرض بعضها الآخر تجارب رواد مسرحيين عرب عملوا وأبدعوا في ظروف صعبة، ورسخوا أسس وتقاليد مسرحية مهمة، وشبّان تشربوا خبرات هؤلاء الرواد، وأصبح لهم حضور لافت في مسارح بلدانهم ومهرجانات المسرح العربي، من خلال أعمال تفاعلت مع الفنون المجاورة للمسرح كالسينما والرقص التعبيري (الكيروغرافيا)، وانفتاحها على الوسائط التكنولوجية (التقنية الرقمية)، رغم أن هذه الأعمال قوبلت أحيانا بالتشجيع والحفاوة وأحيانا أخرى بالرفض والإقصاء.

الملف المنشور هنا اختير من ملف أكبر نشرته الجديد في عددها الأخير، لشهر نيسان ابريل، ويتضمن 17 مقالة وشهادة وبحثاً في المسرح العربي. ويرصد بعض المشاركين في الملف واقع المسرح في حياة العرب الثقافية، ويطرح أسئلة جوهرية عن مدى إسهامه، وكيفية إسهامه في إضاءة قضاياهم المصيرية الكبرى، والصراعات والنكبات التي تشهدها مجتمعاتهم، ودوره في المواجهة الشرسة بين التيارات العقلانية والتنويرية والتحديثية من جهة والتيارات الظلامية والارتدادية المعاكسة للسيرورة التاريخية، ومكانته بين الأشكال الإبداعية الأخرى. وفي سياق مقارب لذلك تبحث إحدى دراسات الملف في مسألة تأصيل المسرح العربي، أو هويته الضائعة بين الكلاسيكية والحداثة.

إلى جانب ذلك، يحتوي الملف المذكور على شهادتين، الأولى لكاتب مسرحي من مصر، يتحدث فيها عن مسيرته التي بلغت الآن ربع قرن كتب خلالها الكثير من النصوص المسرحية، والثانية لمخرج من العراق يعرض فيها إحدى تجاربه في "مسرح مايم خيال الظل العربي"، وهو لون مسرحي تخصص فيه صاحب التجربة، ويندُر وجوده في المسرح العربي.

* **قلم التحرير**

تعاظم دور المخرج

نوال بنبراهيم
ناقدة وأكاديمية من المغرب

❑ سجلت بعض عروض المسرح العربي المعاصر تطورا ملحوظا في العقد الأول من الألفية الثالثة بسبب مجموعة من العوامل، أبرزها تفاعلها مع الفنون المجاورة الأخرى مثل فن الأداء، وانفتاحها على الوسائط التكنولوجية، فأبدعت حساسية جديدة أعادت النظر في النص المسرحي وأداء الممثل والسينوغرافيا وأساليب الإخراج والعلاقة مع الجمهور.

هذا من جهة، ومن جهة أخرى أدركت أن المسرح العربي في حاجة إلى تحديث فرجته أكثر من حاجته إلى الحنين للماضي أو الدفاع عن الهوية والموروث الثقافي والاجتماعي والقيمي في وجه زحف الحداثة، أو التأرجح المأساوي بين إنجازات الآخر وإمكانية إثبات الذات.

وعليه، فقد واكب الشباب العربي تغييرات المسرح الغربي ومستجداته واقترحوا تجارب مسرحية قوبلت أحيانا بالتشجيع والحفاوة، وأحيانا أخرى بالرفض والإقصاء، منها: المسرح الوسائطي، المسرح السردي، مسرح المواقع الأثرية، مسرح الشارع، المسرح الاستيعادي...

تسعى هذه المداخلة إلى قراءة بعض هذه التجارب والوقوف على مساهمتها في إحداث تغيير الفرجة المسرحية العربية المعاصرة من حيث علاقة النص المسرحي بالعرض ومن حيث أثر الأسلوب الإخراجي في تغيير الأبنية الفنية والجمالية.

> واكب الشباب العربي تغييرات المسرح الغربي ومستجداته واقترحوا تجارب مسرحية قوبلت أحيانا بالتشجيع والحفاوة، وأحيانا أخرى بالرفض والإقصاء، منها: المسرح الوسائطي، المسرح السردي، مسرح المواقع الأثرية، مسرح الشارع، المسرح الاستيعادي

لقد شكلت فترة الستينات وبداية السبعينات من القرن الماضي منعطفا فرجويا في المسرح العربي على مستوى التأليف وصناعة الفرجة من خلال الانفتاح على الفرجة التقليدية وتكييف تقنياتها مع الفن المسرحي.

ونعيش حاليا منعطفا فرجويا آخر في السنوات الأخيرة مع بعض العروض التي تتميز بخاصية أساسية وهي عدم تركيزها على النص الدرامي من حيث هو وسيط يوجه الحدث المسرحي، بل يحضر كمادة تتفاعل مع فنون الإنجاز فوق الخشبة. لذلك قدمت دراماتورجيا بصرية موسومة بجمالية مكثفة. وأخرج المخرجون عروضا بصرية تعرض صورا لا نجد لها أجوبة جاهزة تعتمد على لغة الحوار البصري ولغة تداعي الأنساق البصرية في الفضاء، وتتجاوز القواعد المتعارف عليها لأنها تعتمد على الفنون المجاورة وتركز على الأداء.

لقد سطر المسرح العربي منعطفا فرجويا جديدا بفضل اجتهادات المبدعين على مستوى التأليف والإخراج والسينوغرافيا والأداء حيث ينقب عن طرائق بديلة لصناعة الفرجة. غير أن التجارب المتحدث عنها لا تختزل المسرح العربي المعاصر، بل هي جزء من توجهاته ومقارباته وحساسياته المتنوعة، لأننا نجد عروضا مسرحية متشبثة بالتصوّر المسرحي التقليدي، في حين ابتكرت عروض أخرى تصورات مختلفة ومقاربات تعتمد اختيارات أدائية وتقنية ووسائطية.

النص المسرحي وتحدياته

يبدو ذلك من خلال ابتعاد المسرح العربي المعاصر على الارتكاز على النص الدرامي بالشكل التقليدي وعلى فكرة ترجمة المخرج للنص على الخشبة، بل أصبحت الفرجة المسرحية منفتحة على كل الافتراضات انطلاقا من الانفتاح على فنون الأداء؛ الغناء والموسيقى والرقص والتشكيل... وانفتاحها كذلك على الوسائط الحديثة.

استثمرت المسرحيات الحكي بشكله المتقطع والمتشرذم وجعلته يذوب في حكايا غامضة حيث نجد حكاية داخل حكاية أخرى، أو حكاية تقابل أخرى وتناقضها لتترك المتفرج تائها بين أجزاء الحكايا المفككة حيث يتداخل الواقع والحلم وتجلياته، كما تقدم أحداثا جزئية ومفككة. لهذا لا نجد بداية ووسطا ونهاية بالمفهوم المتعارف عليه سابقا، كما يصعب الحديث عن شخصية بعينها داخل المسرحية، فكل شخصية لها رؤيتها الخاصة تدور في نطاقها تسرد حياتها ومعاناتها وتعبر عن حالة فردية، وإن كانت في بنيتها العميقة تحيل على شريحة كبيرة من الناس.

مارس مؤلفو هذه المسرحيات حرية في القفز من فضاء إلى آخر ومن زمان إلى آخر، فكل القفزات الفضائية والزمانية صارت ممكنة، وهو الأمر الذي سهل التلاقي والاستمرارية، حيث كانوا متأثرين بالسينما ومونتاجها، ومعتمدين على كولاجات تجمع الماضي بالحاضر، والخيالي بالواقعي، لأنها لا تبحث عن تركيب جمالي شامل، بل تراهن على التجزئة واجتهاد المتفرج في تلقي الإرساليات لأنها لا تقدم عملا مسرحيا متكاملا.

وعليه ظهر المسرح السردي مثلا "دموع بالكحول" و"خريف" لفرقة أنفاس، و"نزف" لفرقة مسرح لأجل سكان الجبال، و"شجر مرّ" لفرقة أفروديت، و"حادة" لفرقة دابا تياتر.

نجد في المسرح السردي سردا خاصا وحالة فردية حيث يسرد المؤدي حياته ومعاناته من أزمة معينة وحالة نفسية مثل نص "خريف" لفاطمة الهوري، غير أن هذه المعاناة قد توجد لدى شريحة كبيرة من الناس. إنه يحكي معاناة امرأة من مرض السرطان، ويكشف لنا يوميات مريضة؛ آلامها، أحزانها، نظرة الآخرين إليها، تشرذمها، وأحاسيسها الهشة. إن الحوار في هذا النص نقدي حيث لا نجد مفهوم الحوار لصالح الحدث، بل هو انتقاد للحدث لأنه مفتوح على مجموعة من السنن، فهو ذو طبيعة إخبارية وليس إيهاميا.

مسرح المونولوج حيث يكون الحوار بين الذات والذات، ذاكرة شخصية أو وساطة داخلية بين الشخصية وذكرياتها. والنص ليس نهائيا، بل يظل مفتوحا على أفكار جديدة ورؤى أخرى وفنون أخرى خاصة وأن التقنيات التيكنولوجية تسمح بممارسة التقطيع والكولاج، والتفكيك وإعادة التركيب، فمثلا عرض "نزف" يحكي حكاية امرأة تعيش حياتها كنزيف ليس بمعناه البيولوجي بل الوجودي، فتصوّر مقاطع من حياتها وذكرياتها وتعتمد الانعكاس الذاتي وتوظيف الوسائط.

دراماتورجيا المتفرج تركز على حوار المتفرج، حيث تنظم حلقات نقاشية مع الجمهور حول موضوع معين، فيتمّ استدعاء الفنانين والممثلين والجمهور إلى نقاشه، وتكون أفكارها نقطة انطلاق العرض، مثلا تجربة فرقة دابا تياتر مع جواد السنني وفرقة أكواريوم مع نعيمة زيطان تنظمان حلقات نقاشية مستقلة حول محور معين مثلا "العنف"، تليها كتابة نصوص مسرحية.

عرض خريف إخراج أسماء هوري (المغرب)

تعاظم دور المخرج وصار يمارس نوعا من الحرية عندما دخل تجربة التأليف الثاني المعتمدة على مقارباته التقنية والبصرية والأدائية والوسائطية بحيث لم يعد يكتف بعملية التنسيق بين مختلف الإنجازات التي تخص العرض، بل صار مبدعا يمارس التأليف أو الدراماتورجيا ابتداء من النص إلى الإنجاز لذلك صار يبحث عن نصوص إبداعية أخرى يعرضها إلى جانب النص المسرحي سواء كانت رواية، قصة، شعرا، موسيقى، تشكيلا، أو أداء.

المخرج الدراماتورج

لقد اعتمد العديد من المخرجين على نصوص معدة دراماتورجيا تتلاءم واللحظة التاريخية وأفق تلقي المتفرج المعاصر واختيارات المخرج. فأعطى المسرح المعاصر دفعة جديدة من المخرجين الدراماتورجيين، يعدّون حسب تصورهم نصوصا للدراما أو نصوصا ركحية لأنهم لا يراهنون على عروض تقدم نصوصا درامية، بل على عروض أدائية لا يشكل النص إلا جزءا بسيطا؛ حوارات قصيرة، شذرات، مونولوج، وسرد.

يستثمرون المسرح السردي الذي يوظف عدة حكايا، فيذوب المسرح في حكايا غامضة لا تتبع تسلسلا معينا بل تتقابل، تتعارض، حكاية داخل أخرى، ومسرحية صغيرة داخل أخرى. مثل "سكيزوفرينيا" هو نص معدّ عن شهادة لأم عزباء، و"فيول أون سين أيضا" إعداد دراماتورجي لمجموعة من الشهادات تعتمد على السرد حيث توجد عدة مونولوجات في العمل الواحد إذ لا تلتقي الشخصيات إلا في مواقف عابرة (Fugitivement)، لأن العرض يقترح عدة وجهات نظر حول الواقع، وحيث لا تبدو حكاية كل شخصية إلا من خلال تقاطع وجهات النظر هاته. تلغي هذه المونولوجات المواقف الدرامية واللحظات القوية، فهو ليس بالحوار ولا يشبه السرد، حيث أن المؤدي الذي يسرد يحيا ثانية (Revit) كلّ ما عاشه ويبرز وجهة نظره. قد تعتمد الحوارات لكنها تكون قصيرة تتلوها مونولوجات منسابة طويلة حيث يتحدث المؤدي إلى حدّ انقطاع التنفس (L'essoufflement) ودون أن يتوجه إلى متحدث.

أيضا يعرض عرض "تمارين في التسامح" عدة قصص أو عدة أحداث متشظية وغير مكتملة ولا يمكنها أن تلتحم. ارتكز المخرج في تكوين نص العرض على أخذ أجزاء من نص تمارين في التسامح لعبداللطيف اللعبي وبعض أشعاره أعدها الدراماتورج والمخرج محمود الشاهدي للخشبة فقدم مسرحية خاصة لم تعتمد على النص الأصلي كأساس، بل على كتابة ركحية جديدة تموضعت بين نص تمارين في التسامح وأشعار عبداللطيف اللعبي وبين الكتابة الدراماتورجية التي أصبح عليها النص فوق الخشبة حيث مارس المخرج نوعا من الحرية.

لقد حاول المخرجون التدخل في النص الأصلي بتفكيكه والاقتطاع منه والإضافة إليه والاستعاضة أحيانا كثيرة عن الكلمة بالفعل البصري (الأداء والصورة في نظام تداخلي) والتركيز على الموسيقى والجوقة وعلى الغناء من أجل التخلص من وطأة الكلمة وتفكيك الحوارات. إنها طريقة جديدة للحديث عن العالم المعاصر عبر تقديم معلومات سريعة ومجزّأة متأثرا بجمالية السينما وب (Zapping) والمسرح داخل المسرح وتقنية الاسترجاع.

المخرج والأداء

ابتعدت بعض العروض المسرحية العربية المعاصرة عن مفاهيم مثل الممثل النجم، الممثل والتقمص، الممثل والاندماج، لأن الاشتغال الأساسي لدى المخرج هو إيصال أفكار ومعان، إرساليات أو تأويلات خاصة. لهذا نجده أصبح يختار إما: ممثلين محترفين، أو يمزج بين الممثلين المحترفين وغير المحترفين، أو ممثلين شباب مبتدئين (مثلا عرض الزومبي من مصر اعتمد على الطلبة)، أو على مؤدين لم يسبق لهم أن مارسوا التمثيل مثل عرض أخذ الكلمة (Prise de parole) الذي استقدم مغنية قامت بالتمثيل لأول مرة، أو عرض "حومة" من تونس إخراج حافظ خليفة وتجسيد عناصر المدرسة الوطنية للسيرك الفني التابعة للمسرح الوطني، الذي وظف مؤدي السيرك وهو عرض حركي ومشهدي ارتكز على السيرك وعنى بطقوس وعادات الحياة الاجتماعية للمدينة العتيقة، أو على مؤدي الرقص في عرض المسرح الراقص التونسي "صالة" كوريغرافيا وإخراج عماد جمعة، ويحكي عن الفوضى واليأس والعنف وعن الأوضاع المعيشية بعد الثورة.

أنواع الأداء المعتمد

إن الحضور الجسدي للممثل من العناصر الأساسية في الأدائية، رغم أن الجسد غير حاضر على المستوى الحسي والإيروتيكي والتشكيلي فحسب، إنه مكان لمعان عديدة جدا، إنه أساس لغة مفتوحة. إذا كانت الحركة في العروض التقليدية تفسر الكلمة وتحاول جاهدة أن تكون طبيعية، فإنها في المسرح المعاصر تكون مفسرة للفعل. يركز المخرج على العمل الجماعي في الأداء من أجل أن يسلب المخرج الممثل النجومية، ويعتمد على الأداء التحويلي؛ بمعنى يقفز المؤدي من أسلوب أداء إلى أسلوب آخر، ومن فن إلى آخر، كوسيلة لإيصال الفكرة، فيتعدد اللعب والأداء من حركة وإيماءة ورقص وغناء وأكروبات، إلى بناء نظام تواصلي جديد مع الجمهور.

ويتعامل المخرج مع الممثل كوحدة تقنية؛ أولا: يطلب من الممثل أن يركز على أدائه وحضوره كجسد مؤدّ بدلا من التركيز على الدور أو الحالة النفسية. ويُخضع أداءه إلى تصوره (المخرج) الخاص فيقترح قطع الحركة المستمرة لمنع تدفقها والابتعاد عن الاندماج، إذ يبقى المؤدّي حاضرا بجسده واعيا به وواعيا بالأداء الذي يؤدّيه؛ يعي أنه منفصل عن النص وأنه يقترح بناء معنى.

وثانيا: يدمجه في الوسائط فيقطع أداءه ويطلب من الممثل وقفات مفاجئة تشكل بياضات سردية، ويمارس على أدائه التقطيع، بل أحيانا يكون هذا التقطيع أساس الأداء الذي يخضع لهندسة يمليها المخرج حتى يقوم بالمونتاج الذي يرغب فيه. إنه يتعامل مع المؤدي كنظام علامة، يمكن تركيبه مع أنظمة العلامات المختلفة الموجودة فوق الخشبة الفضاء والضوء والصورة والصوت، حيث كل هذه الأنظمة تضع المعنى.

وينزاح نظام العرض عن إرسال الكلمة بالطريقة التقليدية ويوظف جماليات صوتية لفظية خاصة، ويشتغل بالأصوات المتزامنة؛ الصمت، والتشويش، وأصوات من دون معنى، والصراخ. كما يشتغل بالمعالجة الإلكترونية من أجل تفخيم الإلقاء أو تكسيره أو تكراره مبتعدا عن الإلقاء التقليدي الذي يعتمد على الأسلوب الواقعي.

الإضاءة

يركز العرض المعاصر على الإضاءة من أجل خلق لغة سردية مختلفة، فيوظف المخرج كل القفزات الفضائية والزمانية، بحيث لم يعد محدودا في إكراهات الديكور التقليدي، مثلا يهتم المراني حسن في عرض "ليام أ ليام" بالإضاءة التفاعلية ويستعملها كصورة وإيقاع، فانتبه إلى اللون والسرعة والكثافة والشكل والسرد، وأثثت الإضاءة الفضاء.

العدوّ العميق للمسرح العربي

مسرح بلا رأسمال

أنور محمد
ناقد وباحث مسرحي من سوريا

❑ هل نحن أُمّة تستهلك المسرح؛ تقرأ وتتفرّج، وتستخدمه قوّةً لعقلها، أم إننا أُمّة ثرثارة مهذارة تستسهل وتستهلك (الحكي) وتُفْرط، حدّ الإفراط والتفريط في "عقلها" الذي فيه قوّتها لتصير أمّة مجنونة، أمّة تلتهم عقلها، وتعود تعيش عبوديتها وقطيعيتها في دولة تمارس أقسىٰ أنواع القسر الجسدي والنفسي علىٰ (رعاياها)، بل وتعمل علىٰ سحق الإنسان - الرعية، وكأنّها الدويلة/ الدويلات تقوم بتقديم عرض مسرحي هو خراجُ وحشي لكن بغاية الملحمية؟ أين نذهب بالقضايا الأخلاقية والجمالية والفلسفية، وبقيم البشاعة أيضا، في مثل هذا العرض الذي تقدِّمه هذه الدويلات؟ والمسرح هو من يملك من بين الفنون كل الفنون الجرأة لفرض وجهات نظر العقل بالقوّة، لأنّ الوجود هو ممارسة للقوّة كي لا يبقىٰ الجائع جائعاً، ولا العبد عبداً، سواء استعملنا عصا الأرض أو عصا السماء.لأنّ المسرح في تاريخه يحوّل العنف، والعنف القسري الذي يمارسه المستبدون إلىٰ "سلام". فعلىٰ خشبته/ ركحه/ منصته تنتشرُ طاقة نفسية، بصرية وسمعية، تُثير وتأخذ بنا/ بسلوكنا الفطري والمكتسَب نحو صيرورته.

> لماذا لم يمر العقل المسرحي العربي في مصادفات انقلابية؟ هل لأن عقلنا عنده اكتفاء ذاتي فلا يعيش دورته الحضارية

الثابت حتىٰ الآن في حياتنا الاجتماعية أنّنا نجيد استخدام العنف الجسدي والعنف اللغوي في خطاباتنا اليومية: في المنزل، في الشارع، في العمل، في المدرسة، في دار القضاء، في المصحات الجسدية والنفسية، في مخافر الشرطة، في أقبية المخابرات، وفي.. وفي. ونعتدي به علىٰ بعضنا، فنشلّ قدرات عقلنا كي لا يفكّر، كأنّنا أشبه أو إنّنا عصابات تعتدي وتعتدي علىٰ عقلها.

هل نحن مراهقون عنفيا ومسرحيا، وهو ما يدفعنا لنخلق تلك القطيعة مع الفرجة التي تحرِّضنا علىٰ التفكير. ما هذا النمط الاستهلاكي للثقافة والثقافة المسرحية الذي نعيشه. لماذا لا نحقّق الاندماج مع المجتمعات الإنسانية بدل التفاخر بعنفنا- بالعنف الذي يمزّق ويفرّق ويهرق الدماء؟

المسرح العربي لَمْ يقُم إلىٰ الآن باستقطاب ثقافي لـ"الجماهير" رغم سحره- سحر المسرح، وهو "أبو" والدُ ومولّد الحركة الاجتماعية الثقافية. كأنّنا نضطهد المسرح، وبالتالي نضطهد الجماهير التي من المفترض أن نقيم معها علاقات اجتماعية، باعتبار أنّ المسرح -الفرجة المسرحية- هي كنز الأفكار الإنسانية العقلانية. بل منها نغترف أحلامنا باعتبار "الفرجة" مصدراً للجمال والجمال الفلسفي، لأنّ الإنسان أيّاً كان قومه ومذهبه، هو فوق الألم التراجيدي الذي يسبِّبه العوز والفقر أو الاستبداد، فيتحوّل إلىٰ كائن تعس يثير الرثاء وينشر البشاعة. وكأنّنا نقوم بقتل (الرائع) البطل.

هناك شخصيات مسرحية استثنائية في الحياة الاجتماعية العربية مثل: أبوذر الغفاري والحلاج وابن رشد والسهروردي والمتنبي... كانوا صرعىٰ أفكارهم وأفعالهم، ولقد عاقبناهم بدل أن نكافئهم. مع أنّهم شخصيات غير ارتكاسية كانت تدافع عن الجمال وبقوّة. فهم ليسوا شريرين، ولم يرتكبوا جرائم ولم ولم. وأفكارهم/ ثقافتهم هي نتيجة تجربة حياتية دافعوا فيها عن "قيم" أخلاقية وفلسفية كما عن العدالة- خاصة عند أبي ذر الغفاري، ولا يقلّون أهمية تراجيدية عن: أوديب، أغاممنون، آخيل، أو هاملت وماكبث شكسبير الذي لجأ إلىٰ الأبطال التراجيديين في القصص والحكايات التاريخية، واستقىٰ منها شخصيات وصراعات مسرحياته. وهنا يجب أن لا ننكر ولا نقلّل من قيمة ما فعله عربياً: ألفرد فرج، عزالدين المدني، سعد الله ونوس، ممدوح عدوان، عبدالرحمن الشرقاوي، محفوظ عبدالرحمن، يسري الجندي، صلاح عبدالصبور، وآخرين.

ذلك لأنّنا بحاجة إلىٰ الأبطال، إلىٰ عصر الأبطال حتىٰ نقلّل من خطر المجرمين والخونة، ولنحقّق شيئاً من السموّ. لأنّ المسرح، أو لأنّنا في المسرح نشعر ونعيش وجودنا الفيزيائي. فنحن في حركة وفي حالة لعب كون جسدنا انخرط في العملية المسرحية، في الفرجة، في عملية الترويح عن النفس وعن الجس، وفي استهلاك الزمان والمكان الذي يمر علىٰ الخشبة. لأنّنا فوقها نرى صراعاً للأفكار والمبادئ، لنتاجات الوعي. نرى ذاك الصدام التراجيدي ما بين الأساطير والواقع، وأنّ تاريخنا كان فيه مثل أولئك المفكرين النبلاء والذين شكّلوا الهيكل العظمي لنهضة العقل العربي.

لماذا لم يمر العقل المسرحي العربي في مصادفات انقلابية؟ هل لأنّ عقلنا عنده اكتفاء ذاتي فلا يعيش دورته الحضارية، فيثري الحياة الإنسانية بالإبداع الفلسفي والمسرحي كما فعل الغير، أم لأنّه كان عقلاً منصرفاً لإنتاج "الخراج" والأتاوات، وليس لإنتاج المعرفة! حتىٰ في لحظات القوّة لـ"الإمبراطورية" العربية الإسلامية حيث لم نسعَ إلىٰ خلق حالة فكرية في المسرح والفلسفة، بل أقمنا مجازر للمشتغلين في الفلسفة، وهذا ما قتل نواة "التفكير"، وكرّس مفهوم الطاعة لأولي الأمر، فلا نعيش حالة وتفوّقا ثقافياً في العلوم والمعارف الإنسانية.

حتىٰ الآن، ورغم كثرة المسرحيات والعروض والمهرجانات والندوات المسرحية، فلا مركز ولا رأسمال مسرحي عندنا.. لماذا؟ مسؤولية مَن ونحن نعيش عزلةً مسرحيةً وعزلةً عقليةً؟ لماذا لا ننتمي إلىٰ عقلنا؟ لماذا نتبرّأ منه؟ أين المطبخ المسرحي- الطبخة المسرحية، رغم ما يُصرف من أموال علىٰ "المسرحيين"؟ هل ما زلنا قبائل، أو أنّنا نفضّل أن نعيش حياة البداوة رغم مدنية المسرح؟

محيّر أمر هذه الأمّة/ الدويلات العربية، فهي رغم تدينها وتمدّنها لا تزال تشتغل بذهنية تاريخية وثنية، الولاء للوثن وليس للعقل. لأنّنا ما زلنا نأكل بعضنا، وما زلنا نغزو- قبيلة تغزو قبيلة. لم نندمج مع محيطنا الإنساني، خسرنا ولم ننتصر سياسياً ولا ثقافياً. حتىٰ أنّنا لم نستطع أن في الشعر الذي هو كما نتبجّح "ديواننا"، ولا في سائر الفنون والآداب أن نُصيّر عندنا "مركزاً" مسرحياً أو فلسفياً. بل خطوة فخطوة من انهيار تاريخي إلىٰ سقوط حضاري. حتىٰ الصدفة التاريخية لم نستفد منها لمّا جاءت عن طريق "الضرورة" فنحقّق الدولة. أينَ جاذبية المسرح، خصوبته، بريقه؟ لا يكفي أن يكون عندنا بُنىٰ مسرحية كما لو أنّها بُنىٰ صناعية لإنتاج القبّعات والأحذية. نريدُ عقلاً مسرحياً، عقلاً يؤمْن ويؤمّن الحوار بين "رعايا" الدويلات علىٰ اختلاف وتنوّع أحلامهم وآمالهم وأعراقهم وعقائدهم ومذاهبهم.

العرض الجزائري «آسف لن اعتذر» إخراج عيسى جكاطي

الهوية الضائعة

المسرح العربي بين الكلاسيكية والحداثة

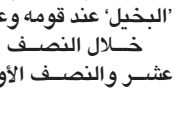

هشام زين الدين
كاتب ومخرج مسرحي
وأكاديمي من لبنان

❑ يقول يوسف إدريس في مقدمة الطبعة الثامنة لمسرحية "الفرافير" 1988: وأنت تقرأ هذه المقدمة التي كتبتها لن تحس بالاستغراب لكثير ممّا جاء فيها وكأنها أراء سبق أن قرأتها أو سمعت بها، لكنها لم تكن كذلك عام 1964، كانت شيئا جديدا تماما علىٰ المسرح العربي كله وكان مجرد المناداة بها عملا جريئا يستحق من الكاتب قطع رقبته، والآن يبدو كل شيء عاديا وليس بالمستغرب، ذلك أن هذا الرأي كان جريئا وسرعان ما أخذ ينتشر.

منذ انطلاقته الأولىٰ علىٰ يد الرائد المسرحي اللبناني مارون النقاش، وخلال أكثر من قرن ونصف القرن من وجوده، انشغل المسرح العربي نظريا وعمليا بالبحث عن هويته الخاصة، المتميّزة عن غيره من مسارح الأمم. بدأت عملية البحث هذه من خلال تظهير بعض العناصر الفرجوية والاحتفالية من تاريخ الشعوب العربية الأدبي أو القصصي أو الديني أو غيره، فاستخرجت أو استلهمت العناصر التي تحتمل التوليف وإعادة التركيب والمسرحة علىٰ وجه الخصوص، أو تلك التي يمكن إلباسها اللباس المسرحي في الشكل بالحد الأدنىٰ.

وكانت قد بدأت عملية البحث هذه منذ المسرحية الثانية للرائد مارون النقاش "أبوالحسن المغفّل أو هارون الرشيد" التي استلهم موضوعها وأحداثها من حكاية بعنوان "النائم واليقظان" التي وردت في كتاب ألف ليلة وليلة حيث برّر النقاش سبب اختياره لها بقوله إنها "أحب من مسرحيته الأولىٰ أي 'البخيل' عند قومه وعشيرته".

خلال النصف الثاني من القرن التاسع عشر والنصف الأول من القرن العشرين لم تنقطع المحاولات التي اتخذت أشكالا متعدّدة غلب عليها الطابع الأدبي الشكلاني، والتي لم تتمكن من الغوص في جوهر الهوية المسرحية ومكوناتها الدرامية المطلوبة، فبقيت مجرّد إرهاصات غير مكتملة، تم الاعتراف لها بشرف المحاولة ولم تحصد نصر الإنجاز.

في النصف الثاني من القرن العشرين شهدت حركة البحث هذه زحمة مبادرات أفرزت تحولا نوعيا كبيرا، لجهة ظهور مجموعة من المقترحات المسرحية المشغولة أدائيا وبصريا، والمدعمة بمراجع نظرية حول مسألة الهوية. تميّزت هذه المقترحات عن سابقاتها باعتمادها عناصر درامية محتملة في عملية المسرحة كأساس يبنىٰ عليه الشكل الجديد المقترح. نستعرض سريعا أهم هذه المحاولات التي اقتربت من الصيغة المسرحية بنسب متفاوتة في ما بينها، بغض النظر عن مدى اقترابها أو ابتعادها عن تحقيق الهدف المنشود، أي الهوية المسرحية. في هذا السياق جاءت صرخة يوسف إدريس تحت عنوان "نحو مسرح مصري" عام 1964، حيث استند إلىٰ أسس استلهمها من مسرح السامر المصري بهدف خلق مسرح عربي أصيل، وقد شكلت هذه الصرخة تعبيرا صادقا عن الروح الطامحة للانعتاق من التبعية للغرب ثقافيا، ثم تبعتها دعوة توفيق الحكيم في "قالبنا المسرحي" عام 1966 إلى مسرح الفرجة. وفي سوريا أطلق سعدالله ونوس مقترحه في "بيانات لمسرح عربي جديد" حيث دعا إلىٰ مسرح التسييس، ولا ننس دعوات عبدالكريم برشيد إلىٰ المسرح الاحتفالي، والفريد فرج إلىٰ مسرح السيرة والحكايات، وروجيه عساف إلىٰ مسرح الحكواتي وعلي الراعي إلىٰ المسرح الارتجالي وغيرها من الدعوات محدودة الأثر.

وعلىٰ الرغم من الأهمية التجريبية والبحثية والجمالية لهذه الطروحات والمقترحات التي استفادت منها الحركة المسرحية العربية دون أدنىٰ شك، كونها شكّلت محفزا ومحركا للإبداع والخلق الذاتي بعيدا عن الاقتباس والنقل علىٰ صعد الإخراج والتمثيل والكتابة والعلاقة مع الجمهور، إلا أنها في المحصلة النهائية انتهت إلىٰ فشل في تحقيق الهدف الكبير الذي وجدت لأجله، ولم تتمكن أي منها من خرق الإطار العام للنشاط المسرحي العربي الذي استمرّ محكوما، ولا يزال، بالقوانين والشروط التي اصطلح علىٰ تسميتها بالـ"غربية" للمسرح، وهنا لا بد من محاولة استكشاف موضوعية للأسباب التي أدت إلىٰ هذا الفشل.

عرض «العاديات» تأليف وإخراج خليل نصيرات (الأردن)

يقول الشاعر أدونيس في معرض تحليله للأسباب الكامنة وراء الفشل في الوصول إلىٰ خلق هوية عربية للمسرح "إن مفهوم المسرح ومقوماته في تناقض واضح مع الثقافة الدينية للمجتمع العربي لأن المسرح قائم علىٰ الصراع، بينما الثقافة الدينية في المجتمعات العربية تتسم بالبنية الخالية من الصراع، لأنها تقوم علىٰ الإيمان المطلق الذي لا يفسح في المجال للتساؤل، وكيف يمكن أن يزدهر المسرح في ثقافة لا يكون الإنسان في مركزها؟ فالإنسان في المسرح هو مركز الكون لكن الله هو مركز الكون في الثقافة الدينية للإنسان العربي. واللغة العربية هي لغة بيان وفصاحة أو لغة وحي وإنشاء وتمجيد، بينما اللغة المسرحية هي لغة التوتر والتناقض والقلق والصراع، وهي "لغة الحركة" بحسب أدونيس.

يلتقي هذا التحليل مع آراء مجموعة كبيرة من الباحثين والمنظرين في فن المسرح وفي المسألة الثقافية بشكل عام، ومن الطبيعي أن يكون لهذه الأسباب حجم تأثير لا يستهان به، تضاف إليها أسباب جوهرية تتعلّق بمكونات الهوية العربية السياسية والتاريخية والثقافية والاقتصادية التي تعاني من حالة تشرذم وضبابية ولم يتم التوافق علىٰ توصيفها حتىٰ يومنا هذا، لذلك نجد أن البحث عن هوية للمسرح العربي في غير محله وفي غير زمانه كونه ينطلق من أساس وهمي غير موجود في الواقع- أي الهوية العربية- إلا في أحلام الشعوب التي يملك كل منها هويته الخاصة بكل ما تعنيه كلمة هوية من أبعاد قومية وثقافية وعرقية واجتماعية. وأستعير هنا رأي الناقد المسرحي المغربي عبدالرحمن بن زيدان حيث يقول "إن المسرح العربي مسارح، والكتابة فيه وحوله كتابات، وأسلوب الإخراج أساليب، ولغة المسرح لغات وعلامات ودلالات، لأن مشارب الثقافة المسرحية العربية متنوعة المصادر، متباينة المنطلقات".

> التباين في المنطلقات والتنوّع في المصادر يدلان بوضوح علىٰ عدم وجود أساس موضوعي لهوية عربية جامعة ومتينة

التباين في المنطلقات والتنوّع في المصادر يدلان بوضوح علىٰ عدم وجود أساس موضوعي لهوية عربية جامعة ومتينة يمكن أن يقوم عليها البنيان المسرحي العربي، فاللغة الفصحىٰ الجامعة التي لا يتكلمها أي مواطن عربي بعفوية، تقابلها لهجات عربية متنوعة يصعب فهمها من غير أهلها في الغالب، والرغبة أو الحلم بالوحدة عند معظم الشعوب العربية يقابلهما علىٰ أرض الواقع السياسي تباعد وتنافر وخصومة تصل إلىٰ حدود العداء أحيانا، والتناقض الاقتصادي الهائل بين دول فاحشة الثراء وأخرى غارقة في فقر مدقع، ودول قطعت أشواطا في التحرر الاجتماعي وأخرى لا تزال تتخبط في وحول الجهل والتخلف. كل ذلك يدعونا إلىٰ التفكر والنظر في مرآة الحقيقة والتساؤل: عن أي هوية قومية نتكلم؟ وتاليا عن أي هوية مسرحية عربية نبحث؟

ينشر الملف بالاتفاق مع «الجديد» الشهرية الثقافية اللندنية والنصوص كاملة على الموقع الإلكتروني

المونودراما في المسرح العربي

تعثرات وإرباكات

يوسف الحمدان
ناقد وكاتب ومخرج مسرحي من البحرين

❏ يبدو من المتعذر على الطارق أبواب الظاهرة المونودرامية وخلفياتها الفكرية في المسرح العربي قراءة ملامحها بشكل استبصاري عميق ودقيق لأسباب عدة منها ندرة المرجعيات أو المصادر النظرية التي تعنى بهذه الظاهرة من مكتباتنا ومن مراكز البحوث والدراسات العربية حد الغياب. وغياب البيانات التأسيسية التي تستجلي معطيات وآفاق هذه الظاهرة، ومحدودية المؤسسات المسرحية (فرق/مراكز/اتجاهات) التي تعنى بشكل خاص بفن المونودراما في أغلب أقطارنا العربية. واضطراب المنحى التراكمي لظاهرة المونودراما في مسرحنا العربي، الأمر الذي يتعذر معه إقرار وجود حقيقي وفاعل لهذه الظاهرة، وندرة بل غياب الورش المسرحية التي تعنى بفن المونودراما في مسرحنا العربي، ندرة الوقوف النقدي التطبيقي على أهم التجارب المونودرامية في مسرحنا العربي، الأمر الذي يتعذر معه تبيّن الرؤى الفلسفية أو الفكرية التي تنطلق منها هذه التجارب أو تتعضد بها، قلة المحافل (المهرجانات/الملتقيات/الأيام) التي تحتفي بفن المونودراما وتطلع جمهور المسرح على أهم التجارب المونودرامية وأهم آفاقها الفنية والفكرية، وإن كان هناك ثمة أمر يستحق التقدير فهو احتفاء هيئة الفجيرة للثقافة والفنون والمسرح بهذا الفن عبر مهرجانها الدولي السنوي للمونودراما، ولعله يكون أول محفل مسرحي يعنى بفن المونودراما يتسنى لي حضوره.

> بعض الممثلين ضجروا من أسلوب أو أساليب مخرجيهم ومن سطوتهم عليهم فوجدوا ضالتهم في فن المونودراما، وبعضهم لم ينل فرصة كافية للتعبير

أجدني في غمرة هذه الكتابة كمن يستجدي البحث عن لون فني أزال تراثنا المسرحي العربي آخر ما تبقى له من أثر، وإن كان ثمة أمر "غريب" فيختزل في تجارب مونودرامية متباعدة غير حاضرة الفعل والروح والمدى، وربما غير مؤثرة وممتدة، تجارب كتجارب د. سعدي يونس في العراق ورفيق علي أحمد في لبنان وزيناتي قدسية وندى حمصي في سوريا وقاسم بياتلي في إيطاليا وعبدالحق الزروالي في المغرب وسامية زقمور في فلسطين، وعلى صعيد الكتابة أمين بكير وممدوح عدوان وكاتب السطور وغيرهم.

ولعلني أتبيّن أولى الإشكاليات في ملامح ظاهرة المونودراما ذاتها، حيث استفحل الخلط بين الراوي أو الشاهد على التجربة أو السارد في المسرح الجماعي وبين المونودراما كفن مسرحي يقتضي جهدا فنيا أدائيا تقنيا خاصا به، فنلحظ أن أغلب المؤدين لفن المونودراما يتوشحون بروح الراوي وإن تجسدوا في بنات أحداثه. إذ الراوي يظل هو المسيطر والأحداث لا تأتي إلا من قبيل العرض العارض أو في هيئة جملة اعتراضية أو هوامش استشهادية، وكان من المفترض أن تكون هي روح الفعل في الأداء ويكون الراوي هو المسيطر على فضاء العرض والتلقي ويكاد حضور الحدث يكون غائبا أو مغيبا أو متماهيا في شخص المؤدي لا في شخصيات العرض الذي تجسده.

وهنا يصبح المؤدي أشبه بجهاز التسجيل كما يكون أداؤه برانيا لا يصدر عن ذاكرة انفعالية ولا عن مخيلة قادرة على تحريك خلايا الأحداث الكامنة في النص المؤدى، وهنا نلحظ الكم الاستعاني الاستعاري الهائل الذي يلتاذ إليه المؤدي من أجل تدشين شخصيته، وكما لو أن الجسد عاجز عن الاضطلاع بمهمات هذا الكم، أو كما لو أن فن المونودراما لا يتحقق فعلا وروحا إلا بالالتياذ لهذا الكم الاستعاني الاستعاري.

طبعا لا بأس في أن يلجأ المؤدي لهذا الكم إذا كان قادرا على خلق حياة فاعلة وخلاقة في جنباتها وفي روحها، واستطاع أن يجعل منها شخصيات أخرى يجري معها حوارا وصراعا ويهيئ منها فضاء عاجا بالحيوية ومتسعا لبيئة خلقية تفاعلية بينه وبين مادة فضائه وبين فضاء التلقي، ولكن ما نطمح إليه –وهو ليس حكم قيمة– يكاد يكون غير متحقق، فالمساحة الجمالية التي ينبغي أن يستغل المؤدي فيها جسده كاملا يلتهمها حكي الراوي وتتجاهلها فترات التحول من شخصية إلى أخرى، ومن زمن إلى آخر.

وهنا نلحظ التمزق النسيجي لفضاء الأداء المونودرامي والفراغ الذي يرهق روح فضاء العرض، وكما لو أن المؤدي يرسل أصواتا متناثرة متباعدة في أفضية مختلفة ومتعددة لا تنسجم في فضائها المقترح، ولا تحفر عميقا في منطقتها ولا تؤسس وتهيّئ لحضورها في الفضاء المعد لها، وإن حدث وأخلصت لصوت الراوي فهي قد وقعت في مأزق الأداء التقليدي السائد وهنا يكون الأداء وفضاء التلقي رهينين لحالة أفقية ليس بإمكانها أن تتجاوز منطقة التناثر والتباعد الصوتي للمؤدي.

وهنا نتبيّن الإشكال جليا في أسس تعاطي فن المونودراما في مسرحنا العربي، حيث التوجه إلى الراوي بوصفه مدخلا أدائيا أساسيا في فن المونودراما لا بوصفه مفردة مسرحية لها إمكانيات فنية متباينة كما للمفردات المسرحية الأخرى في النص والعرض.

فإذا كان التاريخ يشفع لثيسبيس الممثل الأول اضطلاعه بدور الراوي وذلك لعدم وجود ممثل مصاحب له آنذاك ولأسباب يغفرها التاريخ له، فما الذي يشفع لممثل مونودراما هذا العصر؟ أحاول أن أبحث عن شفاعة له، ولكني قطعا غير مقتنع بها.

أرى أن بعض الممثلين ضجروا من أسلوب أو أساليب مخرجيهم ومن سطوتهم عليهم فوجدوا ضالتهم في فن المونودراما، وبعضهم لم ينل فرصة كافية للتعبير عن طاقته الفنية فلجأ إلى فن المونودراما، وبعضهم توفر على تجربة وخبرة كافيتين في الأداء المسرحي فرأى أنه قادر على تحقيق ذاته عبر هذا الفن، ولكن هل يشفع لهؤلاء وقوفهم عند هذه الأسباب وإن حاولت البحث لهم عن شفاعة؟

هل يمكن لمن قضى ردحا طويلا من الزمن مؤديا في حيز فرقة مسرحية أن يكون بين ليلة وضحاها ممثلا مونوداميا؟ وهل تأسس في مسرحنا العربي مخرجون في فن المونودراما أم أن أغلب من خرجوا على فرقتهم المسرحية أو حاولوا من خلالها تجريب واختبار فن المونودراما هم من أخرجوا أعمالهم المونودرامية؟

ولعلني لاحظت تجارب في هذا الفن لم تنخلع من ثوب أدائها السابق مع فرقتها ولم تتمكن من تجاوز أداء ممثلها الأول وأعني به المخرج، بل إن أداءها حين كانت تعمل مع فرقتها أكثر تميزا وتألقا وحضورا، وقد بهتَ أداؤها حين خرجت من حيز هذه الفرقة.

هل السبب يكمن في غياب الحوار الخلاق الذي تتوفر عليه الفرقة؟ هل السبب يكمن في التعاطي الواحدي للتجربة، نصا وإخراجا وتمثيلا وسينوغرافيا؟ هل السبب يكمن في الانغماس الفاقع في الثرثرة الأدائية لفظا وإيماءات وجسدا؟ أم أنها المكابرة المجانية في محاولة البعض استنطاق لغة الحياة في زمن معيّن خاصة إذا ما استبطن النص شخصيات مركبة وإشكالية تعوزها طاقة أدائية غير عادية ومتمرسة في مجال فن المونودراما ومتأملة لأبعادها وتضاعيفها؟

هل السبب يكمن في سطوة الواقعي على المتخيل الذي يفسح مجالا جماليا فسيحا للمؤدي وللعرض وللمتلقي؟ إذ أن تولي مهمة أداء عرض بأكمله وعلى كاهل ممثل واحد ليس كالمهمة التي تقتضي أداء دور واحد في العرض، فالمهمة الأولى تتطلب جهدا مضاعفا ويصبح فيها المؤدي موزعا بين المؤدي والمخرج والمؤلف والسينوغرافي أحيانا، خاصة وأن وضع المونودراما في مسرحنا العربي الفني والموضوعي ليس كما هو في أوروبا التي تضاءل فيها دور المونودراما، حيث العمل موزع بين المؤلف والمخرج والممثل والسينوغرافي وكل يدرك المهمة المناطة إليه وبالتالي يكون المؤدي مفرغا لدوره فحسب لا شيء يشغله غير دوره، والحال هذه تتبلور وتتأسس الرؤية الفلسفية والفكرية الفنية للعمل، للفرقة، وتصبح ذات تأثير مهم في حيزها وفي الحيز المجتمعي أيضا، أما وحالنا هذه فكيف نخال الرؤية التي تتأسس على ضوئها تجاربنا المونودرامية؟ وإن نجت إحداها فهي بالتأكيد قد خضعت لمختبر فكري وفني غير عاديين والله أعلم بالتجربة التي سوف تليها.

الممثلة المغربية فاطمة عاطف في مونودراما «نزف»

المسرح المصري ظواهر وقضايا

عمرو دوارة
ناقد ومخرج مسرحي من مصر

❏ شهدت المواسم المسرحية الأخيرة خلال عامي 2017 و2018 عدة محاولات جادة لإنقاذ المسرح المصري من عثراته وأزماته المزمنة بعدما حمل رايته جيل جديد من الشباب العاشقين له والمؤمنين بدوره، ويحسب لهؤلاء المسرحيين الشباب حماسهم الشديد وتوظيفهم لجميع خبراتهم لجذب الجمهور مرة أخرى إلى المسارح. والظاهرة الإيجابية التي أسعدتني وأسعدت جميع المسرحيين خلال الموسم المسرحي الأخير– والتي سجلتها جميع الصحف ووسائل الإعلام وأكدتها الإيرادات بمسارح الدولة– هي عودة الجمهور لجميع المسارح، وبلا شك أن الجمهور هو الضلع الثالث والمهم من الأضلاع الثلاثة للظاهرة المسرحية، لذا كانت سعادتنا بعودة لافتة كامل العدد على شبابيك التذاكر طوال أيام الأسبوع، والمدهش أن جميع عروض مسارح الدولة– بإستثناء عرض أو عرضين على أكثر تقدير– افتقدت إلى مشاركة نجوم الشباك، ومع ذلك فقد أقبل الجمهور بكل هذه الأعداد ليؤكد إصابته بالملل من متابعة برامج الحواريات السخيفة ومسلسلات الأكشن المرعبة والتي تفقد متعة متابعتها أيضا لكثرة الإعلانات التي تتخللها، وبالتالي فقد أكد الجمهور وعيه وحرصه على مشاهدة عروض الفن الراقي. ويمكنني بصفة عامة أن أحدد أسماء مجموعة كبيرة من العروض التي تنافست على جذب الجمهور ومن بينها "يوم أن قتلوا الغناء"، "قواعد العشق"، "الجلسة"، "ليلة"، "سلم نفسك"، "العسل عسل"، "الساعة الثامنة مساء"، "كأنك تراه" و"السيرة الهلامية"، وفي مجال مسارح الأطفال عرض "سنو وايت"، "اترك أنفي من فضلك" و"رحلة الزمن الجميل".

وعودة الجمهور إلى جميع المسارح وبهذه الكثافة والأعداد الكبيرة– وفي غياب الدعاية المناسبة بالأساليب المتطورة– ظاهرة إيجابية يجب المحافظة عليها، والحقيقة أننا جميعا كنقاد ومتخصصين لم نستطع سوى رصد وتسجيل الظاهرة دون محاولة البحث عن أسبابها، ولكن نظرا لأهميتها أرى ضرورة تحليلها بأساليب علمية ومنهجية، للوقوف على أسبابها والتعرف على نوعية هذا الجمهور وفئاته العمرية والاجتماعية والثقافية، ولذلك فإنني أطالب كل المراكز المتخصصة وفي مقدمتها "المركز القومي للمسرح والموسيقى والفنون الشعبية" بدراسة هذه الظاهرة الإيجابية وتحليل أسبابها مع وضع التوصيات الجادة لكيفية المحافظة عليها.

غياب مشاركات فرق القطاع الخاص: الظاهرة الثانية والمهمة التي يجب رصدها بالمسرح المصري هي الاختفاء التام تقريبا لجميع العروض التجارية لفرق القطاع الخاص الكبرى خلال المواسم الأخيرة، وهي نتيجة منطقية لمغالاة النجوم في أجورهم والارتفاع الرهيب في تكلفة الإعلانات وأيضا ارتفاع الإيجارات لدور العرض بصورة خيالية، مما دفع فنانا قديرا بقامة محمد صبحي إلى تقديم عرضه الجديد بمدينة "سنبل" (خارج حدود القاهرة)، ليفتقد بذلك شريحة كبيرة من جمهوره الحقيقي من أبناء الطبقة المتوسطة. ونظرا لتضافر جميع الأسباب السابقة استلزم الأمر ضرورة رفع قيمة تذاكر الدخول– في بعض الأحيان– إلى خمسمئة جنيه!، وهو رقم كبير جدا لا يتناسب مع الظروف الاقتصادية التي تمر بها بلادنا خاصة مع غياب جمهور السياحة العربية، وبالتالي فقد افتقدنا مشاركات كبار النجوم خاصة بعدما اجتذبتهم الدراما والبرامج التلفزيونية خلال السنوات الأخيرة، وفي هذا المجال يجب رصد وتسجيل ظاهرة مهمة وهي أن بعض نجوم الشباك الذين غامروا بالبطولات المسرحية لم ينجحوا في تقديم عروضم سوى خلال أيام الأعياد والمناسبات والإجازات الرسمية فقط!

المسرحيات التلفزيونية: في محاولة للتغلب على ارتفاع تكلفة إنتاج العروض المسرحية وغياب مشاركات فرق القطاع الخاص انتشرت ظاهرة ثالثة أساءت كثيرا إلى المسرح المصري وإلى مفهوم المسرح بصفة عامة، وهي ظاهرة مساهمة بعض القنوات الفضائية في إنتاج عروض للتصوير التلفزيوني ثم تقديمها من خلال الشاشة الصغيرة فقط، والحقيقة أن النجاح التجاري لهذه التجربة وزيادة الطلب على مثل تلك النوعية من العروض قد دفعا بعض الفنانين إلى استغلال الفرصة وتقديم بعض العروض المتواضعة جدا فنيا. وأرى في هذا الصدد أن أسوأ دعاية لتجربة الفنان أشرف عبدالباقي ومجموعته من المضحكين الجدد في عروض "مسرح مصر" – التي تقدم حاليا الموسم الرابع بقناة "إم بي سي"– هو ما فعلته قناة "الحياة" بإعادة عرض مجموعة مسرحياتهم بالموسم الأول "تياترو مصر" التي سبق لهم تقديمها بنفس المجموعة، فهي بذلك قد كشفت مدى الإفلاس الفني ومدى تدني مستوى تلك العروض، التي لا يمكن أن تصمد أمام الزمن ولا يمكن مشاهدة أي منها أكثر من مرة، فجميعها تعتمد على تقديم بعض القوالب الشعبية للكوميديا المرتجلة واللعب بالكلمات والقفشات اللفظية والسخرية من بعض العاهات أو الأحداث الآنية، وذلك على النقيض لتلك الأشكال والقوالب الكوميدية الراقية التي تعتمد على حبكات جيدة ومجموعة من المواقف الدرامية محكمة الصنع. حقيقة إن ما يقدمه أشرف عبدالباقي مع هذه المجموعة يعد ردة فنية تعود بالمسرح المصري لقرن كامل من الزمان، وبالتحديد قبل عام 1916 حينما كانت العروض الكوميدية تقدم بالصالات والملاهي قبل أن يخرج منها ويتمرد عليها كل من النجمين: علي الكسار بشخصيته الشهيرة البربري عثمان عبدالباسط ونجيب الريحاني بشخصيته الشهيرة عمدة كفر البلاص كشكش بك، ليشارك كل منهما في الارتقاء بفن الكوميديا من مرحلة الاسكتشات والارتجال إلى تقديم النصوص محكمة الصنع والعروض الاجتماعية الراقية. إنني أرى بصدق أن إعادة عرض مسرحيات الفنان أشرف عبدالباقي ومجموعته خلال هذه الفترة قد سحبت كثيرا من رصيدهم– هذا إذا كان مازال لديهم باق من رصيد– بعدما اهتموا كثيرا بالكم على حساب الكيف وأعلنوا عن سعادتهم بوصولهم للموسم الرابع بعدما قدموا المسرحية رقم المئة في نهاية موسمهم الثالث!

> عودة الجمهور إلى جميع المسارح وبهذه الكثافة والأعداد الكبيرة- وفي غياب الدعاية المناسبة بالأساليب المتطورة- ظاهرة إيجابية يجب المحافظة عليها

العرض المصري «غزل البنات» إخراج محمد صبحي

الأنغام ألوان الشعوب

مبدعون عالميون يكشفون من القاهرة تطورات الموسيقى المعاصرة

شريف الشافعي
كاتب من مصر

فرقة إنسامبل موزايك الألمانية في حفل بمهرجان أيام القاهرة للموسيقى المعاصرة (تصوير: محمد حسنين)

❏ تقرّب الموسيقى بين الشعوب بقدرة تفوق الفنون الأخرى، فهي اللغة الإنسانية المجردة، الأبسط والأعمق، التي لا تحتاج إلى ترجمة. وهكذا تصافح الشرق والغرب عبر الأنغام والإيقاعات التي احتضنها مهرجان الموسيقى المعاصرة الدولي بالقاهرة.

بلغت الموسيقى المعاصرة مدى كبيرا من العمق الإنساني والتطور في الأداء والتكنيك حول العالم، بفضل تخلصها من القوالب الجامدة والصيغ الجاهزة وإفساح المجال واسعا أمام الارتجالات الحرة، والإيقاعات المتنوعة، فضلا عن المزج الحميم بين المدارس والثيمات الشرقية والغربية المختلفة في التأليف والتعبير.

وفي إطار الحرص على التواصل الحضاري من خلال الأنغام والإيقاعات، تشهد القاهرة في الوقت الحالي عروضا ومحاضرات وورش عمل مهرجان "أيام القاهرة للموسيقى المعاصرة" في دورته السادسة، بمشاركة نخبة من الموسيقيين والمؤلفين والعازفين المجددين من أوروبا ومصر ومنطقة الشرق الأوسط .

لا تقتصر فلسفة مهرجان "أيام القاهرة للموسيقى المعاصرة" (من 14 إلى 29 أبريل) على الاحتفاء بالأشكال والنظريات والعروض الموسيقية الثرية وطرح مستجدات الإيقاعات الشرقية والغربية وروائع الارتجالات الحرة، وإنما تمتد هذه الفلسفة إلى مدى أعمق وأخصب، حيث تلك القدرة الخلاقة على إضاءة الروح بغذاء مشعّ لا تنفد طاقته، وإعادة اكتشاف الإنسانية كقيمة كامنة حيّة لدى البشر.

"إنها الموسيقى التي تفتح الأبواب والنوافذ للرياح وأشعة الشمس الآتية من كل حدب وصوب، فتلتقي الحضارات والثقافات والشعوب، ويحتضن البشر بعضهم البعض"، هكذا قال المؤلف الموسيقي البارز الأكاديمي الألماني أوليفر شنلر في محاضرته التي ألقاها بقاعة معهد "الكونسرفتوار" بأكاديمية الفنون، ضمن فعاليات المهرجان.

بالإضافة إلى محاضرته المتخصصة حول تطور التأليف الموسيقي في العالم والنماذج السمعية والبناءات المركبة وأساليب العزف والتلحين والتأليف، قدم شنلر، الحاصل على الدكتوراه في التأليف الموسيقي من الولايات المتحدة، مؤلفات جديدة لم يعرضها من قبل، وتجلت فيها ملامحه الخاصة كمؤلف يحرص على الدمج بين الغربي والشرقي، وتوظيف إمكانات الكمبيوتر في التحليل الموسيقي.

ورصد شنلر في محاضرته العلاقة الوطيدة بين الموسيقى والرياضيات، مشيرا إلى أن العمليات الحسابية وبرمجيات الكمبيوتر لها دور في التأليف والتوزيع والتحليل في الموسيقى المعاصرة، وتغيرت الكثير من المفاهيم بعد الحرب العالمية الثانية، ولا يتعارض ذلك مع التلقائية والارتجال في الحركة السريالية وموسيقى الجاز، فالتقنية تكون مفيدة إذا لم تقيّد الإنسان ولم تأسر الإبداع المنطلق بحرية.

حفل المهرجان بعروض متعددة حظيت بتفاعل جماهيري كبير، وأقيمت أغلبيتها في ساحات مفتوحة وأمكنة تاريخية وأثرية يفوح منا عبق الحضارة، ويتصل الماضي بالحاضر،

المؤلف الموسيقي الألماني أوليفر شنيلر

رصد شنلر في محاضرته العلاقة الوطيدة بين الموسيقى والرياضيات، مشيرا إلى أن العمليات الحسابية وبرمجيات الكمبيوتر لها دور في التأليف والتوزيع والتحليل في الموسيقى المعاصرة

تفاعل جماهيري كبير

ومن هذه الجهات: قصر المانيسترلي بالمنيل، مجمع الفنون بالزمالك (قصر عائشة فهمي)، مسرح مركز الهناجر للفنون بالأوبرا، مسرح الجامعة الألمانية، معهد جوتة الألماني، كونسرفتوار القاهرة، روم مكان للفنون.

من بين العروض التي لقيت صدى طيّبا، حفل المؤلف الإسباني عازف الإيقاع لويس تابوينكا، وفيه أبدى ارتجالات حية نابضة، وقدّم كذلك مشروع "صولوز" المستوحى من التاريخ المعاصر ومن أعمال فرانشيسكو دي جويا المرئية المثيرة، وأعقبته ورشة تفاعلية للارتجالات أدارها عازف الإيقاع المصري أيمن مبروك.

ولويس تابوينكا، أحد الغربيين البارزين في الموسيقى المعاصرة والتجريبية وفي الارتجال، له مشاركات واسعة في إسبانيا وأوروبا وآسيا والأميركيتين، وحصل على جوائز دولية عديدة، وهو مؤسس ومدير مهرجان الموسيقى التجريبية الدولي (FAT) في إسبانيا.

أما أيمن مبروك، فهو عازف إيقاع ومنتج، من مواليد الإسكندرية، يتميز بشخصية فريدة في الأداء بخاصة في موسيقى الجاز والفلامنكو والموسيقى الأفريقية الشرقية، وله حضور كبير في مهرجانات دولية للجاز وموسيقى الشعوب.

كذلك، حظي حفل فرقة "إنسامبل موزايك" الألمانية بمشاركة عازف القانون المصري صابر عبدالستار وفرقة "النيل للآلات الشعبية"، بإقبال جماهيري لافت، والتقت الآلات الإلكترونية الغربية بالدفوف الشرقية وآلة "الربابة" الشعبية المصرية في مزج فريد من نوعه.

وجاء حضور بشرى الترك، اللبنانية المقيمة بالمملكة المتحدة، من خلال أحدث مؤلفاتها الموسيقية، والإيراني الألماني إحسان خاطبي بإهدائه مقطوعة خاصة ألفها بمناسبة مرور 20 عاما على تأسيس "إنسامبل موزايك"، والمغربي الفرنسي سمير أمروش بمقطوعة من وحي الفترة التي قضاها بمنتدى التراث والحداثة الذي أقامته الجمعية الأوروبية المصرية للموسيقى المعاصرة في 2016.

وتنوعت برامج المحاضرات تحت عنوان "كلام في الموسيقى"، ومنها "تطور التأليف الموسيقي في عالمنا الآن" لكاتي غراهام مديرة الموسيقى الدولية بالمجلس الثقافي البريطاني وعضو أمناء المجلس الدولي للفنون التعبيرية بنيويورك، "أعمالي والخلفية الاجتماعية والسياسية لتطوري" للفنانة الفلسطينية كاميليا جبران، و"إعادة صياغة الجماليات والقيم الموسيقية الموروثة" لهانس زيدل من ألمانيا.

ومن الملاحظ أن مهرجان "أيام القاهرة للموسيقى المعاصرة" يكتسب طابعا خاصا، حيث تمتزج أنغام وإيقاعات عروضه المصرية والشرقية والغربية بأنفاس تاريخية، خصوصا تلك الفنون القادمة من الأرض الألمانية، التي يفسح لها مهرجان هذا العام حضورا استثنائيا.

كان سقوط جدار "برلين" واتحاد ألمانيا الغربية والشرقية في أوائل تسعينات القرن الماضي بمثابة نقطة تحول في تاريخ المدينة، التي صارت عاصمة جاذبة للفنانين من جميع الأطياف والألوان، وبوتقة لانصهار المواهب الفنية وتجمّع المؤلفين الموسيقيين من القارة الأوروبية.

أسفر ذلك بوضوح عن المزيد من التقدم والتطور في مجالات الفنون متعددة الوسائط، ودعمت هذا التطور الهائل ثورة رقمية بدأت في الوقت ذاته واستمرت حتى الآن، لإتاحة الأدوات التكنولوجية للجميع والفنانين بشكل خاص. لذلك، جاء هدف المهرجان هذا العام بتتبّع هذا الخط التاريخي وذلك التطور الفني، من خلال أعمال هؤلاء المؤلفين المؤثرين.

ويُذكر أن مهرجان "أيام القاهرة للموسيقى المعاصرة" تنظمه "الجمعية الأوروبية المصرية للموسيقى المعاصرة"، بالتعاون مع مؤسسة أرنست فون سيمنس للموسيقى، ومعهد جوتة بالقاهرة، وصندوق التعاون الدولي لمعهد جوتة، فضلا عن وزارة الثقافة المصرية.

الموسيقى الألمانية حظيت بحضور لافت في أيام القاهرة للموسيقى المعاصرة

والجمعية الأوروبية المصرية للموسيقى المعاصرة "EECMS" كيان ثقافي تأسس على يد مديرها الحالي عازف الكلارينيت وخريج الكونسرفتوار شريف الرزاز، كثمرة لجهود سابقة في التعاون الفني المصري الأوروبي.

تهدف الجمعية، كما يوضح شريف الرزاز، إلى حفظ الملكية للنشاطات والأعمال الفنية للمؤلفين المصريين، وتنظيم وإخراج فعاليات ومناسبات دولية خاصة للموسيقى المعاصرة من سائر الأنحاء على أعلى مستوى احترافي بمشاركة أجيال ومدارس مختلفة.

ويشير الرزاز في تصريح لـ"العرب" إلى أن الجمعية الأوروبية المصرية للموسيقى المعاصرة تتعامل مع أكثر من أربعين مؤسسة ثقافية، مصرية، وعربية، وشرق أوسطية، وأجنبية، وتحظى بدعم من جهات عدة، منها: المركز الثقافي البريطاني، معهد جوتة، وزارة الخارجية الهولندية، المركز الثقافي الفرنسي، الملتقى الثقافي النمساوي، وغيرها.

ومن جهتها، تشير رحاب عبدالخالق، المستشارة الإعلامية للجمعية، إلى اتسام مشروعات الجمعية على وجه العموم بالحرص على التفاعل والتبادل الثقافي والفني بين الشعوب والحضارات المختلفة، وتقول إن من ثمرات هذا التبادل "مهرجان القاهرة للموسيقى المعاصرة"، ومشروع "صوتي، صوتك، صوتنا" الذي يتوافق إعلان نتائج مرحلته الأولى مع ختام مهرجان الموسيقى.

ويشير نجاح "مهرجان الموسيقى المعاصرة" إلى أن القاهرة لا تزال تدرك جيدا أن إشعاعها الحضاري لم يتبدد بعد، والثقافة الحية التفاعلية لا تزال تنبض في أرجائها وجنباتها، وتسكن أرضها وسمائها، وتنمو في قلوب أبنائها الذين بمجرد أن تواتيهم فرصة أو تحل فعالية فإنهم يضيئون مسرعين مصابيح الاستنارة، سواء كمبدعين مشاركين في صناعة الحدث، أو كمتابعين واعين في مقاعد الجمهور.

محاضرات في التأليف الموسيقي وصياغة الجماليات والقيم الموروثة وحفلات وورش تفاعلية للارتجالات الحرة

ويعود الفضل إلى المؤسسات الأهلية والجهود الذاتية والمراكز والهيئات المستقلة والأجنبية، في إحداث حراك ثقافي ملموس في مصر خلال الفترة الماضية، حيث حملت هذه الجهات على عاتقها مسؤولية النهوض بالفعل الثقافي الحقيقي، وبلورة صيغ عصرية لتقديم الفنون والآداب والإبداعات الحديثة، العربية والأجنبية، من خلال مؤتمرات ومهرجانات دولية تلقى صدى جماهيريا طيّبا.

وعلى الرغم من أن مثل هذه الفعاليات قد نشأت أساسا لمواجهة حالة الجمود السائدة بسبب سياسات المؤسسة الرسمية وآلياتها البائدة، والأداء الباهت النمطي لموظفي وزارة الثقافة المصرية، فإن عددا غير هيّن من هذه الفعاليات قد حظي بدعم من الوزارة، سواء على مستوى النفقات المالية، أو بتخصيص الوزارة أمكنة ومنابر للعروض وما إلى ذلك دون تدخل منها في البرامج والتنظيم.

هكذا، فرض "مهرجان الموسيقى المعاصرة" حضوره بالتنسيق بين العمل الأهلي والوزاري، وهكذا جاء تفاعل المصريين بشغف مع المهرجان، عساه أن يكون أحد روافد الإسهام في إنعاش قوة مصر الناعمة، ومد تأثيرها داخليا وخارجيا، من خلال حفلاته ومحاضراته وورش العمل المقامة به.

الحياة في أربعة فصول والموت في الفصل الأخير

«ميشيما» مازال يدهش العالم بعد 48 عاما من انتحاره

أمير العمري
ناقد سينمائي من مصر

يلعب الجانب المتخيل في الفيلم دورا أساسيا في تجسيد مأزق البطل

❑ في الخامس والعشرين من نوفمبر 1970 اقتحم الكاتب الياباني المرموق يوكيو ميشيما مع أربعة من أتباعه من ميليشيا "جماعة الدرع"، معسكرا للجيش الياباني، وقيدوا قائده، ثم خرج ميشيما إلى الشرفة ليخطب في جمع من الجنود داعيا إلى التمرد واستعادة سلطة الإمبراطور وهيبته المفقودة، لكن الجنود أخذوا يسخرون منه، فعاد إلى مكتب القائد حيث انتحر بطريقة الهاراكيري أي بشق أسفل بطنه بالسيف. بعد هذا مباشرة حاول أحد جنوده الأربعة تنفيذ وصيته بقطع رقبته بالسيف لكنه فشل، فتناول السيف جندي آخر وأخذ يقطع رقبة ميشيما ثم انتحر بدوره بنفس الطريقة.

أصبح ميشيما بسبب هذا "الموت العدمي المهيب" أسطورة في الثقافة اليابانية الحديثة. كان في الخامسة والأربعين حينما انتحر بهذه الطريقة. فماذا كان هدفه؟ وهل كان يتصور أنه يستطيع بمجموعته الصغيرة قيادة انقلاب على النظام في اليابان؟ وماذا وراء مقصده من استعادة هيبة الإمبراطور؟ وكيف يمكن فهم جنوحه للانتحار من خلال أعماله الروائية العديدة التي بلغت 35 رواية، و25 مسرحية، و200 قصة قصيرة، و8 مجلدات من المقالات؟

كان ميشيما مع معلمه ومثله الأعلى، الكاتب الياباني ياسوناري كاواباتا، أشهر وأهم كاتبين في اليابان فيما بعد الحرب العالمية الثانية مع اختلاف الأجيال، فكاواباتا من مواليد 1899 وميشيما ولد عام 1925. وكانت موهبة ميشيما الجامحة قد تفجرت وهو لا يزال في الثانية عشرة من عمره، لكنه أرسل رسالته الأولى إلى كاواباتا عام 1945. واستمرت المراسلات بينهما حتى قبيل انتحاره عام 1970. وقد صدرت المراسلات عام 1997، لكنها ترجمت ونشرت بالعربية مؤخرا، وأثار صدورها اهتماما كبيرا في الأوساط الأدبية والنقدية، خاصة أنها تكشف الكثير من الجوانب الخفية في العلاقة الملتبسة بين الرجلين.

> موت ميشيما العدمي سيدفع أستاذه كاواباتا إلى الانتحار بعده بعامين. وقيل إن دافعه كان شعوره بالذنب بعد أن انتزع من ميشيما جائزة نوبل التي رشح لها الأخير ثلاث مرات وأدرك أنه لن يحصل عليها أبدا

في رسالته ما قبل الأخيرة يقول مشيما لكاواباتا " قد تسخر مني لكن ما أخافه ليس الموت، بل شرف عائلتي من الموت، وإذا حدث لي شيء، فإن المجتمع سوف يكشف عن أسنانه ويبحث عن نقاط ضعفي ليدمّر شرف عائلتي. ليس مهما أن يسخروا مني وأنا موجود، ولكن لا أستطيع تحمل سخريتهم من أطفالي بعد موتي. وأعتقد يا سيد كاواباتا، أنك أنت الوحيد القادر على حمايتهم. وأنا منذ الآن، أعتمد عليك وأثق بك".

لحسن الحظ لدينا مرجع بصري شديد الأهمية يعرض لحياة ميشيما أنتج وعرض قبل صدور المراسلات، وهو الفيلم الأميركي الذي أخرجه عام 1985 بول شرايدر وأنتجه اثنان من عمالقة هوليوود: فرنسيس فورد كوبولا وجورج لوكاس. الفيلم هو "ميشيما: حياة في أربعة فصول". ويقوم بدور مشيما الممثل الياباني كن أوغاتا. وهو يعتبر تجربة غير مسبوقة في السينما الأميركية، فشرايدر أراد صنع فيلم ياباني لحما ودما، فجميع الممثلين من اليابانيين، ودار تصويره في اليابان، باللغة اليابانية، واشترك عدد من اليابانيين في تطوير الموضوع مع شرايدر إلى جانب الديكور وتصميم المناظر والملابس والماكياج.

الفصول الأربعة

بناء الفيلم مكون من أربعة فصول تحمل العناوين التالية: الجمال، الفن، الفعل، التناغم بين القلم والسيف، ويتم التعبير عنها من خلال تداخل شعري بين الماضي والحاضر والمتخيل، فالفيلم يعود إلى الماضي ليستعرض نشأة وبروز هذا الكاتب العبقري الذي ظهرت موهبته وهو في العشرين من عمره، ثم يرتد الى الخيال، يقتبس من ثلاثة أعمال روائية لميشيما تتداخل قصصها المقتضبة مع الماضي، لينتقل من الخيال ومن الماضي، إلى الحاضر أو بالأحرى إلى الزمن المضارع في الفيلم أي قبيل بلوغ النهاية الدموية التي أغلقت مصير بطلنا، ولكن على حلقات متصلة تمهد تدريجيا لتلك النهاية.

هناك ثلاثة مستويات زمانية في الفيلم: الماضي (بالأبيض والأسود)، والحاضر بألوان الواقع المحايدة، ويأتي متقطعا موزعا عبر الفصول الأربعة وصولا إلى الكشف تفصيلا في الفصل الأخير عن النهاية التراجيدية. وبين الماضي والحاضر، هناك المستوى الثالث وهو الخيال المستمد من روايات ثلاث لميشيما يربط من خلالها بين أفكاره وتأملاته وفلسفته التي تدور حول الفن والجمال والجسد والرغبة والانتحار والموت، وبين نهايته المهيبة المرسومة مسبقا. وهذه المشاهد الخيالية مصورة بألوان خاصة تشبه ألوان القصص المصورة (الكوميكس) يبرز فيها الأحمر والذهبي.

التلاعب بالزمن

يعتبر فيلم بول شرايدر المصنف ضمن أفلام السيرة، شديد الطموح من حيث البناء واللغة السينمائية، وهو يقوم على الاستخدام المركب للزمن، بحيث يؤكد مجددا فكرتنا عن كون السينما هي أساسا فن التلاعب بالزمن. ويتناسب التركيب الشكلي في بناء الفيلم رغم سيولته وجماله البصري الخلاب، مع شخصية ميشيما المركبة متعددة المستويات: تناقضاته وصراعه الداخلي مع الذات ومع الزمن، رغبته في أن يصبح جذابا (ربما للرجال أكثر) عن طريق تقوية جسده، سيطرة فكرة الموت المبكر انتحارا من أجل وقف زحف الشيخوخة، لكن الفيلم يبدأ من طفولته.

يستخدم المخرج التعليق الصوتي المصاحب للصورة بصوت ميشيما (أو بالأحرى بصوت الممثل كن أوغاتا)، الذي يروي الأحداث، يتوقف ويعلق، وكثيرا ما نراه وهو جالس أمام مكتبه يكتب أعماله الأدبية. وهذا التعليق يقتبس الكثير من العبارات والتعبيرات الحقيقية التي وردت بالفعل في كتابات ميشيما. يقول ميشيما على خلفية صوره في طفولته إنه كان يتمنى أن يموت بعد ميلاده مباشرة، وقد قرر أن يتخذ لنفسه اسم ميشيما (اسمه الأصلي هو كيميتاكي هيراوكا).

نراه أولا مع جدته التي يخبرنا بأنها انتزعته من أمه بعد سبعة أشهر من مولده، وظلت تمنعه من الخروج والاحتكاك بغيره من الأولاد خشية عليه، ولكنه عاد إلى أمه عندما بلغ الثامنة، وبعد تدهور الحالة الصحية للجدة. وفي المدرسة نشاهد رغبته المبكرة في التحدي والتغلب على ما يصفه به أقرانه من نعومة وأنثوية. لكنه سيكبر ويهوى الكتابة ويمارسها يوميا، ثم عندما يشعر أن الكلمة لا تكفي سيتجه إلى التصوير والسينما حيث سيقوم بأدوار ثانوية. وفي أحد المشاهد مع بداية الحرب، يستدعى للجيش وكان مصابا بنوبة برد لكنه يبالغ كثيرا فيعتقد الطبيب أنه مصاب بمرض السل فيعفيه من الخدمة. ويعلق هو قائلا "رغم أنني كنت أتوق لحياة الجندية منذ الصغر إلا أنني لا أعرف لماذا تظاهرت بالمرض!".

ميشيما مشغول بالجمال، جمال الجسد وجمال الأشياء. ومن روايته "معبد القبة الذهبية" يأتي الجزء الأول الخيالي في الفيلم الذي يدور حول شاب متلعثم في الحديث، يعاني لكي ينطق الكلمات، يدفعه صديقه إلى استغلال تلك العاهة في جعل الفتيات يتعاطفن معه ويقعن في حبه، لكنه ينتهي بإشعال النار في المعبد البوذي البديع لشعوره بالعجز والضآلة أمامه.

هاجس الجسد

ميشيما يرى أن الجسد الجميل ليس من الممكن أن يظل جميلا، فبعد الأربعين يبدأ في التدهور. ولكي يحافظ الجسد على جماله يجب أن يموت المرء بإرادته، بيده قبل أن يشيخ. ويبرز اهتمامه الكبير بجسده، في اتجاهه إلى تصوير نفسه كموديل للمصورين ثم في ما كان يصوره لنفسه من أفلام: "أنا فقط اهتم بوجهي وأهمل جسدي.. سأتدرب على كمال الاجسام.. ليصبح جسمي كله هو وجهي". إنه ولع أيضا بالمرآة التي يتأمل فيها صورته.

في نادي المثليين.. يجلس ميشيما. على شريط الصوت يأتي صوته: إن حياتي من وجوه عديدة تشبه حياة الممثل. إنني أرتدي قناعا.. ألعب دورا.. الممثل يشبه الشاذ جنسيا، فعندما ينظر في المرآة يرى ما يخيفه.. ترهل الجسد..

يرقص مع شاب.. يتحسس الشاب جسده. يقول له: جسدك ناعم.. يغضب ويتركه. يعود يجلس ويكتب في منزله. يتصل الشاب يريد أن يعرف ماذا اغضبه. أمام المنزل يلتقيان. ينظر في وجه الشاب ويقول له: كلانا مهتم بالجمال. أنت عندما تنظر في المرآة ترى الجمال أما أنا فأشعر بالخوف. من فضلك لا تمزح معي مرة أخرى.

الجزء الثاني الخيالي المقتبس من رواية "منزل كيوكو"، يصور العلاقة الغريبة بين ممثل شاب يدعى "أوسامو" وامرأة تكبره في السن، تهدد بحبس أمه التي تدين لها بمبلغ مالي كبير، تصبح العلاقة بينهما علاقة مازوكية- سادية، وتنتهي بانتحار الاثنين. هنا نرى أوسامو الذي يعكس الجوانب المختلفة في شخصية ميشيما نفسه تارة كملاكم، وتارة أخرى كرسام، وتارة ثالثة كممثل ثم كرجل أعمال يزدري الواقع. في هذه القصة تركيز واضح على فكرة الانتحار التي تتردد في كتابات ميشيما. وهي تتضح بشكل أكبر في الاقتباس الأدبي الخيالي الثالث المستمد من "الخيول الهاربة" (وهي الرواية الثانية من رباعيته الشهيرة التي اختتم بها حياته "رباعية بحر الخصوبة")، بطلها شاب يتمسك بتقاليد الساموراي، يريد أن يشن مع رفاقه انقلابا دمويا على حكومة التنكوقراط التي تحكم اليابان في أوائل الثلاثينات والتي يرى أنها حكومة فاسدة، لكنه يفشل فينتحر بطريقة الهاراكيري. هذه القصة تتسق مع قصة مشيميا نفسه وكأنه كان يرسم مقدما خطة موته القادم. إنه سينتقل من الكلمة إلى السيف، يتدرب على المبارزة بالسيف، ويؤسس "جمعية الدرع" حيث يوقع مع أتباعه من الجنود الشباب وثيقة التأسيس بالدم.

نظرة المخرج

من دون مغالاة أو استطرادات أو مشاهد اقتحامية مثيرة، يتعامل بول شرايدر من خلال بناء ما بعد حداثي، مع الكثير من أفكار ميشيما برقة وجمال، ويبدو متفهما لدوافعه، متعاطفا معه. إنه نموذج مثالي للفنان الذي لا يمكنه كبح جماح انفعالاته ومشاعره، متقلب الأهواء، ينتقل من فكرة إلى أخرى، يتناقض مع الصورة المستقرة في وعينا جميعا عن الفن الجميل الذي ليس من الممكن أن يكون رجعيا، فيعتنق أفكارا رجعية، يريد العودة باليابان إلى تقاليد الفروسية القديمة، إلى عصر الساموراي، ورد الاعتبار للإمبراطور كإله وليس مجرد رمز للحكم كما حدث بعد نهاية الحرب العالمية الثانية. إنه يرتد إلى السيف ويؤمن بالتناغم بين الكلمة والسيف، أي بين قوة الكلمة وقوة الفعل. ولاشك أن شرايدر ينظر إلى جنوح ميشيما كنوع من الجنوح الفني المجنون. ولا شك في وجود علاقة ما بين ترافيس بيكل بطل فيلم "سائق التاكسي" الذي كتب له شرايدر السيناريو، وبين ميشيما، فكلاهما مدفوع من البداية إلى تدمير الذات، وهو ما عبر عنه شرايدر في ما بعد في مقابلاته.

يذهب ميشيما ليواجه طلاب جامعة طوكيو عام 1969 في خضم انتفاضتهم العارمة ضد سياسات النظام في زمن الاضطرابات الطلابية المناهضة لحرب فيتنام. الطلاب اليساريون يهاجمونه بشدة ويرفض معظمهم وجوده: أنت لست فقط مخطئا بل عديم المنطق.. يرد بالقول "سأنضم إليكم فقط إذا ناديتم الإمبراطور بلقبه الشرعي.. ما تقولونه هراء.. فكروا في ما تقولون.. كلنا نسعى لخير اليابان... نحن نلعب لعبة خطرة.. لقد لعبنا كل الأوراق... لكن الجوكر معي.. فمعي الإمبراطور". يعود إلى منزله يجلس ويكتب: جلست أكتب كما كنت أفعل لمدة 20 سنة، وشعرت بالخواء. عادت نفس الكلمات.. من دون جهد.. على نحو عاجل.. مرة أخرى بدأ التدريب.. (تقترب الكاميرا من وجهه).

لقد بدأ التدرب على الموت، ذلك "الموت العذب" الذي كان يحلم به دوما.. الموت المرتب مسبقا. لقد أراد أن يخرج مشهد موته في عمل فني خلاب آسر يحرك القلوب. عندما يصل الفيلم إلى الفصل الأخير، يتجه ميشيما مع جنوده الذين أقسموا على الولاء له حتى الموت، نشاهد عملية الانقلاب الفاشلة الهزيلة، ثم انتحاره المهيب بطريقة الساموراي. لقد كان يعرف أن محاولته لن تنجح. يقول بعد أن ينتهي من خطابه في جنود المعسكر: إنهم حتى لم يستمعوا إلى ما قلته.

موت ميشيما العدمي سيدفع أستاذه كاواباتا إلى الانتحار بعده بعامين. وقيل إن دافعه كان شعوره بالذنب بعد أن انتزع من ميشيما جائزة نوبل التي رشح لها الأخير ثلاث مرات وأدرك أنه لن يحصل عليها أبدا. فهل كان ميشيما ينتحر يأسا؟

آمن ميشيما بالتآلف بين القلم والسيف

ميشيما في مكتبه مع أحد أعضاء جماعته العسكرية

سلا: مدينة مغربية عتيقة تزين شريط ساحل المحيط الأطلسي

الدخول من «باب الملاح» يأخذ السياح في جولة بين كنوز تاريخية

تحاول مدينة سلا المغربية رغم ثرائها بالمزارات التاريخية والآثار ووجود العديد من الأماكن التي تشتهر بها المغرب استقطاب المزيد من الزائرين، وتفتح أمام السياح وجهة سياحية تفوح منها روائح الأصالة والطابع المغربي العريق، وتقدم لهم هدايا تذكارية تشهد على حيازتها لأروع الحرف اليدوية.

سعد جيرواي
كاتب في العرب ويكلي

إطلالة تفوح بعبق التاريخ

أروع الحرف اليدوية

عراقة وأصالة

❏ تعتبر المدينة المجاورة للعاصمة المغربية الرباط مدينة سياحية تحظى بتنوع مثير للإعجاب من الكنوز التاريخية، حيث يفصل نهر أبورقراق بين مدينة سلا التاريخية التي تمتلئ بالآثار والمزارات، والرباط.

ويحيط مدينة سلا القديمة سور منيع ويعتبر أحد الحصون الدفاعية الأولى للمدينة، والذي بُني عبر حقب تاريخية مختلفة، وتم تدعيمه بأبراج عظيمة لحماية المدينة من غارات الأساطيل الأجنبية.

وبمجرد دخول المدينة، تجد باب المريسي، وهو أكبر باب تاريخي بالمغرب بني في مدينة سلا والمعروف أيضاً باسم "باب الملاح"، الذي يؤدي إلى الحي الذي اعتاد اليهود المغاربة العيش فيه. ولا تزال أعداد قليلة جداً من اليهود يعيشون في المدينة كما هو الحال في جميع الملاحات في المدن المغربية القديمة.

وبينما تبدو المدينة هادئة في ظل وجود بعض السائحين الذين يجوبون شوارعها، راعني مشهد المنازل المتهدمة، عندما كنت أمشي في أزقتها، والتي كانت بحاجة ماسة إلى ترميمها. ومع ذلك، بمجرد أن اقتربت من شارع مدينة سبتة، اصطدمت بالطابع التقليدي للمحلات والأسواق القديمة حيث كانت ألوان الفواكه والخضروات الطازجة والزيتون والتوابل تزين الشارع المزدحم.

وكانت رائحة الفطائر المغربية الطازجة والمعروفة أيضا باسم "مسمن" لا تُقاوم لدرجة أنني توقفت قليلا لتناول البعض منها قبل زيارة الأسواق الشهيرة بالمدينة.

وتشتهر المدينة بـ"سوق الكبير"، الذي كان سوقا للعبيد المسيحيين، والمتخصص الآن في بيع الأقمشة والملابس التقليدية، مثل النعال والجلباب. أما سوق "الغزل" فهو أكبر ميدان في المدينة، يتكون من التجار المختصين في بيع الملابس الجاهزة والأواني المنزلية الفضية والنحاسية، إلى جانب بعض الأشياء المستعملة والتحف النادرة من بعض المصنوعات التقليدية الإبداعية المهددة بالانقراض، إلى غيرها من ضروريات العيش وكمالياته.

وتعرف مدينة سلا بمسجدها الأعظم المسجد الكبير، وهو ثالث أكبر مسجد في المغرب بعد مسجد الحسن الثاني في الدار البيضاء والقرويين في فاس، وثاني أقدم مسجد بعد القرويين.

لقد شعرت بالفخامة المعمارية للموحدية عندما دخلت المسجد الذي بني في القرن الحادي عشر، حيث تملأ أقواسه البيضاء المتناظرة قاعة الصلاة وتتدلى من أسقفه العالية الثريات البرونزية.

ومن أشهر الأضرحة في مدينة سلا العتيقة، ضريح الولي الصالح سيدي عبدالله بن حسون، حيث شاهدت عددا من المصليات اللواتي يجلسن بالقرب من ضريحه يصلين لله من أجل تخفيف همومهن ومشاكلهن.

وتعتبر المدرسة المرينية، التي شيدت قرب المسجد الأعظم، من أحسن المدارس شكلا ورونقا، تميزت بالكتابات الكوفية المتعددة الألوان إلى جانب المنحوتات على السقف المصنوع من خشب الأرز تجعلها إحدى عجائب آثار العصر الميريني بفضل كمالها المعماري.

وكانت العديد من الأضرحة في مدينة سلا، مثل زاوية سيدي أحمد التيجاني التي تقع أمام المسجد الكبير، بمثابة مراكز لتعليم الدين والصلاة، والتي عكست مدى ارتباط المغرب الطويل بروحانية الدين الإسلامي.

وانتهت زيارتي للمدينة في برج الدموع، الذي يقع على بعد 5 دقائق سيرا على الأقدام من المسجد الكبير. هذا المعقل العسكري هو أحد الأسوار الرئيسية للمدينة الذي يطل على المحيط الأطلسي. وظلت المدافع الحديدية الصدأة لبرج الدموع دليلا على إهمال السلطات لتاريخ البلد الذي لا يقدر بثمن.

وظللت بالبرج بمفردي لمدة 15 دقيقة قبل أن يأتي سائحان ألمانيان لزيارته مقابل 10 دراهم لكل منهما. هذا المعقل يوفر إطلالة جميلة على مدينة الرباط القديمة.

وبني سجن العبيد تحت هذا البرج بواسطة قراصنة كانوا يملؤونه بالعبيد الذين تم بيعهم في أسواق شمال أفريقيا، حيث اشتهرت المدينة وقتها بكونها مركزا دوليا للقرصنة والنهب والعبودية لعدة قرون. وتوجهت بعد ذلك إلى سوق الولجة، على بعد 10 دقائق تقريبا بالسيارة من باب المريسي. والمثير للدهشة أن عددا قليلا جدا من السياح كانوا يتجولون في هذا السوق الذي يشتهر بأروع الحرف اليدوية في المغرب، بما في ذلك الفخار والحديد.

وتشتهر محلات هذا السوق بصناعة طاولات وكراسي الفسيفساء، والمزهريات والمجوهرات والأطباق وأكياس أوراق النخيل.

ويمكن للزوار أيضا مشاهدة الحدادين وحرفيي الخزف والأعمال اليدوية، ومع ذلك، تعلق بعض المحلات لافتات "ممنوع التصوير".

استفسارات سياحية

❏ يتوجه أغلب المخططين لأخذ عطلة هذه الأيام إلى مواقع مقارنة الأسعار مثل "سكاي سكانر" لحجز الرحلة الجوية.

وبحسب مجلة تكنولوجيا الحاسب الآلي الألمانية سي.تي، فإن هذه المنصات يمكن أن تساعد المرء في العثور على أرخص رحلة جوية ممكنة، لكنها لا تقدم حلولا مناسبة لادخار أكثر ما يمكن من المال بحوزة المسافر.

ويقول الخبراء إنه بالإمكان فعليا توفير المزيد من الأموال بشراء التذكرة مباشرة من موقع شركة الطيران.

بوابات البحث تكون مفيدة بالفعل في مراحل التخطيط الأولى للعطلة.

❏ يواجه المسافرون في أوروبا أعلى معدلات أسعار الفنادق في مدينة جنيف السويسرية، بحسب دراسة جديدة.

وأشارت الدراسة التي أجرتها شركة الاستشارات برايس ووتر هاوس كوبرز بي.دبليو.سي إلى أن جنيف التي تضم مقرات الكثير من المنظمات الدولية، تعد أغلى المدن من حيث أسعار الفنادق في أوروبا.

وجاء ت باريس في المرتبة الثانية، فيما جاءت زيورخ في المرتبة الثالثة. واشتملت مدن الفنادق الباهظة الأخرى على لندن وروما وأمستردام. وكانت ألمانيا مكانا أرخص لحجوزات الفنادق.

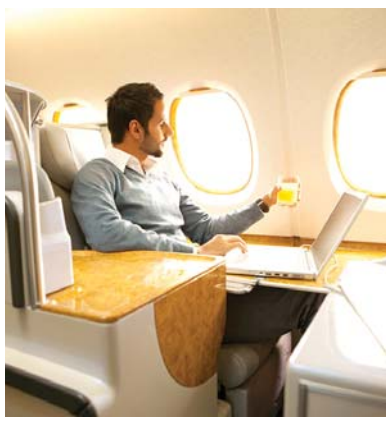

❏ يذهب في اعتقاد البعض من المسافرين أنه يستحيل الحصول على خدمات إضافية أثناء السفر بالطائرة لعدم دفع ثمن هذه الخدمات عند شراء تذكرة السفر. إلا أن المسافر يمكنه طلب المزيد من الامتيازات التي تجعل رحلته أكثر راحة وتميزا.

وبحسب ما ورد بصحيفة ميرور البريطانية، فإن من بين الأشياء التي يمكن أن يتمتع بها المسافر: الحصول على وجبة إضافية، إلى جانب إمكانية استخدام مجموعة من الكماليات الصغيرة التي يمكن أن تساعد على النوم والاسترخاء أثناء الرحلات الطويلة، مثل أقنعة العينين وسدادات الأذن.

❏ يمكن للمرء استكشاف عجائب الطبيعة والمعالم السياحية في جميع أنحاء العالم من خلال خدمة غوغل ستريت فيو بالصور البانورامية 360 درجة، ومنها على سبيل المثال محطة الفضاء الدولية "أي.أس.أس" أو الغوص تحت الماء في خليج تيداو في ماليزيا.

وتمتاز الصور 360 درجة بجودة أعلى من صور ستريت فيو العادية؛ حيث يمكن للمستخدم التعرف على الكثير من التفاصيل من خلال تكبير الصورة، علاوة على أنه تم تصميم الصور بحيث يمكن القيام بجولة قصيرة في المنطقة.

زوم على السياحة

● أغلقت السلطات الفلبينية، مؤخرا، أشهر الجزر السياحية في الأرخبيل لمدة ستة أشهر بعدما حولتها السياحة الكثيفة إلى "حفرة للصرف الصحّي"، وفقا للرئيس دوتيرتي.

وتعاني جزيرة بوراكاي الساحرة التي كانت معروفة بمياهها الصافية تبعات التنمية المفرطة. وسيسمح قرار إغلاقها الذي يثير جدلا بتنظيف الموقع وخصوصا بإقامة وحدات لمعالجة المياه المبتذلة.

● اعتبرت رانيا المشاط، وزيرة السياحة المصرية، أن فعاليات سوق السفر العربي "الملتقى 2018" بمثابة المنصة الناجحة لإبراز المقومات السياحية لمصر وحيويتها وتنوعها كدولة آمنة أمام قادة صناعة السياحة والسفر من منطقة الخليج.

وتوقعت المشاط خلال مشاركتها في "الملتقى 2018" بدبي، أن تلعب دول الخليج دورا هاما في تعزيز السياحة في مصر.

● تعتبر تركيا من ضمن الدول الرائدة في مجال زراعة الشعر، إذ تحولت إلى نقطة جذب للسياحة الطبية في البلاد.

ورفعت تركيا خلال الأعوام الأخيرة من مستوى نجاحها في قطاع السياحة الطبية، وأصبحت بمثابة مركز لزراعة الشعر. واستضافت العام الماضي مواطنين من 70 دولة حول العالم.

آلات الذكاء الاصطناعي تقاسمنا الحياة اليومية

من يقاضي الروبوت المجرم ومن ينصف الروبوت الضحية

في المستقبل القريب سيختلط البشر بالروبوتات في الشارع والأماكن العامة والمنازل، هذا الاختلاط ستنجر عنه بعض الإشكاليات القانونية والاجتماعية لتنظيم العلاقة بين الإنسان والإنسان الآلي، لذلك يطرح بعض الخبراء سن القوانين التي من شأنها أن تحسم القضايا الخلافية بين الإنسان والروبوت من ناحية وبين روبوت وآخر من ناحية أخرى.

نزاعات وخلافات قانونية بين الإنسان والروبوت في الأفق

❏ **برلين – سنة 2015 سحق روبوت يعمل في أحد فروع شركة فولسفاغن في ألمانيا عاملا فأرداه قتيلا أثناء قيام العامل بتجميع أجزاء الروبوت.**

وأوضح المتحدث باسم الشركة أن الروبوت أمسك بالعامل وضغط عليه باتجاه لوحة معدنية. هذه أول جريمة يقوم بها الروبوت ما يطرح سؤالَ من يتحمل المسؤولية إذا ألحق روبوت ضررا بإنسان أو أساء إليه؟

وفي 2016 شهدت مدينة شنتشن بجنوبي الصين حادثة اعتداء روبوت على الإنسان، وذلك في معرض التقنيات الإلكترونية الذي أقيم في تلك المدينة، حيث قدمت إحدى الشركات روبوتا قصير القامة تشبه بنيته وأبعاده بطل فيلم "حرب النجوم".

وانحصرت وظيفة الروبوت الرئيسية في تدريس الأطفال وترفيه الضيوف، لكنه انطلق فجأة من مكانه وراح يدك المعدات الواقعة بالقرب منه، وعندما حاول موظف في المعرض وقف الروبوت عن هيجانه، ضغط الأخير على رجل الموظف وضربه.

هل ستكون قوانين الحرب المطبقة حاليا كافية للتعامل مع أي مشكلة قد تطرأ حال نشر الروبوت القاتل واستخدامه في المعارك والحروب؟ سيقوم في المستقبل بالقتل دون الرجوع إلى البشر بل سينهتك القانون ويُنفذ إعدامات دون رحمة في حال عدم منعه عالميا، كما يتوقع الباحثون.

أسئلة كثيرة تطرح نفسها بعد أن أصبح الروبوت يعيش مع الإنسان في المنزل والعمل ويشاركه الكثير من تفاصيل الحياة اليومية، بل أصبح شرطيا بغية التقليل من معدلات الجريمة ورصد المخالفات.

حذر باحثون ومتخصصون في مجال الذكاء الاصطناعي من مخاطر الروبوت، مؤكدين أنه سيتحول قريبا إلى "مجرم خطير"، لا يمكن ردعه، وذلك سيتسبب حتما في وقوع نزاعات ومرافعات قضائية.

يقول إيغور نوسكوف -أستاذ القانون في إحدى الكليات الروسية- معلقا على إعلان تقدم به قاض في المحكمة الدستورية الروسية يتعلق بطرح قوانين تشمل الروبوتات، إن مشكلة إقامة وتنظيم العلاقات بين الشخصيات الطبيعية والقانونية من جهة، والروبوتات من جهة أخرى تصبح مع مرور الوقت أكثر إلحاحا، ولا يستبعد الخبراء احتمال تنظيم العلاقات بين روبوت وآخر.

وعلى سبيل المثال، يمكن أن يتسبب السائق الآلي في وقوع حادث مرور لالتزامه الفائق بمراعاة قواعد المرور التي أصدرتها شرطة المرور. وهناك بند يفيد بأن السائق يحق له خرق قواعد المرور تفاديا لوقوع الحادث أو إصابة الركاب بجروح، فما العمل إذا أدى التصرف الصائب للروبوت إلى وقوع الحادث أو حتى مقتل البشر؟ ومن سيتحمل مسؤولية ذلك؟

سيصبح الروبوت في المستقبل قادرا على التعلم من تجاربه، ما قد يجعله عرضة لمخالفة القوانين، وفي حال قرر أن يصبح عنصرا إجراميا سيكون من المستحيل توجيه التهم إليه.

ويورد باحثان في مجال الذكاء الاصطناعي هما أميتاي إيتزيوني وأورين إيتزيوني مثالا السياراتَ ذاتية القيادة لإظهار الأخطاء التي يمكن أن تنجم عن الروبوت والتي تصنف في خانة الجرائم في حال قام بها الإنسان.

وكان الباحثون في غوغل قد حذروا في السابق من ظاهرة مماثلة يقوم فيها روبوت التنظيف بقتل أصحابه إذا ما اعترضوا طريقه، لكن هذا التهديد يتعاظم في حالة الروبوت المزود تحديدا بقدرات قاتلة أو حتى منقذة للحياة.

وأصبح من الضروري وضع هيكل قانوني ليصبح الروبوت أكثر تكاملا في الحياة اليومية، لذلك اقترح المشرعون إعطاء شخصية إلكترونية للروبوت، كنوع من الشخصية القانونية، وذلك ضمن تقرير للاتحاد الأوروبي سنة 2017، لكن هذا النوع من الحقوق محدود ولن يكون مماثلا لحقوق البشر، إذ لن يتاح للروبوت الزواج أو شراء المنازل أو تبني الأطفال، لكنه سيتيح للروبوت ذاتي التحكم أن يقاضي غيره، وسيتيح للآخرين مقاضاته، كما سيتيح للروبوت صفة قانونية مثلما هو الشأن بالنسبة إلى الشركات.

لا يتفق الجميع على هذه الخطوة، فقد حذّر منها خبراء المفوضية الأوروبية، مؤكدين أن هذه الخطوة المقترحة ستكون سيئة من الناحية القانونية والأخلاقية؛ يقولون إن هذه الخطوة ستحمّل الروبوت مسؤولية الأخطاء التي يرتكبها بدل أن تتحملها الشركات المصنّعة، كحال أن يستخدم روبوتٌ مكلف برعاية مرضى قوة مفرطة تجاه أحد المرضى ويكسر ذراعه.

> يقترح مشرعون في الاتحاد الأوروبي إعطاء شخصية إلكترونية للروبوت، كنوع من الشخصية القانونية

يقول أستاذ الذكاء الاصطناعي في جامعة شيفيلد في بريطانيا نويل شاركي "إن موقف البرلمان الأوروبي يمنح الشركات المصنعة طريقة خبيثة للتهرب من مسؤوليتها".

في المقابل يشير بعض الخبراء إلى أن تقرير الاتحاد الأوروبي يضع منطلقا للتشريعات التي يحتاج إليها الناس فحسب، "علاقة سببية بين السلوك الضار للروبوت والأضرار التي لحقت بالطرف المتضرر"، والتي يجب أن تعوضها الشركة المصنعة.

وهذا يعني أن ضحايا جرائم الروبوت ستنصفهم العدالة، ولن يستطيع الصناع الهروب من العدالة بالقول إنهم لم يقصدوا أن يتصرف الروبوت بهذه الطريقة.

ونتيجة لزيادة تعقيد الروبوت، ستزداد النقاشات الدائرة حول حقوقه، وتوجد حالات معقدة أخرى من حقوق الروبوت في حال كانت أفعال الآلة الذكية ومنتجاتها مرتبطة بها وليس بمصممها.

يقول أحد المحامين لصحيفة الغارديان "إذا صمم روبوت جهازا وتم تسجيل براءة اختراع، فمن يملك براءة الاختراع، الروبوت أم مصممه؟ ومن يحصل على أرباح بيع هذا الاختراع؟ وإذا بيع الروبوت لشخص آخر، هل يأخذ ذلك الشخص تلك الملكية الفكرية أيضا؟".

الإشكاليات القانونية والأخلاقية التي يطرحها تطور الروبوت عديدة، فإلى جانب حقوق الإنسان التي تترتب على ارتكاب الروبوت جريمة في حق إنسان ما، ماذا عن الروبوت الذي يتعرض إلى مضايقات أو انتهاكات من قبل البشر؟

التساؤل ليس من باب الفرضيات، فالحوادث والمضايقات التي تعرض لها الروبوت أثناء أدائه للمهمات الموكلة له كثيرة؛ ففي سنة 2017 طرح رجلٌ روبوتَ حماية يزن أكثر من 130 كيلوغراما أرضا، في ولاية كاليفورنيا الأميركية، لتنطلق التعليقات الساخرة من قبيل "روبوت بلا حيلة يخسر قتالا مع رجل ثمل"، أو "الشرطة تقول إن روبوتَ حمايةٍ تعرّض للضرب بين السيارات المصفوفة".

ستتوالى هذه الحوادث مع انتشار الروبوت في الشوارع لإيصال الطلبيات، وتقديم خدمات أخرى في حياتنا اليومية، ما يتطلب حمايته من العابثين الذين سيحاولون تنفيذ مقالب عديدة، خاصة أولئك الذين سيسلبهم الروبوت وظائفهم، ليشفوا غليلهم.

وقالت شركة "كنايت سكوب" المسؤولة عن صناعة روبوتات توزعت بمنطقة "ماونتن فيو" في كاليفورنيا، إن منتجاتها تعرّضت لثلاثة حوادث مضايقة منذ إطلاقها لأول نموذج تجريبي؛ ففي عام 2014 حاول شخص طرح روبوت أرضا، وفي 2016 حاولت مجموعة من الناس رش روبوت بدهان، لكن أجهزة الروبوت استشعرت رائحة الدهان فأعلمت السلطات المحلية ومهندسي الشركة، وهرب المخرّبون.

وظهر روبوت "هيتشبوت" الذي كان يقف على رصيف الشارع للتنقل من موقع إلى آخر، ليبدأ رحلته عام 2015 عبر كندا، وعند بلوغه فيلادلفيا فقد أثره، وعثر عليه مفكوك الأطراف ومرميا في إحدى المناطق المهجورة.

وادعى مخترع إلكتروني أن دميته الجنسية الذكية تعرضت لواقعة تحرش في مهرجان فنون صناعة التكنولوجيا الذي أقيم في لينز بالنمسا سنة 2017.

وكان المهندس سيرجي سانتوس من إسبانيا يريد أن يقدم الروبوت "سامانثا"، لتستجيب للإغراء "اللطيف" في المعرض ولكن يبدو أن سامانثا حصلت على أكثر من مجرد الإثارة الرومانسية.

انتشار الروبوت يطرح أكثر من سؤال قانوني وأخلاقي، هذا الانتشار أصبح يحتاج إلى تنظيم للعلاقات بين الروبوت والبشر وبين الروبوت والروبوت، وهو التنظيم الذي ربما يتكفل به ربوت في رتبة قاض.

روبوت قاض يحسم القضايا الخلافية ويبرم عقود الزواج

❏ **لندن** – تمكن أحد الباحثين في جامعة لندن العلمية من ابتكار روبوت يعمل على تأدية وظيفة القاضي عبر استعمال ميزة الذكاء الاصطناعي، وبعد الموافقة على تجريبه في بعض القضايا التي تخص المواطنين تمكن هذا الروبوت من تحقيق نتيجة 70 بالمئة أي أن جزءا كبيرا من القضايا التي قام بالحكم فيها كانت صائبة حسب قوانين الدولة، وأكد الباحثون أن هذا الروبوت القاضي من المحتمل أن يحدث ثورة في هذا المجال.

وبرمج أحد الباحثين المختصين في مجال البرمجة هذا الروبوت بأن وضع في ذاكرته ما يقارب 679 حالة سبق أن تم الحكم فيها بشكل صحيح، لهذا تم تأكيد ضرورة استعماله لأنه سيقوم بتحسين الحكم في القضايا العائلية والاجتماعية عموماً وخصوصاً القضايا الصعبة التي تحتاج في بعض الأحيان إلى الإنصاف.

وأكد الباحثون أنه تم تقديم هذا الروبوت لمنظمة العفو الدولية، كما يتم استخدامه حالياً في لندن لكن في بعض القضايا العادية والسهلة حتى يتم بعد ذلك استعماله في ما هو أصعب.

هذا على الرغم من شكوك البعض في نجاح مهمة القاضي الروبوت حيث تقوم المشاعر الإنسانية للقاضي بدور مهم في الكثير من الحالات مثل أم تسرق رغيف خبز لأطفالها الجوعى، هذه هي روح القانون التي لن يستطيع الروبوت أن يقوم فيها بأي دور يذكر، حسب اعتقادهم.

لكن الباحثين يتوقعون أن هذا الروبوت في مجموعة أفضل اختراعات العالم في مجال الذكاء الاصطناعي لكونه يؤدي وظيفة يصعب الوصول إليها باستخدام الذكاء الاصطناعي لأنها متغيرة بتغير الزمان والمكان، كما أنها تحتاج إلى العقل البشري حتى يتم الحكم فيها بشكل منصف وعادل.

ويقول الباحثون إن الكمبيوتر القاضي ليس من المرجح أن يحل محل القضاة في أي وقت قريب، ولكن يمكن استخدامه لمساعدتهم في إنجاز مهامهم بشكل أسهل وأسرع خاصة في القضايا الهامة والحساسة، حيث يستخدم الروبوت تقنيات الذكاء الاصطناعي المتطورة من أجل دراسة ومقارنة البيانات واستخلاص البيانات والأدلة بشكل كبير.

وفي سنة 2017 بدأت الصين في تشغيل روبوتات متخصصة بالنظر في القضايا، وتم النظر في حوالي 15 ألف قضية في شرق الصين.

وقالت صحيفة "بكين نيوز"، إن هذه الروبوتات عثرت على 7420 ثغرة في القضايا التي راجعوها بدقة تبلغ 100 بالمئة حسب مسؤولي النيابة المحلية، وساعدت الروبوتات في التعامل مع قضايا في 7 مدن بمحافظة جيانجسو ومعظمها كانت قضايا مرورية.

وبداية 2018 نجحت الإمارات في استخدام باقة خدمات «مبروك ما دبرت»، التي وظفت التكنولوجيا الذكية لإتمام عقود الزواج حسب الضوابط الشرعية والإجراءات القانونية المتبعة.

ويؤسس العقد الذكي لمرحلة جديدة من الابتكار ليكون الشاب عبدالله أحمد تهلك، الذي عقد قرانه على كريمة علي أحمد أهلي، ثاني شخص يعقد قرانه بوساطة الروبوت الذي يربط بين القاضي وأهل العروسين والشهود.

أخبار التكنولوجيا

هاتف آي فون يتحول إلى سماعة طبيب ذكية

❏ ابتكر طالب في نيويورك غطاءً فريداً من نوعه يُحول أي هاتف "آي فون" إلى سماعة طبيب ذكية، تُمكن من سماع وتسجيل نبضات قلب المريض بشكل أكثر وضوحاً ودقة من السماعة التقليدية، ورؤية النبضات على شاشة الهاتف.

الغطاء مزود من الخلف بجهاز صغير لقياس دقات القلب، حيث يعمل كقناة تنقل دقات قلب المريض وأنفاسه إلى ميكروفون الهاتف، ثم تُخزن البيانات داخل تطبيق ذكي لفهم الحالة الصحية للمريض.

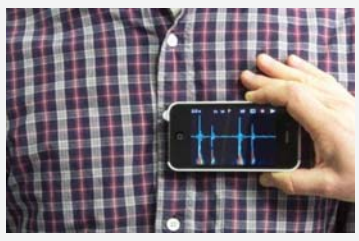

وظائف جديدة بنظام غوغل أندرويد 8

❏ يزخر نظام غوغل أندرويد 8 (أوريو) الحالي بالعديد من الوظائف الجديدة، منها على سبيل المثال وظيفة الوضع الليلي.

هذه الوظيفة تعمل على فلترة اللون الأزرق من إضاءة الشاشة في ظل ظروف الإضاءة السيئة أو في الظلام، ويمكن للمستخدم ضبط مدى شدة الفلتر والأوقات، التي يكون فعالا فيها عن طريق قائمة الإعدادات تحت بند "الشاشة/ضوء الليل".

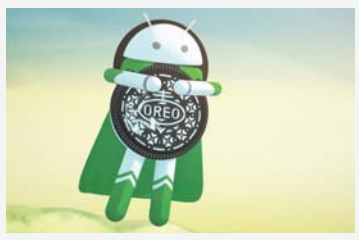

سفينة نوح حديثة تنقذ البشرية

❏ تخطط مجموعة من العلماء لإنشاء "سفينة نوح" العصر الحديث، يمكن أن تُحدث "ثورة في فهمنا للتطور".

ويعمل العلماء على جمع وتخزين الشيفرات الوراثية لكل من 1.5 مليون من النباتات والحيوانات والفطريات المعروفة، خلال العقد المقبل لاستخدامها لمعرفة المزيد عن تطور الأنواع وكيفية تحسين بيئتنا.

روبوت يصنع الأثاث بسرعة فائقة

❏ تخطط شركة إيكيا للاعتماد على روبوتات تقوم بمهمة تجميع أجزاء الأثاث بسرعة فائقة وبدقة عالية. وقد تمت برمجة الروبوتات للعمل على تجميع أجزاء الأثاث، إذ لا تستغرق عملية تجميع الكرسي الواحد أكثر من 11 دقيقة.

ويسعى الباحثون إلى أن تكون الروبوتات قادرة على بناء أي قطعة أثاث من خلال قراءة الدليل، أو النظر ببساطة إلى صورة القطعة. وتقوم الروبوتات بالتقاط صور ثلاثية الأبعاد للكرسي بواسطة كاميرات متطورة، قبل أن تبدأ بعملية سريعة لتركيب أجزاء الكرسي.

الهرولة ببطء تساعد على زيادة اللياقة البدنية

الهرولة بشكل سليم تحفظ سلامة الركبة

يهتم الكثير من المتدربين برياضتي الركض والمشي ولا يولون الهرولة نفس الحيز الزمني، لاعتقادهم أنها غير مجدية أو لا توفر نفس الفوائد التي تحصل بعد ممارسة الرياضات الأخرى. لا تقل الهرولة بنوعيها البطيئة والسريعة أهمية عن بقية الأنشطة البدنية وهي تدريب يتوسط في درجة الجهد والنسق كلا من الركض والمشي ويعتبر أحيانا أكثر سلامة منهما.

❑ **كولونيا (ألمانيا)** – يمكن أن تكون الهرولة ببطء هي الحل، بالنسبة إلى أولئك الذين لا يستهويهم الركض. وأحد المعايير الرئيسية لمدى إنجازك هذا النشاط بشكل جيد هو ما إذا كان بمقدورك الابتسام خلال الهرولة البطيئة.

يوضح لوتس هرتل –وهو شغوف بالهرولة البطيئة– من جمعية الصحة الألمانية قائلا "إنك تركض ببطء شديد إلى درجة أنك تشعر بأنك في حالة جيدة خلال القيام بهذا النشاط".

> من لا يريدون إحصاء خطواتهم يمكنهم الاستماع إلى موسيقى ذات إيقاع بمعدل 180 نقرة في الدقيقة ثم الهرولة في الوقت المناسب

ابتكر خبير الرياضات اليابانى هيرواكي تاناكا رياضة الهرولة البطيئة قبل سنوات كثيرة. والميزة الرئيسيّة لما يُعرِّفُه أغلب الأشخاص بالهرولة لا تكمن في انخفاض السرعة فحسب وإنما تطال أيضا الطريقة التي يضع بها من يمارس رياضة الهرولة البطيئة قدمه على الأرض؛ فهو ينزل بمنتصف قدمه على الأرض وليس على الكعب، وهو ما يقول هرتل إنه يمكن أن يحول دون إلحاق ضرر بالركبة والفخذ والعمود الفقري.

كما أن الوتيرة البطيئة تشبه طول الخطوة. ويقول هرتل "يخطو المرء عدة خطوات قصيرة" على الأقل 180 خطوة في الدقيقة. وبالنسبة إلى هؤلاء المعتادين على الهرولة بشكل طبيعي يعدّ هذا الرقم مرتفعا.

وهؤلاء الذين لا يرغبون في إحصاء خطواتهم يمكنهم الاستماع إلى موسيقى ذات إيقاع بمعدل 180 نقرة في الدقيقة ثم الهرولة في الوقت المناسب.

كما يمكن لمن يهرول هرولة بطيئة أن يركض بشكل عمودي واليدان تترنحان على الجانين وينظر إلى بعيد.

ويقول هرتل إنه لا يوجد مبرر للاعتقاد في أن الهرولة البطيئة ليست لها فوائد، مضيفا "بمرور الوقت ستصبح حتما أكثر لياقة وتحسّن قدرتك على التحمل".

ويقول إنجو فروبوزه –وهو أستاذ بجامعة الرياضة الألمانية في كولونيا– "لا يمكن أن تكون بطيئا جدا"، مضيفا أن إحدى العلامات الجيدة الدالة على أنك تهرول بشكل صحي هي أن تكون قادرا على التحدث؛ فـ"إذا كنت تستطيع الدردشة فإن نسق الهرولة صحيّ".

ويضف أن مدة التمرين لا يجب أن تكون قصيرة للغاية؛ المدة المثالية هي ساعة وإذا تعذّر ذلك فمدة نصف ساعة كافية.

لكن ينبغي على هؤلاء الذين يهرولون بانتظام ألا يعتقدوا أن بإمكانهم الهرولة ببطء على مدى ساعة، بحسب هرتل، لأن هذا التمرين يسبب الإجهاد الشديد لأوتار الركبة وعضلات الربلة.

وينصح بالتناوب بين دقيقة من الهرولة البطيئة و30 ثانية من المشي وذلك بالنسبة إلى الأسبوع الأول أو الأسبوعين الأولين، لتعويد الجسم على طريقة الهرولة غير المعتادة.

ويضيف "هؤلاء الذين يقدمون على التغيير بشكل سريع يجازفون بالتعرض لإصابة في عضلات الربلة".

وينصح فروبوزه بأنه يجب على المبتدئين البدء بمسافات قصيرة. ويقول "قم بالمشي من حين لآخر، فإن جسمك لا يعلم كيف تتحرك ولكنه يعلم فقط أنك تتحرك".

وشيئا فشيئا سيتمكن من يمارس الهرولة البطيئة من قطع مسافة لا بأس بها.

ويشير هرتل إلى أن أحذية الركض التقليدية التي يكون فيها النعل سميكا إلى حدود الكعبين ليست الأفضل لممارسة رياضة الهرولة، إنما الأفضل ارتداء الأحذية ذات النعال المرنة والتي يوجد بها اختلاف قليل في السمك بين أصابع القدم والكعبين.

توصّلت دراسة جديدة إلى أنّ الهرولة لمدة 30 دقيقة يومياً على مدى خمسة أيام في الأسبوع تضيف إلى العمر 10 سنوات. وتبيّن البحوث أنّ أولئك الذين يمارسون رياضة الهرولة، أو الركض البطيء، بانتظام تتأخر لديهم علامات الشيخوخة.

وقد حدّد الخبراء في جامعة بريغهام يونغ 30 دقيقة للنساء على مدى 5 أيام في الأسبوع أما الرجال فهم بحاجة إلى 40 دقيقة من الهرولة لمدة 5 أيام في الأسبوع.

وأشار الخبراء إلى أنّ الهرولة بهذه الوتيرة تُؤخّر ظهور التجاعيد وتمنع تساقط الشعر لدى النساء وحتى ظهور الشعر الأبيض. أمّا لدى الرجال فتجدد الخلايا في أجسامهم ويحصلون على الطاقة اللازمة بالإضافة إلى عدم تساقط شعرهم أو تحوله إلى الأبيض. وتعليقاً على هذه الدراسة قال أستاذ العلوم لاري تاكر "كلما ازداد نشاطنا البدني قضينا على الشيخوخة". وأثبتت دراسة طبية ألمانية سابقة أهمية الركض البطيء والرياضة بصفة عامة لصحة العين ومقاومة الأمراض المتعلقة بضعف البصر، وخصوصاً أمراض ما يُطلق عليه "الماء الأزرق" الذي يعتّم الرؤية.

وقالت دراسة أنجزها قسم صحة وأمراض العين في جمعية "ماكس بلانك" للعلوم الطبية والطبيعية بالتعاون مع الجمعية الألمانية لطب العيون إن ارتفاع ضغط الدم وازدياد مستوى الدهون (الكوليسترول) بجسم الإنسان أحد الأسباب الرئيسية التي تؤدي إلى ضعف البصر.

وبينت رئيسة قسم علوم طب العيون في جمعية "ماكس بلانك" ماري لويزه برايتكوبف في ندوة طبية في برلين أن قسمها العلمي وجد من خلال تجارب قام بها على بعض المرضى الذين يعانون من ضعف الإبصار أن رياضة الهرولة مفيدة جدا لهؤلاء المرضى؛ وبالتالي فهي عامل مهم لصحة العين.

وأوضحت برايتكوبف أنه عندما يهرول الإنسان ترتفع درجة حرارة جسمه ويزداد ضغط الدم بشكل كثيف إلا أنهما يعودان إلى حالتهما الطبيعية تدريجيا، الأمر الذي يؤدي إلى نقاوة العين وصحة البصر بشكل أفضل.

ونصحت أولئك الذين يستخدمون النظارات الطبية بخلعها أثناء ممارسة رياضة الهرولة لتمكين الهواء النقي من الدخول إلى العين ومساعدتها على إخراج العرق الشبيه بالدموع، الأمر الذي يسهم في تخفيف الضغط الداخلي للعين، وخصوصاً ضغوط الرؤية، مضيفة أن ممارسة رياضة المشي والهرولة لمدة نصف ساعة مرتين يومياً مفيدة جدا للعين وصحة الجسم بصفة عامة، إضافة إلى تقوية حاسة السمع.

الركض الجماعي ينمي الثقة بالنفس

❑ **لندن** – خلصت دراسة حديثة إلى أن ممارسة رياضة الركض بانتظام تجعل الناس أكثر سعادة وثقة بأنفسهم.

وأكد الباحثون أن ممارسة رياضة الركض بانتظام تؤدي إلى شعور الإنسان بالرضى والارتياح.

وأجرى الباحثون مسحا استقصائيا على 8 الآف شخص من ممارسي رياضة الركض، نشرت نتائجه هيئة الإذاعة البريطانية بي.بي.سي، وتوصلوا إلى أن محبي هذه الرياضة يشعرون بسعادة بالغة لدى ممارسة الركض بشكل جماعي مع أهالي الحي. يتم تنظيم مثل هذه الأنشطة الرياضية الجماعية، في بريطانيا، في أغلبية المتنزهات مرة على الأقل أسبوعيا. ويتشرك الأهالي في تطبيقات تُعنى بهذه الرياضة على الهواتف النقالة مثل تطبيق"سترافا"، وهو شبكة اجتماعية للرياضيين تضم الملايين من المتسابقين وراكبي الدراجات والرياضيين وتعمل على تشجيع الرياضيين وإطلاق العنان لإمكانياتهم.

وأكد 89 في المئة من المشاركين في المسح أن الركض بصورة منتظمة يشعرهم بالسعادة ويؤثر بصورة إيجابية على صحتهم العقلية ورشاقة أجسامهم.

وسجل المشاركون في هذه الدراسة مستويات عالية من السعادة لدى قياسها على "مقياس أكسفورد للسعادة " وكانت أعلى من المعدل بأربع درجات.

وقال الباحثون في جامعة غلاسكو كيدونين الذين أشرفوا على هذه الدراسة إنهم أجروا مقابلات مع 8.157 شخصاً من ممارسي رياضة الركض مسجلين بصورة رسمية للركض في المتنزهات المحلية وفي مبادرة بنك نيشون واید للركض الحر لـ 5 كيلومترات أسبوعياً وتطبيق "ستارفا".

وصرح الدكتور إيمانويل تيول بأن "الركض يُشعر المرء بأنه أنجز شيئاً ما، الأمر الذي يشعره بالرضى الذاتي الكامل".

وأضاف أن "الركض يمد الإنسان بالثقة بالنفس ويشعره بالسعادة".

وأردف قائلا إن " الركض في المتنزهات المحلية مع أبناء المنطقة والقدرة على متابعة درجة تقدم المرء في ممارسة هذه الرياضة عن طريق التطبيقات على الهواتف النقالة، يجعلان ممارسة رياضة الركض أكثر متعة".

وأشار إلى أن "الركض يعتبر وسيلة للحفاظ على رشاقة الجسم".

وكشفت الدراسة أن تطبيق "سترافا" شجع 83 في المئة من المشاركين في المسح الاستقصائي على الركض، فيما قال 55 في المئة منهم بأن النشاطات التي تنظم في المتنزهات المحلية حفزتهم على ممارسة رياضة الركض بانتظام.

وفي الوقت نفسه، توصلت دراسة بريطانية منفصلة نشرت في الدورية الأميركية لعلم النفس إلى أن القيام بأي نشاط بدني يقلل من نسبة الإصابة بالاكتئاب.

وقام فريق دولي من الباحثين من بينهم خبراء من كلية كينغز كوليدج في لندن بتحليل بيانات 49 دراسة مختلفة تتضمن معلومات عن الاكتئاب والنشاط البدني.

واطلع الخبراء على بيانات 266 ألف شخص، وتوصلوا إلى نتيجة مفادها أن نحو ربع مليون شخص ممن لا يقومون بأي نشاطات بدنية تذكر كانوا عرضة للإصابة بالاكتئاب.

وأضافوا أن "أولئك الذين يمارسون التمارين الرياضية ويقومون بأنشطة بدنية متنوعة كانوا أقل عرضة للإصابة بالاكتئاب".

الركض يعزز الشعور بالرضى والارتياح

تعديل الجينات أحدث المنشطات الرياضية

❑ **دبي** – يرغب الكثير من الرياضيين، ولا سيما المحترفين منهم، في تعزيز أدائهم بشكل مستمر، ولا يكتفون ببرنامج التدريبات بل يقتنون كل ما يساعدهم على تنشيط عضلاتهم، في أسرع وقت ممكن. ولأن الحبوب المنشطة الكلاسيكية محظورة دوليا، يبحث عدد كبير من المتدربين عن أساليب متطورة تحقق الهدف دون الوقوع في الفخ الذي قد يكلفهم الإبعاد عن المسابقات الدولية.

في سنة 2008 التي كانت سنة أولمبية، لم يتوقف هاتف الطبيب الفسيولوجي من كلية بيرلمان للطب في جامعة بنسلفانيا، لي سويني، عن الرنين. وكان الأشخاص الذين ينتظرونه على الجهة الأخرى من الاتصال عبارة عن رياضيين راغبين في "علاج" من نوع آخر، حيث طلبوا منه تنشيطَهم جينياً.

واحتل اسم سويني عناوين الأخبار في أواخر التسعينات من القرن الماضي، ما أثار انتباه الرياضيين الباحثين عن طرق لتعزيز الأداء الخاص بهم، من خلال بحثه حول "فئران شوارزنيغر" التي بلغت معدلات القوة لديها نسبة 30 بالمئة مقارنة بغيرها من الفئران، حيث استطاع عزل الجين المسؤول عن تنشيط بروتين "آي.جي.أف 1-" الخاص بنمو وتقويم العضلات.

ولم يعد سويني محل اهتمام القطاع الرياضي، وذلك لكونه الآن مستشارا في الوكالة العالمية لمكافحة المنشطات، إذ قال "كان يتواصل معنا رياضيون رفيعو المستوى.. والآن أصبح أغلبهم من المتخصصين في رياضة كمال الأجسام".

تشير الشبكة الأميركية سي.أن.أن، إلى أن العلاج بالجينات لم يحرز، في الماضي، التقدم الكافي ليُدرج في قسم الممارسات المحظورة في الرياضة، ولكن الوكالة العالمية لمكافحة المنشطات استجابت لتلك الإمكانية عبر حظرها لـ"المنشطات الجينية" في العام 2003، والتي وصفتها بـ"الاستخدام غير العلاجي للخلايا والجينات والعناصر الجينية أو تعديل تعبير جيني له القدرة على تحسين الأداء".

واليوم، تستخدم تقنياتٌ لها القدرة على نقل الجينات المفقودة إلى العضلات الهيكلية، لعلاج الأمراض النادرة. وبسبب ذلك، يتخوّف سويني من إمكانية استغلال الرياضيين لذلك.

وفي تجربة "فئران شوارزنيغر"، استخدم سويني الطريقة التقليدية في العلاج الجيني والتي تتطلب فيروسا لإدخال الجين المطلوب وجعل الفئران أقوى.

ومن إحدى طرق التنشيط لدى الرياضيين هرمون الإريثروبويتين، المعروف بـ"إي.بي.أو"، الذي يزيد من كمية الهيموغلوبين التي تساعد على إيصال الأوكسجين إلى الأنسجة.

وباستخدام حقن الـ"إي.بي.أو"، تمكن رياضيون من تحسين مستوى أدائهم لعدة سنوات حتى تمكنت السلطات من ملاحقتهم. والآن، أصبح بإمكان ضوابط مكافحة المنشطات الكشف عن الـ"إي.بي.أو" الخارجي من خلال تحاليل الدم والبول. وتُعتبر "كريسبر" تقنية أخرى تسمح لعلماء الوراثة بتعديل أجزاء محددة من الجينوم الخاص بالمرء، أي ما يُعرف بـ"تحرير الجينات".

وأدّى التطور السريع للتقنية إلى إعلان الوكالة العالمية لمكافحة المنشطات عن توسيع حظر "المنشطات الجينية" إلى "عوامل تحرير الجينات المصممة لتعديل متواليات الجينوم، أو التنظيم النسخي للتعبير الجيني".

الشباب العرب يدفعون إلى التغيير ولكنهم ليسوا في مقعد القيادة

إشراك الشباب في عملية صنع القرار السياسي لا يبرح إطار النوايا

تردد غالبية الخطابات السياسية بمناسبة ودون مناسبة نوايا أصحاب القرار دعم الشباب ومساندتهم ليكون في مواقع الريادة في جميع المجالات وعلى رأسها العمل السياسي. ويعلن القائمون على الحكومات رغبتهم في تكوين قادة من الشبان من ذوي المؤهلات العالية لتحقيق التقدم لبلدانهم. لكن تظل هذه النوايا بمثابة شعارات فقدت معناها من كثرة الاجترار دون وجود أثر لها، إلا ما ندر، على أرض الواقع.

سماح بن عبادة
صحافية من تونس

تونس – تزخر وسائل الإعلام التقليدية والرقمية اليوم بصور لنماذج مثالية وإيجابية للشباب الرائد في مختلف المجالات، مفضلة تجاهل واقع أكثر قتامة يرتبط فيه جيل الشباب بمشاكل وتحديات خطيرة أضحت سمة العصر الحالي، ابتداء من الإرهاب إلى الانتحار والهجرة غير الشرعية والعنف والجريمة والإدمان وغيرها، وفق ما تؤكد الدراسات الاجتماعية والنفسية في المجتمعات العربية التي كشفت أيضا أن العدد الأكبر من الشباب الذين يتجهون نحو الانتحار والإدمان مثلا كانوا مهمشين في أغلب الأحيان ويعانون من ظروف اقتصادية واجتماعية قاسية.

واستنتجت دراسات أن وجود الشباب على هامش الحياة الاقتصادية والسياسية والاجتماعية في بلدهم يجعلهم ضحية لليأس وفريسة سهلة لمثل هذه الظواهر. الطبقة السياسية استفادت من هذه النتائج وراحت تستغل هذه الأرقام في برامجها السياسية والانتخابية رافعة شعار تمكين الشباب وتشغيلهم ودعمهم ليصلوا إلى مراكز القرار السياسي وإلى الريادة في مجال عملهم، غير أن الواقع الذي تعيشه المجتمعات العربية يكشف أن تمكين الشباب ليس إلا حبرا على ورق ونوايا ووعودا انتخابية.

> إشراك الشباب في مواقع صنع القرار السياسي يقدم وجها آخر للعلاقات بين الدول والمجتمعات ويكون فاعلا في الحد من الصراعات والحروب التي يعيشها العالم

بعض الدول العربية فعّلت استراتيجياتها في تمكين الشباب ومكنت عددا منهم من الوصول إلى مواقع القرار السياسي ودعمتهم في المجال الاقتصادي وريادة الأعمال مثل دولة الإمارات، لكن أغلب الحكومات العربية تتكون من كهول وأحيانا من شيوخ طاعنين في السن، فهم من يتبوأ مواقع القيادة السياسية من رؤساء ووزراء وكذلك نفس الفئة العمرية هي من تتولى ريادة الأعمال وتترأس كبريات المؤسسات الاقتصادية الحكومية والخاصة.

الثابت أن إشراك الشباب في مواقع القرار السياسي وفي قيادة الدول وقيادة مجتمعاتهم يكون له تأثيره على مجريات الشأن السياسي وعلى العلاقات الدولية ولعله يقدم وجها آخر للعلاقات بين الدول والمجتمعات ويكون فاعلا في الحد من الصراعات والحروب التي يعيشها العالم اليوم.

وصدرت دعوات في جلسة 23 أبريل 2018 لمجلس الأمن الدولي حول الشباب والسلم والأمن، تؤكد أن عدم تشريك الشباب في المجال السياسي ليس استثناء عربيا، وتثني على أهمية الدور الذي يمكن أن يلعبه الشباب في إدارة سياسات الدول، وقد شددت مبعوثة الأمين العام للشباب جاياثما ويكراماناياكي على ضرورة دعم الشباب في مجال بناء السلام، من خلال الإقرار بالجهود التي يبذلونها على المستوى المدني وتمويلها وحمايتها، ومنح الأولوية لمشاركة الشباب في المجال السياسي، وإقامة الشراكات معهم.

معالجة الإقصاء والتهميش

كان مجلس الأمن قد عقد قبل ثلاث سنوات اجتماعا حول الشباب والسلم والأمن، برئاسة أصغر من تولى تلك المهمة، وهو ولي عهد الأردن الأمير الحسين بن عبد الله، الذي كان في الحادية والعشرين من العمر في ذلك الوقت، وأقر الاجتماع بأن الشباب يدفعون إلى التغيير، ولكنهم ليسوا في مقعد القيادة، ودعا إلى منحهم "الترخيص" بالمساعدة في توجيه العالم إلى المستقبل المشترك.

اعتمد مجلس الأمن القرار 2250 الذي يعد أملا لعدد لا يحصى من الشباب والشابات الذين يخاطرون بحياتهم لمعالجة الصراعات والتطرف العنيف، والحاجة إلى السلام.

وتم تحقيق الكثير من التقدم منذ اعتماد القرار قبل نحو عامين. وبتكليف من الأمين العام للأمم المتحدة أجريت دراسة مستقلة حول المساهمات الإيجابية للشباب في بناء السلام واستدامته وحل الصراعات ومنع العنف.

وقال غرام سيمسون، الذي قاد جهود إجراء الدراسة، إن جوهرها يتمثل في ضرورة معالجة الإقصاء والتهميش لمليار وثمانمئة مليون شاب في العالم.

وأشار إلى أن نحو ربع العدد الإجمالي للشباب أي 408 ملايين شاب، يعيشون في بيئات يتعرضون فيها للعنف.

وتنقل الدراسة أصوات أكثر من 4 آلاف شاب من كل مناطق العالم، وتلقي الضوء على رؤى الشباب وتجاربهم ومطالبهم الموجهة لحكوماتهم والمنظومة متعددة الأطراف.

وأوضح سيمسون لمجلس الأمن الدولي أن شمول الشباب بشكل ذي مغزى، يتطلب عددا من الأمور، من بينها:

أولا: وضع سياسات جامعة بشكل حقيقي للشباب والشابات في المنتديات السياسية التمثيلية، التي تشكل حياتهم وتحدد تفاعلهم مع الدولة. وإشراك الشباب في مفاوضات السلام أو المصالحة والتخطيط لإعادة الإعمار.

ثانيا: الشمول الاقتصادي الكامل للشباب بشكل يتعدى الوظائف، ليتضمن تنمية مجتمعاتهم عبر أجندة التنمية المستدامة.

ثالثا: حماية الشباب من العنف المباشر وآثاره، وحماية حقوق الإنسان والبيئات الضرورية لعملهم في مجال السلام، بما في ذلك المعارضة والمظاهرات.

مستقبل دمرته الحروب

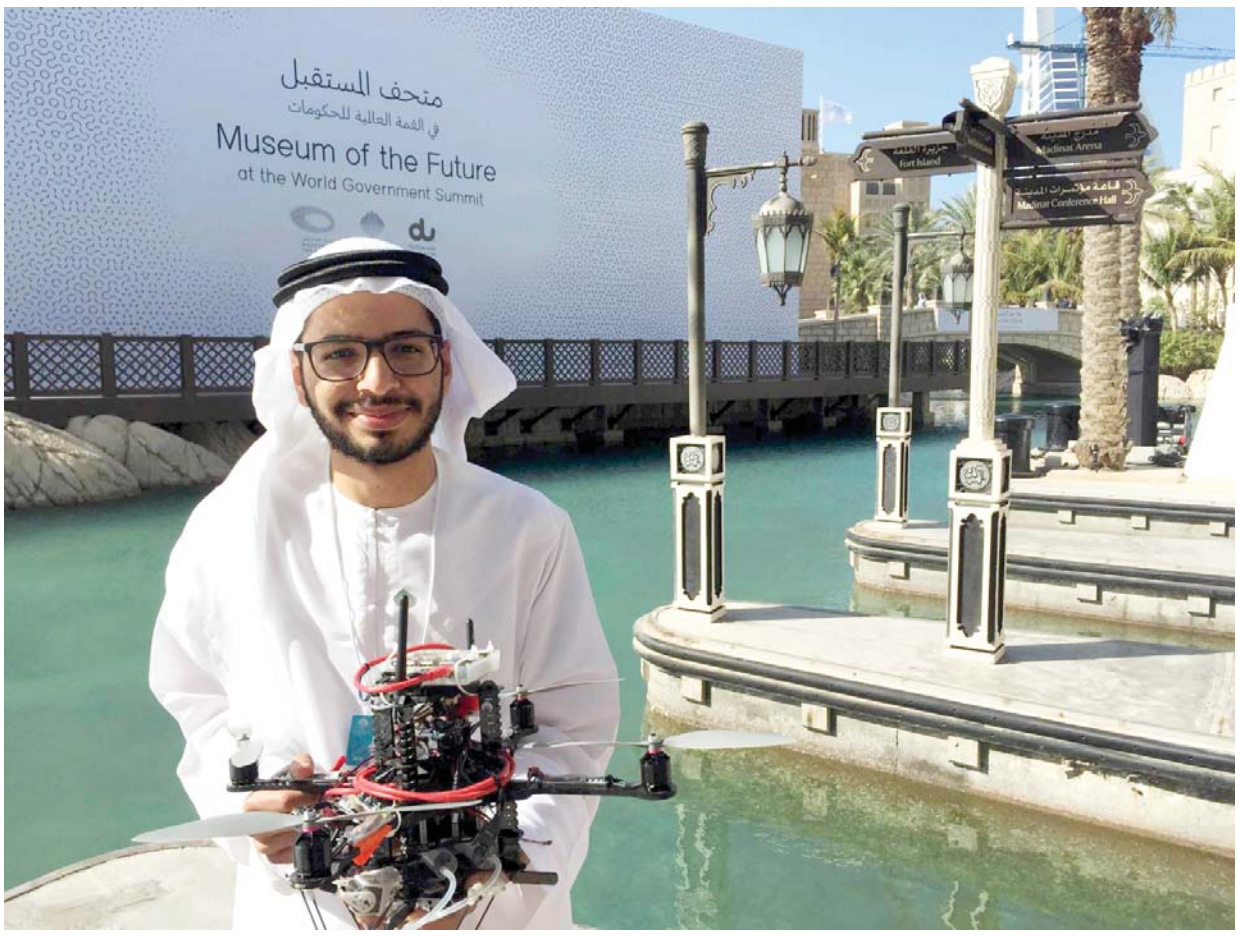

خطوات إماراتية بارزة في تمكين الشباب

رابعا: الإقرار الكامل بالتجارب والمساهمات الفريدة للشابات، وأهمية تطوير صيغ إيجابية لهوية ذكورية لا تعتمد على السيطرة أو ممارسة القوة تجاه النساء.

خامسا: تعزيز قيادة الشباب وجهودهم في إعادة إدماج من انجذبوا في السابق إلى العنف.

وتقدم الدراسة عددا من التوصيات في مجالات، منها الاستثمار في بناء القدرات وقيادة الشباب، وتوسيع نطاق الشمول في القطاعات الاقتصادية والاجتماعية والثقافية، وبناء الشراكات المحلية والإقليمية والدولية والتعاون من خلال تحالفات الشباب والسلم والأمن.

و"في المنطقة العربية التي تشهد الصراعات الأكثر حدة، يواجه عدد كبير من الشباب تحديات تشكل عقبة أمامهم لتحقيق طموحاتهم، فالنزاعات حطمت أمنياتهم ومستقبلهم والبطالة زادت من يأسهم وفقدانهم للأمان".

كانت هذه كلمة السفير منصور العتيبي المندوب الدائم للكويت في جلسة مجلس الأمن حول "الشباب والسلم والأمن".

وأضاف العتيبي أن "التحديات تتمثل أيضا في الفقر الذي سلب حق الشباب المشروع في العيش الكريم، فيما خطف الإرهاب والتطرف براءتهم، حيث تشكل هذه التحديات تهديدا خطيرا لمستقبل البلدان".

ويكافح عدد كبير من الشباب حول العالم لا سيما أولئك الذين يعيشون في البلدان النامية أو البلدان المتضررة من الصراع، للحصول على أبسط الاحتياجات الأساسية بما في ذلك التعليم والتوظيف وخدمات الرعاية الصحية، فضلا عن ممارسة الحريات المدنية والمشاركة السياسية.

ومن دون هذه الاحتياجات الأساسية لا يملك الشباب أي وسيلة للازدهار والنمو والمساهمة الكاملة في المجتمع، حيث تعد تلك الاحتياجات الاجتماعية والاقتصادية والسياسية عوامل أساسية لتحسين حياتهم والقضاء على الفقر وتعزيز الرفاه في المجتمعات السلمية.

وأوضح العتيبي "في منطقتنا العربية بلغ معدل البطالة لدى شريحة الشباب 30 في المئة والذي يعد الأعلى في العالم نتيجة الفشل في تحويل المكاسب التعليمية إلى وظائف لائقة للشباب، إلى جانب النمو السكاني السريع الذي لا يحد فقط من فوائد العائد الديمغرافي بل قد يؤجج المزيد من التوترات الاجتماعية والاقتصادية في المنطقة".

وتعد الصور النمطية السلبية للشباب أحد العوامل الرئيسية التي تعرقل إشراكهم ومساهمتهم في الأمن وبناء السلام لا سيما تلك التي تربطهم بمظاهر العنف.

تغيير النظرة السلبية للشباب

هناك اعتراف دولي بالحاجة الماسة إلى انخراط الشباب ذكورا وإناثا كشركاء فاعلين في الجهود العالمية لتعزيز السلام الدائم، بحسب ما أكدت سيما بحوث، المندوبة الدائم لدى الأمم المتحدة عن الأردن، الأمر الذي سيتوجب أن تكون للشباب مشاركة أكبر في عمليات صنع القرار على كافة المستويات.

وقالت بحوث إنه بات من الضروري تغيير النظرة السلبية السائدة إلى الشباب بأنهم المشكلة وأنهم مرتكبو العنف أو ضحاياه، إلى نظرة إيجابية بأنهم شركاء في مجابهة التطرف العنيف والإرهاب وفي إحلال ثقافة السلام.

أكثر من نصف سكان العالم تحت سن الـ30 عاما، و70 في المئة منهم يقيمون في منطقتين تتسمان بالنزاعات المسلحة وهما الشرق الأوسط وأفريقيا. كما أن التطورات العالمية خاصة في منطقة الشرق الأوسط، ولدت واقعا غير مستقر وأثرت بشكل خاص على الأطفال والشباب الذين فقد الكثير منهم فرصهم في التعليم الجيد والخدمات اللازمة.

لأجل ذلك فإن الاستثمار في الشباب وتعزيز دورهم يتمان من خلال وضع منظومة تعليمية عصرية تواكب التطورات وتحاكي سوق العمل وتساهم في الحد من الفقر والبطالة، وتعزيز الثقافة السياسية وثقافة السلام لديهم وزيادة معرفتهم ومشاركتهم بآليات اتخاذ القرارات السياسية والقوانين، والعمل على زيادة ثقافة التطوع لديهم عن طريق إيجاد محفزات معنوية ومالية لهم.

وقام الأردن بوضع استراتيجية وطنية للشباب للأعوام 2017 – 2025 لتحديد أولويات العمل الشبابي لتشمل برامج تدريبية لهم تهدف إلى توعيتهم بالحقوق المدنية والمواطنة ومساعدتهم على المشاركة في صنع القرار على المستوى المحلي، وأطلق عددا من المبادرات التي تهدف إلى تمكين الشباب وتعزز مفهوم المشاركة الشبابية ومنها ما يقوم على تكريم الشباب الرياديين من خلال تقديم الدعم المالي اللازم لتطوير مشاريعهم ومساعدتهم على تقديم حلول مبتكرة للتحديات التي تواجه مجتمعاتهم المحلية.

قوة دافعة وشريك أساسي

وشددت الإمارات على أهمية التعامل مع الشباب كشركاء أساسيين وقوة دافعة لتحقيق السلام والأمن الدوليين.

جاء ذلك في البيان الذي أدلى به نائب المندوبة الدائمة للدولة لدى الأمم المتحدة سعود حمد غانم الشامسي الذي قال في ما يخص سياسات الإمارات في دعم دور الشباب "نولي أهمية كبيرة للمفهوم الشامل للسلام، الذي يركز على منع التطرف والعنف ومعالجة أسبابه الجذرية في نفس الوقت".

وأكد أيضا أهمية العمل الذي تقوم به الفتيات، ولا سيما في ظل التداخل المفيد بين جدول أعمال "الشباب والسلام والأمن" وجدول أعمال "المرأة والسلام والأمن"، مشددا على أن الدولة تنظر إلى الشباب الإماراتي وإلى شباب المنطقة باعتبارهم القوة الدافعة لتحقيق السلام.

وأشار إلى اتخاذ خطوات ملموسة لإدراج الشباب بشكل ملموس في عمليات صنع القرار، إذ تم تعيين وزيرة شابة في عام 2016 لتولي شؤون الشباب، وإطلاق عدد من الآليات والمبادرات بما في ذلك إنشاء مجالس للشباب على جميع مستويات العمل الحكومي، واعتماد استراتيجية وطنية للشباب، وبمشاركة الشباب،

وذلك في خطوة تدعم سياسة المشاركة المنفتحة باعتبارها حجر الزاوية في بناء مجتمع يسوده السلام والازدهار.

> الاستثمار في الشباب وتعزيز دورهم يتمان من خلال وضع منظومة تعليمية عصرية تواكب التطورات وتحاكي سوق العمل وتساهم في الحد من البطالة

ولا يبدو أن أمام المجتمعات العربية حلولا أخرى لتحقيق السلام والأمن اللذين بدورهما لا يتحققان من دون نهضة اقتصادية وتنمية شاملة غير تفعيل دور الشباب في جل المجالات الاقتصادية والسياسية وفسح المجال أمامهم للوصول إلى مواقع القرار والقيادة ومنحهم الفرصة والمؤهلات اللازمة التي تمكنهم من أن يكونوا فعليا قوة دافعة لمجتمعاتهم نحو الأفضل ونحو النماء والأمن.

ولا يكفي رسم وتدوين الاستراتيجيات الخاصة بتفعيل دور الشباب في الشأن العام ولا الإعلان عنها ضمن التوجهات المستقبلية من قبل الحكومات والقائمين على السياسات العامة في الدولة، بل يجب الانطلاق في تكوينهم وتحفيزهم وتشريكهم فعليا في اتخاذ القرارات وتسيير الشأن العام.

عرض البحر والعالم الافتراضي ملجأ النساء العربيات لإجهاض آمن

تجريم حق النساء في الإجهاض يسهم في إنعاش طرق غير شرعية

لا يزال موضوع الإجهاض الآمن بمثابة حلم متعثر للكثير من النساء ويثير جدلا كلما تم طرحه لأسباب متعددة منها ما هو سياسي وبعضها اجتماعي وأكثرها يكون دينيا، وغالبا ما تحمل مبادراته سفينة تتوقف في عرض البحر أو تقتصر على العالم الافتراضي ولا ترسو على شطآن الدول المحرّمة له، بالرغم من أن حظره أو إباحته لم يغيّرا كثيرا من أرقام النساء اللائي يقمن بالإجهاض.

شيرين الديدامواني
صحافية من مصر

السفينة راسية بانتظار إشارة عربية لرفع شراعها والانطلاق

❏ القاهرة – ترسل يوميا الآلاف من الرسائل المختومة ببضع كلمات تتكرر "ساعدوني، فأنتم أملي الوحيد" عبر موقع منظمة "نساء في عرض البحر" على الإنترنت، لفتيات يطلبن المساعدة، بعد أن ضاقت بهن السبل وأوصدت بوجوههن الأبواب واقتربن من حافة الانهيار، ومن السهل معرفة محتوى الرسالة قبل قراءتها.

ويعود الموقع للطبيبة الهولندية ريبيكا غومبرتس، التي أنشأت المنظمة عام 1999، وتمكّنت من شراء قارب يخضع لقوانين هولندا التي تبيح الإجهاض الآمن للنساء تحت أي ظرف.

وبدأت الطبيبة تجول بالقارب حول العالم ومعها طاقم طبيّ، يرسو في موانئ الدول التي يُمنع فيها الإجهاض، ويقل على متنه سيّدات يردن التخلص من الجنين لأسباب مختلفة، ومن بعدها يتم نقلهن إلى المياه الدولية الأقرب، حيث تتمّ عملية الإجهاض، ويعود بهن بعدها إلى بلادهن.

الأمر شاق للغاية، لكن غومبرتس صرحت بأنه "يستحق كل هذا العناء". فوفقا لأرقام منظمة الصحة العالمية، هناك حوالي 26 مليون عملية إجهاض غير آمنة تتم سنويا، أغلبها في الدول النامية، وفي معظمها تضطر النساء إلى دخول المستشفى للعلاج من مضاعفاتها مثل النزيف الحاد، وتضرر الأعضاء التناسلية، أو الإجهاض غير المكتمل، حين تكون كافة أنسجة الحمل داخل الرحم.

> ما يقرب من خمسين ألف امرأة تلقى مصرعها سنويا جراء عمليات إجهاض غير آمنة على أيادي أشخاص يفتقرون للمهنية

وفي حالات كثيرة تؤدي تلك المضاعفات إلى الموت، وهناك ما يقرب من خمسين ألف امرأة تلقى مصرعها سنويا جراء عمليات إجهاض غير آمنة على أيادي أشخاص يفتقرون للمهنية ولا يمتلك مهارات طبية، أو في محيط لا تتوفر به إسعافات أولية.

ولذلك أبحرت سفينة الإجهاض في رحلات مستمرة حتى اليوم لتوفير خدمات آمنة من أجل حماية حياة النساء، وزارت دولا كثيرة، بينها إسبانيا وأيرلندا وبولندا والمكسيك، وقامت بإنقاذ حياة الآلاف من السيدات.

وإلى الآن لم تحل "سفينة الإجهاض" على مراسي الدول العربية، بل إن ذكرها غالبا ما يكون مرادفا لـ"الكفر" و"العهر"، وسيكون تشويها لسمعة النساء العربيات إن حلت ببلدانهن، لذلك تم حجب موقعها في العديد من الدول.

وعندما جاءت تلبية لدعوة وجهتها لها الحركة البديلة للحريات الفردية في المغرب المعروفة اختصارا بـ"مالي" عام 2012 لتوفير فرص الإجهاض الآمن لمدة أسبوع على متن قاربها قبالة سواحل المغرب، باستعمال الأدوية ومن دون جراحة، منعتها البحرية المغربية من الدخول إلى الميناء، لأن الإجهاض غير القانوني في المغرب تكون عقوبته السجن.

حدث هذا في الوقت الذي كانت فيه تقديرات الجمعية المغربية لمناهضة الإجهاض السري تتحدث عن 600 إلى 800 حالة إجهاض يوميا.

وقالت غومبرتس إن حوالي 78 امرأة تموت كل سنة في المغرب نتيجة إجراء عمليات إجهاض سرية وغير آمنة، وإن وحدهن "النساء الميسورات" لديهن الفرصة للحصول على إجهاض آمن دون عقوبات.

وتختلف عقوبات الإجهاض من دولة عربية إلى أخرى، وتتراوح بين السجن والغرامة أو كليهما، ففي لبنان تصل العقوبة إلى الحبس 3 سنوات، وفي السعودية يطبق حكم الدية والكفارة على كل من قام بالإجهاض، وطبقا لقانون العقوبات المصري، يعتبر الإجهاض جنحة وقد تتحول إلى جناية عقوبتها الأصلية الحبس لمدة تتراوح من 24 ساعة إلى 3 سنوات.

وتعتبر تونس الاستثناء الوحيد، فهي تبيح الإجهاض الآمن في المستشفيات الحكومية والعيادات الطبية المرخصة، بشرط ألا يزيد عمر الحمل على 3 أشهر، ودون أن تحتاج الأم لإبداء أسباب.

نساء على الشبكة

عندما فرضت الدول العربية محاذير على "سفينة الإجهاض" وفشلت في الوصول إلى كثيرات يحتجن المساعدة، لجأت المنظمة تدريجيا إلى العالم الافتراضي، فتكاتفت منظمات مستقلة وأفراد دون أي ارتباط قانوني تحت مسمّى "نساء على الشبكة (WOW)"، وانضمت إليهم نساء من مختلف بقاع العالم تم إجهاضهن بطرق آمنة، بعضهن تبرعن بصورهن ومشاركة تجاربهن في قسم "أنا قمت بالإجهاض" لكسر "العيب" المحيط بالإجهاض.

وأخريات انضممن إلى باب "احتاج إلى الإجهاض" ليحصلن على المزيد من المعلومات التثقيفية والدعم للوصول إلى الإجهاض الآمن عند الحاجة.

تم التواصل مع المنظمة باسم مستعار، وكان السؤال الرئيسي بعد اختيار اللغة المناسبة للكتابة هو هل لديك حملا غير مرغوب فيه؟ ثم قاموا بتحويل المحادثة الإلكترونية إلى طبيب ملفه الشخصي يشير إلى أنه "متخصص" ومعه رخصة مزاولة المهنة تمكنه من تقديم الإجهاض الدوائي.

بعد الإجابة عن 25 من الأسئلة والمعلومات، أكد الطبيب أنها "سرية للغاية" كاختبار الحمل وكيفية حساب فترته وعن مدى إمكانية توفير أشعة موجات فوق صوتية (غير ضرورية)، وإذا كانت هناك أمراض مزمنة.

ووصف الطبيب نوعين من الأدوية (الميزوبرستول أو الميفيبريستون) وشرح أنه على استعداد لإرسالهما في طرد في حالة عدم العثور عليهما بمكان الإقامة ومن ثم تناولهما في المنزل مع الالتزام بالتعليمات، مشددا على أن الإجهاض الطبي يكون بنسبة نجاح عالية، لكنه من الأفضل عند تناول الأدوية التواجد بالقرب من مستشفى للوصول إلى العناية الطبية الطارئة إذا حدثت مضاعفات أو نزيف.

وطلب الموقع تبرّعا عن طريق بطاقة الائتمان أو تحويلا مصرفيا لضمان أن هذه الخدمة تستمر لمساعدة النساء الأخريات، فالتبرع ليس إجباريا لكنه يفيد أخريات يحتجن للمساعدة.

ووفقا لدراسة حديثة أجرتها جامعة تكساس الأميركية، فإن أكثر من 90 بالمئة من النساء اللاتي يستخدمن حبوب الإجهاض التي تم الحصول عليها على الإنترنت ينهين حملهن بأمان دون تدخل جراحي.

وقالت ريفال، لاجئة سورية متزوجة من عراقي الجنسية لـ"العرب"، إن الحصول على الدواء عن طريق الإنترنت كان أفضل، موضحة أن حياتها انقلبت رأسا على عقب عندما علمت بحملها لأن هذا كان يعني نهاية لحياتها الزوجية حسب اتفاقها مع زوجها، ولأنها خبيرة في مجال التسوق الإلكتروني فقد تواصلت مع المنظمة بعد فشلها في الحصول على الأدوية من الصيدليات المحيطة بها، فقام طبيب بالرد عليها وشرح لها كل ما يتعلق بالحصول على إجهاض آمن.

وأفادت بأن الأمر لم يكلفها شيئا يذكر فقط 150 يورو كتبرع لمساعدة الأخريات غير القادرات على شراء مثل تلك الأدوية، وبعد ثلاثة أيام تلقت اتصالا هاتفيا يتأكد من وجودها بالعنوان المكتوب لديه بالقاهرة، وجاء إليها طرد مغلق بإحكام به الأقراص المنشودة وبالفعل تخلصت من الحمل بهدوء ويسر.

وشرح أحمد حامد، صاحب صيدلية، أن أدوية الإجهاض المكونة من الميزوبرستول أو الميفيبريستون، تباع بأسماء تجارية مختلفة مثل أرترو تيك وميزو ترول وغيرها.

وأوضح حامد لـ"العرب" أنه لم يحدث أن سأله جهاز رقابي في مصر عن صرف حبوب الإجهاض دون تقرير، ولا يعرف ما إذا كانت هناك عواقب قانونية لهذا أم لا، لكنه لا يبيعه ولا يريد أن يطلق على صيدليته "سمعة سيئة".

وأكد أن مضاعفات الإجهاض الدوائي دون متابعة طبيب تكون كارثية كالنزيف الشديد أو حدوث إجهاض جزئي تبقى بعده أجزاء من الجنين في الرحم، وتتعفن مسببة تسمّما، وكلها مضاعفات قد تنتهي بالوفاة.

وأشار إلى أنه قبل ثورة يناير 2011، كانت تلك الأدوية تباع في الصيدليات بشكل طبيعي وبأسعار زهيدة لا تتعدى الدولار، ولاحقا مُنعت أدوية الإجهاض من الصيدليات وتم توجيهها بالكامل إلى المستشفيات.

وهناك صيدليات توفرها بشكل غير رسمي لكن بأسعار تصل إلى 500 دولار للشريط الواحد، أما السوق السوداء فتبيعها بالقرص الواحد، وهناك صفحات على موقع فيسبوك في دول مثل السعودية والإمارات وقطر والكويت وسلطنة عمان والعراق واليمن، متخصصة في تهريبها إلى داخل البلاد وبيعها بمبالغ طائلة.

ويظل الشحن عن طريق العالم الافتراضي أفضل وأرخص وأيضا أسرع من التفاوض والبحث الذي يستغرق وقتا أطول ولا يكون في صالح المرأة الراغبة في الإجهاض.

الحق في الحياة

"هل هذا حقًا جسدي وحدي، ولدي كامل الاستقلالية في اتخاذ القرارات بشأنه وبشأن ما يحمله؟" هكذا تساءلت الممثلة رينيه زيلويغر القائمة بدور بريدجيت في مشهد من فيلم "بريدجيت جونز بيبي"، حين فكرت في الإجهاض بعدما اكتشفت أنها سترزق بطفل في نفس الوقت الذي لم تتيقن فيه بالكامل من والد الطفل الذي تحمله في أحشائها.

تساؤل بريدجيت كان لسان حال كل امرأة عربية أرادت يوما إجهاضا آمنا وإن اختلفت أسبابه سواء كانت جسدية أو مادية أو اجتماعية ونفسية، فهناك من لا ترغب بالمزيد من الأطفال، ومن تريد الإجهاض لحدوث الحمل خارج إطار الزواج، أو لا ترغب في الإنجاب عموما، أو بسبب انفصالها عن شريك الحياة لكنها تبقى بالنهاية أسباب خاصّة بها تماما لا تمنعها من الحق في الحياة.

وتفيد معظم التقارير والعديد من الدراسات في العالم بأن النساء إن رغبن بالإجهاض فسوف يقمن بذلك بالطرق المتاحة والمتوفّرة حولهن، حتى في الدول التي تحظر قوانينها السياسية والاجتماعية ذلك، وبالتالي تختار النساء سبل إجهاض غير آمنة وغير صحيّة.

وتوجد سيدات بمفردهن، متزوجات، عازبات، لاجئات، ناجيات من الاغتصاب، من خلفيات اجتماعية وثقافية مختلفة، يجبن المستشفيات بحثا عن طبيب يوافق على إجراء عملية إجهاض لهن.

"لا أريد أن أكون أمّا للمرة السادسة".. كلمات كانت نطقت بها شيماء فتحي شابة مصرية، عندما علمت بأنها حامل، لم تكن تعلم أن تلك الكلمات ستكون نهاية لحياتها، فقد عانت كثيرا ولم تجد من يسعفها ولم تكن لديها اتصالات بالعالم الافتراضي، فهي امرأة كانت تحت مستوى خط الفقر بالكاد تجيد القراءة والكتابة.

وجرّبت فتحي كل حيل ووصفات جدتها، كمشروب القرفة المركز وماء قشر البصل المغلي، وحملت أشياء ثقيلة، وقفزت من مكان مرتفع دون فائدة، وكانت نهاية مطافها عيادة سرّية لطبيب مجهول بأحد الأحياء الشعبية وسط القاهرة أرشدتها إليه صديقة لها.

ويرفض العديد من الأطباء إجراء عمليات الإجهاض حفاظا على سمعتهم المهنية أو الاجتماعية، بينما يعتقد البعض أن الإجهاض حرام دينيا.

وعندما تدخل مشرط الجراح كان المقابل استئصال الرحم ونزيف شديد أدى إلى إزهاق روح الفتاة العشرينية، ولم يستطع أحد إنقاذها، فالعيادة غير مجهزة ولا يوجد بها بنك دم يعوضها عن الدماء التي نزفتها.

ولم يكن حسني فتحي، زوج الضحية، يعرف أن قرار التخلي عن الطفل سيفقده الزوجة والسند في ذات الوقت، ولم يسمع عن "قارب الإجهاض" ولم يعلم أن هناك ما يسمّى بـ"العالم الافتراضي" أو أدوية آمنة يمكن أن يسعف بها زوجته لكنه تمنى أن يكون ثريا كي تحصل زوجته على رعاية صحية جيدة وألا تتكرر مأساة زوجته مع أخريات.

وتضاف مأساة شيماء إلى القضايا المنظورة أمام محكمة النقض في مصر بخصوص الإجهاض التي رفعتها أسر النساء اللواتي توفين جراء الإجهاض غير الآمن على أيدي أطباء أو على يد (قابلة) تقوم بعملية الإجهاض، باستخدام أدوات غير معقمة تسببت في مضاعفات حادة أدت إلى الوفاة.

ورصدت "العرب" قصصا عديدة لنساء يخترن طرقا للإجهاض تعرّض حياتهن للخطر، كأن يلجأ بعضهن إلى إدخال حقنة في الرحم كي يتسع ويحصل إجهاض وهناك من يستخدمن عيدان نبتة "الملوخية" أو إبر "الكروشيه" حتى ينزفن، ثم بعد ذلك يذهبن إلى مستشفى عام، ويتم التعامل مع الأمر على أساس أنه إجهاض لا إرادي.

وتلك الطرق أسهل على السيدات من الابتزاز المادي والتهديد بفضح أمرهنّ، والتحرش الجنسي، وطلب رشوة جنسية مقابل الإجهاض، فالقائمون على عيادات الإجهاض يفترضون أن أي سيدة تأتي إليهم عاهرة فيعاملونها بسخرية وازدراء.

كسر التابوهات

تعدّ مصر من أكثر الدول تقييدا للإجهاض حتى في حالات الاغتصاب، إذ غردت مجموعة "ثورة البنات" المصرية عبر هاشتاغ "من الجسد وإليه قائلة "الإجهاض الطبي الآمن هو المُجرّم هنا، وفي المقابل يتاح الإجهاض البدائي ما دام يتم في 'غرف مغلقة'، تعرفها الحكومة، لكن لا تمثل خطرا عليها، لأنها تتم في الخفاء ولا تمس صورتها الدينية".

وأكدت نورهان مسلم، عضو بالمجموعة، أن عمليات الإجهاض تُجرى شئنا أم أبينا، قُننت أو جُرّمت بقوانين، هناك أسباب يمكن أن تحول دون الإبقاء على الجنين، كحالات الاغتصاب، زنا المحارم، والمسنات، تشوهات الجنين والحمل خارج إطار الزواج.

وأضافت مسلم لـ"العرب" أن عدد السيدات اللواتي يجرين عمليات إجهاض في الدول المجرّمة له لا يقل عن مثيلاتهن في دول العالم الأخرى التي تشرعه لكن تحت الطاولة، وتساءلت لماذا تجبر الدول العربية المرأة على أن تكون لديها حياة مزدوجة، واحدة عامة تجرّم الإجهاض وأخرى سرية تسمح به، ولماذا تفشل "سفينة الإجهاض" في الوصول إلى كثيرات في حين أن أخريات يتمتعن بخدماتها ويتعافين.

وكانت سفينة الإجهاض والعالم الافتراضي وتوفير سبل أمنة للإجهاض حافزا لمبادرات أخذت على عاتقها كسر التابوهات، وتمكنت بشجاعة وجرأة من الخروج عن المألوف بالدعوة إلى تغيير القوانين، والعمل على تغيير عادات أو تقاليد صارت أضيق من القدرة على احتمالها.

وتم تحديد يوم عالمي للإجهاض الآمن في 28 سبتمبر سنويا، وحمل ذلك اليوم في عام 2016 شعار "الإجهاض ليس جريمة"، وشهدت شوارع المدن الكبرى حول العالم مسيرات نسائية حاشدة في 2017 ناشدت قادة الدول لمناصرة حق المرأة في الإجهاض الآمن.

وفي مصر أطلق مركز البيت العربي للبحوث والدراسات حملة "أوقفوا القهر" للمطالبة بحق النساء في الإجهاض الآمن خلال مارس الماضي.

وسلطت الحملة الضوء على الآثار الناجمة عن الإجهاض السرّي من أجل حث مجلس النواب على الاعتراف بحق النساء في الإجهاض الآمن وتضمينه بقانون المسؤولية الطبية المطروح للنقاش في الدورة البرلمانية الحالية بما يتفق مع المعايير الدولية، خاصة في الحالات التي يعد الحمل فيها تهديدا لحياة المرأة، وحالات تشوهات الأجنة والاغتصاب والحمل السفاح.

وقالت مشيرة السيد، حقوقية وعضو بالحملة لـ"العرب"، إن 30 بالمئة من العنف الأسري ضد المرأة سببه الحمل غير المرغوب فيه، وحرمان النساء من حقوقهن في التعامل مع أجسادهن.

وشددت السيد على أن التجريم التشريعي والقانوني لحق النساء في الإجهاض الآمن ساهم في تعريض حياة المرأة للخطر، وازدهار سوق الإجهاض "غير الشرعي".

ومثلما وقفت سفينة الإجهاض المنقذة في عرض البحر وتعثرت أحيانا في العالم الافتراضي تحت شعارات كثيرة بعيدة عن حق المرأة في الحياة تقف كل مبادرة في المنطقة العربية عند رادع أخلاقي أو ديني أو قانوني.

مع الفارق أن السفينة لم تبرح مكانها في المياه الدولية وتقوم بعملها وبالفعل ساهمت مع العالم الافتراضي في إنقاذ حياة الآلاف من السيدات ولم تيأس إلى الآن من التقدم إلى مراسي الدول العربية.

تجارب الانطلاق واللعب الحر يرفعان ذكاء الأطفال

الحد من اللعب يؤدي إلى ميلاد جيل من البالغين التعساء المضطربين

اللعب في الطفولة نشاط حيوي وضروري للأطفال، حيث يساهم في نمو الذكاء الاجتماعي والعاطفي والإدراكي لديهم، وتجارب الانطلاق والحركة والتغلب على الخمول والكسل لها أهمية كبيرة في حياة الأطفال.

سلمى جمال

❑ الطفل الذي لا يعرف اللعب أو اللهو مع زملاء بيئته أو في المدرسة ينشأ خجولا ومنكسرا ومنطويا على ذاته، ولذلك ينصح أساتذة الطب النفسي بإتاحة الفرص الكافية للأطفال للانطلاق واللعب والتعبير عن أنفسهم وحاجاتهم النفسية والعاطفية.

ويفضل الأطفال بين السابعة والعاشرة من العمر حصص النشاط الحر والرياضة بالمدرسة، رغم أنهم يشاركون في أنشطة منظمة كفرق كرة القدم أو الموسيقى أو التمثيل المسرحي، وفي أغلب الأحيان لا يكون لدى الأطفال وقت للعب بعد المدرسة لأن الواجب المدرسي يشغل كل وقتهم.

يقول أحمد شكري استشاري الطب النفسي في مصر، من المؤكد أن تجارب الانطلاق واللعب الحر لدى الأطفال تساهم في ارتفاع نسبة الذكاء لديهم ولذلك تحرص المدارس المتطورة في رياض الأطفال أن تتركهم يلعبون في حرية ويمارسون أنشطة دون تقييد أو نظام معين أو فرض توجيهات خاصة، كما يجب أن نعطي للطفل الفرص الكافية كي يكون حرا في اللعب.

وتابع قائلا "للأسف الشديد إذا تابعت رحلة أطفالنا اليومية ستجدهم تحت ضغط المدارس والواجبات، بحيث لا تكون لديهم الفرص الكافية للعب، بل إن بعض الأسر ترغم أطفالها على الاشتراك في مسابقات النوادي، وبعد المدرسة أو في أيام العطل والإجازات يصطحب أحد الأبوين الطفل ليمارس رياضة قد يكون لا يحبها، وإنما كل من الأب أو الأم يحلم بأن يصبح ابنهما بطلا وطنيا في السباحة أو كرة القدم أو الجمباز، وقد تجد الطفل يذهب للتدريب وهو غاضب ورافض لتلك الحياة.

> الطفولة التي تشهد حرمانا دائما من اللعب تؤثر في التطور الاجتماعي والعاطفي والإدراكي الطبيعي لدى الأطفال

وأكد المختص النفسي أن "وقت اللعب الحر للأطفال انخفض، فقد أصبح الآباء الذين يشغلون اهتمامهم بأن يؤهلوا أبناءهم للالتحاق بأبرز الكليات، يضحون بأوقات اللعب لصالح الأنشطة المنظمة، وفي وقت مبكر في مرحلة رياض الأطفال، أصبح وقت الأطفال يمتلئ بدروس الموسيقى والرياضة، مما يقلل من الوقت المخصص للأنشطة الإبداعية والممتلئة بالحركة التي تعزز مهارات الإبداع والتعاون. كما ضحّت المدارس أيضا بوقت اللعب الحر، ولذلك أطالب بمنح أطفالنا مساحة من الحرية". وأكد شكري أن الطفولة التي تشهد حرمانا دائما من اللعب تؤثر في التطور الاجتماعي والعاطفي والإدراكي الطبيعي لدى الأطفال لأن الحد من اللعب الحر ربما يؤدي إلى ميلاد جيل من البالغين التعساء المضطربين غير الأسوياء اجتماعيا، فإن يحيا المرء حياة فيها حرمان من اللعب لها عواقب وخيمة.

لعب الأطفال الحر يعزز مهارات الإبداع

وأضاف "غير أن الوقت لم يفت على علاج هذه المشكلة؛ فاللعب أيضا يعزز الصحة والسعادة الذهنية والجسدية لدى الكبار، لكن الأولاد يلعبون ويمارسون أنشطة مرغمين عليها دون هواية أو رغبة في التدرب عليها، وذلك تنفيذا لتعليمات المدرسة أو رغبة الأسرة، حتى هذه الأنشطة تستهلك وقت الأطفال اليومي كاملا، ولذلك أشعر بالقلق من أن هذه الأنشطة تستهلك جزءا كبيرا من وقت اللعب الحر".

إن الألعاب التي لها قواعد لا شك أنها ممتعة وتُعَدُّ مصدرا لتجارب التعلم، وربما تعزز -على سبيل المثال- المهارات الاجتماعية على نحو أفضل، وتساعد على تماسُك المجموعات وتوطيد العلاقات بينها، ولكن "هذه الألعاب لها قواعد محددة مسبقا يجب على مَن يمارسها اتباعها، أما اللعب الحر، من ناحية أخرى، فليس له قواعد مسبقة، ومن ثم فإنه يتيح ردود أفعال أكثر إبداعا".

ومن جانبها نصحت وفاء مصطفى استشارية علم نفس الطفل قائلة "امنحوا الأطفال فرصا للعب وفرصا حرية النشاط والتعبير عن أنفسهم لأنهم في اللعب الحر، يبتكر الأطفال أنشطة وأدوارا جديدة، ربما تتضمن بعض الألعاب الخيالية -مثل تمثيل الولد دور طبيب أو الفتاة دور أميرة- أو ربما تتضمن تقليدا للمعارك والحروب، كأن يلعب الأطفال (الأولاد تحديدا) المصارعة على سبيل المرح، ويتبادلون الأدوار بصورة دورية بحيث لا يكون أحدهم هو الفائز باستمرار".

وأوضحت مصطفى قائلة "لا يكتسب المرء المهارات الاجتماعية من خلال نصائح المدرسين حول السلوكيات، وإنما يتعلم تلك المهارات من خلال التعامل مع أقرانه، ومعرفة الأمور المقبولة وغير المقبولة.. كما يتعلم الأطفال العدل وأن يحظى كل منهم بدوره، وإلا فسريعا ما يصبح فاقدا لرفاق يلعب معهم".

وتتابع موضحة "ونظرا لأن الأطفال يستمتعون بالنشاط، فإنهم لا يستسلمون سريعا عند مواجهة الإحباط مثلما قد يفعلون -على سبيل المثال- عند حل إحدى مسائل الرياضيات، وهذا ما يساعدهم على تطوير مهارات الإصرار والمثابرة، ويتطلب الحفاظ على العلاقات الودية بعض مهارات التواصل، التي تعتبر أثمن المهارات الاجتماعية على الإطلاق. واللعب مع الرفاق من الفئة العمرية نفسها هو الأهم في هذا السياق، حيث أوضحت الدراسات أن الأطفال يستخدمون لغة أكثر تعقيدا عندما يلعبون مع الأطفال الآخرين أكثر مما يفعلون في أثناء اللعب مع الكبار.

كما أشارت مصطفى إلى أنه إذا كان اللعب يساعد الأطفال على أن يصبحوا اجتماعيين، فلا بد أن الحرمان من اللعب يعوق التطور الإجتماعي، وتشير الدراسات إلى أنه يفعل ذلك حقا، فإن الأطفال الذين التحقوا برياض أطفال تركز على اللعب يكونون في وقت لاحق في حياتهم أسوياء اجتماعيا أكثر من أولئك الذين التحقوا برياض أطفال تخلو من اللعب وكانوا يخضعون فيها دائما لتوجيهات المدرسين.

وتختلف نسب ذكاء الأطفال وفقا لنشاطهم الحركي والعقلي ومشاركتهم في العديد من التجارب الذهنية والترفيهية التي يقومون بمزاولتها كنشاط الاستذكار أو ممارسة الرياضة، حيث يمنحهم الانطلاق والتميز في إحدي هذه الأنشطة نسبة ذكاء تكون أعلى من غيرهم في نفس مراحلهم العمرية، ممن لا يمارسون أي أنشطة.

ويعدّ الطفل الذي يلجأ إلى المغامرة في ألعابه وممارساته الرياضية أكثر قدرة على التذكر السريع والإدراك اللحظي والذي يؤثر بدوره في شخصيته حين يكون على مشارف سن المراهقة والبلوغ.

طبق اليوم

الأرز مع الدجاج والمكسرات

* المكونات
- دجاجة
- 100 مليلتر من زيت الذرة
- ملعقة صغيرة من جوزة الطيب وربع ملعقة صغيرة قرفة ونصف ملعقة صغيرة بهار حلو
- ملعقة كبيرة بقدونس مفروم ونصف ملعقة صغيرة بابريكا
- نصف ملعقة صغيرة ملح وملعقة صغيرة بهار أبيض وبشر حبة ليمون
- الأرز: 70 مليلتر من زيت الذرة
- 150 غراما من اللحم المفروم و35 غراما من الزبيب و500 غرام أرز طويل
- 1 غرام قرفة و3 غرامات من جوزة الطيب و2 غرام كمون ونصف مغلف مستكة و5 غرامات بهار حلو و2 غرام هال ناعم وربع ملعقة صغيرة كركم و100 مليلتر صلصة صويا
- لتر مرق الدجاج

* طريقة الإعداد:
- يوضع الزيت في وعاء ثم تضاف جوزة الطيب والقرفة والبهار الحلو والبقدونس المفروم والبابريكا والملح والبهار الأبيض وبشر قشر الليمون وتوضع الدجاجة على طبق وتدهن بالخليط على جميع جوانبها، وتدهن بالخليط ورقة خاصة بالفرن على جانب واحد وتوضع على الدجاجة مع الأقفال المحكم.
- يوضع الطبق في الفرن لتطهى الدجاجة لمدة تسعين دقيقة على درجة حرارة 150 مئوية.
- لتحضير الأرز يوضع قدر على النار ويسكب فيه زيت الذرة وتقلى اللحمة المفرومة في الزيت الساخن، ويضاف الزبيب والقرفة وجوزة الطيب والكمون والمستكة والبهار الحلو والهال والكركم وصلصة الصويا ومرق الدجاج، ويترك الأرز على النار حتى يغلي ثم يطهى لمدة 30 دقيقة على نار هادئة.

لتحضير الصلصة: يوضع مرق الدجاج في قدر ويضاف الكمون وجوزة الطيب والبهار الحلو ونشاء الذرة وتخلط جميع المكونات.
- يطهى المزيج على النار حتى يصبح سميكا، ويوضع الأرز في طبق التقديم وفوقه الدجاجة ويزين بالمكسرات. وتقدم الصلصة على حدة.

موضة

عروض أزياء متميزة في بالسعودية

❑ شهد أسبوع الموضة العربي الذي أقيم مؤخرا في العاصمة السعودية الرياض، مجموعة متميزة ومتنوعة من التصاميم لمصممين عرب وعالميين ومصممات سعوديات.

وقدمت المصممة اللبنانية عائشة رمضان أحدث مجموعاتها في العرض الأول لأسبوع الموضة العربي، وتميز العرض بفساتين أنثوية ناعمة متنوعة، واختتمت عرضها بفساتين السهرة التي كان معظمها طويلا، وكان اللون الأسود هو الغالب عليها، وكذلك اللون الذهبي.

وفي العرض الثاني قدمت المصممة السعودية علياء الصواف تصاميم تميزت بالنعومة، وقالت "لطالما تمنيت هذا اليوم، وأن تكون بداية انطلاقي لعالم الموضة من بلدي وليس من مكان آخر، لأن إحساس ومشاركة أهل بلدي لفرحتي لها طعم آخر وإحساس مختلف".

وأضافت أنها قامت بتجهيز هذا التصميم خصيصا لأسبوع الموضة الأول في الرياض، وأنه استغرق منها شهرا ونصفا من العمل والجهد المتواصل لإنتاجه، وأطلقت عليه اسم "ذا رويال كوليكشين" لأنه أول عرض في الرياض، ورغبت في أن يليق بها.

كما صرحت أن "الألوان غلب عليها اللون الأسود واللون الذهبي واللون الأبيض، وهي في نظري ألوان ملكية".

التسوّل ظاهرة معقّدة تستعصي عن الحلّ

عبدالستار الخديمي
كاتب من تونس

❑ المتجوّل في شوارع المدن الكبيرة والعواصم العربية ومن بينها تونس، يلحظ دون عناء كبير ظاهرة ما انفكت تتصاعد وتيرة انتشارها، وهي ظاهرة التسوّل، التي تثير جدلا مجتمعيا عند تناولها بالدرس والتحليل نظرا لأبعادها العائلية والاجتماعية والتي تتعلّق بمجالي التنشئة والتربية الأسرية والمستويات المادية للأفراد والعائلات معا.

من هذا المنطلق وعند تنقلي في شوارع وأزقة وساحات ومؤسسات العاصمة التونسية، ترسّخت لدي فكرة أن التسوّل لم يعد استثناء لضيق ذات اليد والحاجة فقط، بل أضحى ظاهرة مجتمعيّة اكتسبت قواعدها من خلال طبيعة ممارسيها ورؤية المجتمع لها، وغياب التدخل القانوني والمنظومة التشريعية لمعالجتها، فشأنها يشبه كثيرا بقية الظواهر التي لا يمكن القضاء عليها نهائيا لشدّة انتشارها ولصعوبة التصدّي لها نظرا للتعقيدات المجتمعية الحافّة، ومن هذه الظواهر على سبيل الذكر لا الحصر الشعوذة والإدمان والجريمة.

الاعتقاد السائد بأن ظاهرة انتشار المتسوّلين في شوارع وفضاءات المدن الكبيرة يشي بوجود شريحة اجتماعية هشّة ومنبوذة تعيش على هامش البناء المجتمعي، بل يذهب الاعتقاد إلى أنها على هامش كل المعايير والمقاييس التي تؤسس للإنسانية في معناها الشامل. لهذا الرأي ما يبرّره على أساس أن ما يظهر -على الأقل للعين المجرّدة- أن المتسوّلين رسّخوا في أذهان الآخرين كل مظاهر الاستعطاف وجلب الاهتمام، من قبيل إهمال المظهر الخارجي إلى درجة قد تبعث على الاشمئزاز؛ ثياب رثة وممزقة، شعر أشعث، أوساخ متراكمة على صفحات الوجوه، نبرات صوت متقطعة، إبراز مبالغ فيه للإحساس بالألم. السؤال إذن: هل هذه الفئة تتحمّل فعلا كل هذه المعاناة، أم هناك مآرب أخرى؟

تقريبا أتّخذ نفس المسار يوميا في شوارع العاصمة التونسية التي أجوبها بسيارتي ولاحظت أن تواجد مجموعة من المتسوّلين يتقاسمون التقاطعات على الطرقات، ولست أدري هل هو توافق في ما بينهم أم أن الصدفة لعبت دورها أم هو تقاسم لـ"مواطن ومصادر الرزق". فأين نصنّف من يتسوّلون يوميا في نفس المكان ونفس التوقيت، حتى أن المارّين ألفوا وجوههم كما ألفوا أسلوبهم في الاستعطاف.

إذن هناك من المتسوّلين من تدفعهم الحاجة ونخص بالذكر منهم من كانوا يعانون إعاقات ذهنية أو جسدية تجعلهم غير قادرين على الانخراط في الدورة الإنتاجية للمجتمع ولم يجدوا رعاية خاصة سواء من أسرهم أو من منظمات المجتمع الحكومية أو المدنية، يعني من فقدوا سندا عائليا أو اجتماعيا، هؤلاء يمكن أن نجد تبريرا لتسوّلهم.

أما الفئة الثانية فهي التي تسعى بأيسر السبل لتأمين مورد للرزق، تحرص على أن يكون قارّا، ولذلك تتخيّر التقاطعات "المربحة" على الطرقات التي تتواجد في المناطق "الراقية" وتمرّ منها السيارات الفخمة التي لا يبخل أصحابها على المتسوّلين.

بعضهم يتمتع بصحة جيدة وقدرة على العمل ولكنه قد يخترع إعاقة ويدرّب نفسه مرارا وتكرارا على أدائها بنفس تمثيلي مسرحي شديد الخصوصية، يوفّر طاقته ليس في البحث عن عمل بل في الظهور بمظهر صاحب احتياجات خصوصية.

كما يبدو أن بعضهم تجاوز مرحلة الحاجة الملحّة إلى التوفير، ومن القصص التي يتداولها بعض ناشطي وسائط التواصل الاجتماعي أن بعض المتسوّلين يتركون بعد وفاتهم مبالغ مالية هامة جدا يعجز الناس العاديون على توفيرها. بهذا التصنيف يمكن اعتبار التسوّل ظاهرة اجتماعية مرضية تشوّه المظهر العام للمدينة وتعطي انطباعا سيّئا عن طبيعة السلطة والمجتمع اللذين لا يهتمان بالمواطنين واحتياجاتهم النفسية والمادية، وهو رأي مغلوط إذا ما كانت هذه الفئة تصرّ على ممارسة التسوّل.

الملفت للانتباه فعلا ويدفع إلى الحيرة والاستغراب وجود أطفال في عمر الزهور يتسوّلون بمعية ذويهم أو بمفردهم، وفي كلا الحالتين فإن طفولتهم تهتك أستارها وتستباح، لأن زمن دراستهم وتعلّمهم ولهوهم ولعبهم يُستهلك في التسوّل بما يحكم على حياتهم المستقبلية بالعدمية. فبأي الوسائل سيكونون مواطنين مساهمين إيجابيا في مسيرة مجتمعاتهم؟ ما ذنب الطفولة إذا وقع إهمالها من طرف المعنيين داخل الأسرة الصغيرة أو الموسعة أو داخل المجتمع؟

في بعض البلدان العربية تنتشر ظاهرة أطفال الشوارع الذين يقع استغلالهم استغلالا فاحشا في التسول مقابل الإيواء، حتى أن الجشع أعمى قلوب البعض عن حماية الطفولة بشكل إنساني وخاصة فاقدي السند.

كما انتشرت ظاهرة أخرى رافقت التسوّل وهي إحراج المارّة بطرق أقل ما يقال عنها إنها سيئة، منها مثلا تقبيل المارّ من يده أو كتفه دون رغبة منه، أو اعتماد الإلحاح المشمئز الذي يحاصر به المتسوّل "زبونه" المنتظر.

السؤال الأخير: هل هناك حلول عملية وجذرية للتصدي لهذه الظاهرة؟ أعتقد أن الإجابة يجب أن تكون جماعية وتحمّل المسؤولية لكل الشرائح الاجتماعية والأسرية ولكل جهات اتخاذ القرار التشريعي والمالي والإداري، للإحاطة بهؤلاء وتوعيتهم وتصنيفهم بحسب حاجاتهم، والاعتناء الأكيد خاصة بالأطفال المتسوّلين ومحاولة حماية طفولتهم.

تطلع الفرعون المصري للكرة الذهبية يعد حلما مشروعا

ليفربول يرفع الصورة العالمية للنجم العربي محمد صلاح

بات المصري الدولي محمد صلاح يطرق أبواب جائزة أفضل لاعب في العالم. إثر تدوين اسمه على لائحة أبرز نجوم العالم في الوقت الراهن وعلى رأسهم الأرجنتيني ليونيل ميسي والبرتغالي كريستيانو رونالدو. إنه الأفضل، حيث أصبح نجم النجوم، ويبدو أن ما حققه أمر سهل لكنه في غاية الصعوبة. وإذا استمر صلاح على هذا المنوال فمن المتوقع أنه سيصنف كواحد من بين أفضل ثلاثة لاعبين في الكرة الأرضية.

❑ **لندن** – أثار التألق الملفت للاعب المصري محمد صلاح، نجم ليفربول الإنكليزي، أمام روما الإيطالي الثلاثاء الماضي في دوري أبطال أوروبا، جدلا كبيرا في أوساط الكرة العالمية.

وطرح المستوى الفني الكبير لهذا اللاعب تساؤلات حول حظوظه في الفوز بالكرة الذهبية، وعن مدى مشروعية تطلع المهاجم المصري للفوز بهذه الجائزة، وعمّا إذا كانت إمكانية تحقق ذلك هو نوع من أنواع المبالغة في تقدير الأمور.

إن الكرة الذهبية هي الجائزة الفردية الأرفع شأنا في الكرة العالمية إلى جانب جائزة الاتحاد الدولي لكرة القدم (فيفا)، التي تمنح للاعب الأفضل في العالم والمسماة بـ"ذا بيست". وخضعت جائزة الكرة الذهبية خلال السنوات العشر الأخيرة لسيطرة اللاعبين؛ الأرجنتيني ليونيل ميسي والبرتغالي كريستيانو رونالدو، حيث فاز بها كل منهما خمس مرات.

وحتى الآن لم يبرز أحد ليتمكن من افتكاك هذه الجائزة من النجمين الكبيرين، وذلك بعيدا عن طموحات اللاعب البرازيلي نيمار دا سيلفا والاعتذار الذي قدمته مجلة "فرانس فوتبول" الفرنسية للإسباني أندريس إنييستا لأنها لم تمنحه الجائزة في العام 2010.

ورغم ذلك، أثارت الأرقام الرائعة والمميزة التي حققها المهاجم المصري هذا الموسم جدلا ونقاشا حول أحقيته بنيل الجائزة، وهو ما لم يحدث مع أي لاعب آخر منذ فترة طويلة. وقالت صحيفة "الموندو" الإسبانية "ما بدأ في صورة همهمات غير مسموعة في منتصف الموسم يمكن أن ينتهي إلى تأكيدات ليست بعيدة المنال".

وبعد أن رحل عن روما، الفريق الذي تألق أمامه الثلاثاء الماضي، وسجل هدفين في شباكه وصنع هدفين آخرين، وقاد ليفربول إلى الفوز بنتيجة (5-2)، حقق صلاح قفزة هائلة في مسيرته. ولم يكتف صلاح بتسجيل عدد كبير من الأهداف هذا الموسم في الدوري الإنكليزي، بل تألق أيضا بشكل كبير في دوري أبطال أوروبا، التي تمثل واجهة العرض الأساسية المؤهلة للفوز بالجوائز الفردية إلى جانب المونديال.

وأحرز صلاح هذا الموسم 43 هدفا مع ليفربول، بقيادة المدير الفني الألماني يورغن كلوب، منها 11 في دوري أبطال أوروبا، وذلك بعد احتساب الهدف الذي سجله في الدور التمهيدي، كما نفذ 15 تمريرة حاسمة، الأمر الذي يدل على أنه لاعب هجومي من طراز رفيع.

وحقق نجم المنتخب المصري العديد من الأرقام المهمة هذا الموسم، فقد سجل 31 هدفا في الدوري الإنكليزي ليعادل الرقم القياسي لكل من آلان شيرر في موسم (1995–1996) وكريستيانو رونالدو (2007–2008) ولويس سواريز (2013–2014).

ويحتاج صلاح إلى تسجيل أربعة أهداف لمعادلة الرقم القياسي الذي يملكه اللاعب إيان راش، الهداف التاريخي لليفربول وأكثر من سجل في موسم واحد لصالح الفريق؛ 47 هدفا في موسم (1983–1984). ورغم ذلك، ففي بعض الأحيان لا تمكن مزاحمة كل من رونالدو وميسي على مكانتهما في الكرة العالمية مع تحقيق أرقام مذهلة في أحد المواسم.

ويتفوق اللاعب البرتغالي على محمد صلاح في عدد الأهداف المسجلة في دوري أبطال أوروبا هذا الموسم، وإذا فاز ريال مدريد بلقب البطولة فإن الترشيحات كلها ستصب في صالح اللاعب البرتغالي للفوز بالجائزة، رغم أن مونديال روسيا الذي قارب على الانطلاق سيشكل المرحلة الفاصلة في هذا الأمر. ويحتاج صلاح، بالإضافة إلى أرقامه الكبيرة، إلى الفوز بأحد الألقاب للفوز بالجائزة، فلا أحد يتوقع أن تفوز مصر بالمونديال وليفربول لم تعد لديه فرصة للفوز بالدوري الإنكليزي أو في كأس إنكلترا، ولذلك فإن دوري الأبطال هو الفرصة الوحيدة أمام اللاعب المصري.

ولكن البعض يرى أن صلاح ليس عليه أن يظهر شيئا آخر، فقد أثنى عليه القائد السابق لليفربول، ستيفن جيرارد في تصريحات صحافية حيث قال "لا يوجد مكان للشكوك، إنه اللاعب الأفضل على الكوكب في هذه اللحظة".

وأشاد كلوب أيضا بالمستوى الفني لصلاح، ولكنه طالب في الوقت نفسه بعدم التعجل في عقد المقارنات، وقال المدرب الألماني "إنه بحالة فنية استثنائية، إنه يتمتع بمستوى عالمي، ولكن لكي تكون الأفضل في العالم فيجب عليك أن تثبت ذلك طوال فترة ممتدة".

وفي إسبانيا، أطلقت البعض من وسائل الإعلام مثل صحيفة سبورت لقب "صلاح ميسي" على اللاعب المصري، فيما قالت صحيفة ماركا "لقد ولد نجم جديد، كلوب أخرج الصورة الأفضل للاعب المصري". وترى صحيفة لا ريبوبليكا الإيطالية أن اللاعب الأعسر، البالغ من العمر 25 عاما والمولود بمدينة بسيون بمحافظة الغربية بمصر، هو خليط من نجوم الكرة العالمية في الوقت الحالي، حيث قالت "إنه لاعب رائع ينطلق بالكرة أفضل من ميسي ويعدو كالريح مثل كريستيانو رونالدو".

المصري محمد صلاح خير سفير للعرب في ملاعب إنكلترا

أصداء رائعة

لا تزال أصداء فوز محمد صلاح، المحترف في صفوف ليفربول، بجائزة أفضل لاعب في إنكلترا، تلقي بظلالها على نجوم المنتخب المصري. ونال صلاح، الجائزة، متفوقا على كيفن دي بروين وديفيد سيلفا وليروي ساني، ثلاثي مانشستر سيتي، وهاري كين، مهاجم توتنهام، وديفيد دي خيا، حارس مرمى مانشستر يونايتد.

وفي هذا السياق كتب محمود تريزيغيه، المحترف في صفوف قاسم باشا التركي، رسالة قائلا "ألف مبروك يا فخر العرب". وحرص عبدالله السعيد، المحترف في الدوري الفنلندي، على نشر صورة لصلاح، أثناء تتويجه بالجائزة وعلق عليها "مبروك على اختيارك أحسن لاعب في إنكلترا". بينما وجه محمود فايز، محلل أداء المنتخب، رسالة إلى صلاح قائلا "صلاح بطل البريميرليغ، سبب الفرحة لنا دائما".

ولم يختلف رأي حازم إمام، عضو مجلس إدارة اتحاد كرة القدم المصري عن سابقه، حيث قال "بسم الله ما شاء الله، ألف مبروك، ويا رب دائما تشرفنا". وعلق محمود كهربا، المحترف في صفوف اتحاد جدة "أحسن لاعب في إنكلترا لعام 2018 مصري الجنسية، فخر العرب".

كما حرص أحمد الشناوي، حارس الزمالك والمنتخب، على تقديم التهنئة لصلاح قائلا عبر حسابه على تويتر "ألف مبروك يا صلاح". وكتب محمد النني، لاعب وسط أرسنال الإنكليزي "ألف مبروك يا صلاح تستحقها"، كما قال أحمد حجازي، مدافع وست بروميتش "فخور بك، أنت تستحقها بكل تأكيد".

لمحة شخصية

حقق النجم الدولي المصري محمد صلاح لاعب فريق ليفربول الإنكليزي لكرة القدم إنجازا تاريخيا، يضاف إلى سلسلة إنجازاته في مسيرته الاحترافية، وذلك عقب تتويجه بجائزة أفضل لاعب في إنكلترا هذا الموسم.

وبات صلاح ثاني لاعب عربي وأفريقي يتوّج بالجائزة المرموقة بعد الجزائري رياض محرز لاعب ليستر سيتي، الذي نالها في موسم (2015–2016)، عندما قاد فريقه إلى التتويج بلقب الدوري الإنكليزي آنذاك.

انضم صلاح إلى قائمة أساطير ليفربول الذين سبق لهم التتويج بالجائزة التي تضم كلًا من كيني دالجليش وأيان راش وستيفن جيرارد وتيري مكديرموت وجون بارنس ولويس سواريز، ليصبح سابع لاعبي الفريق الأحمر تحقيقا لهذا الإنجاز.

جاء تتويج صلاح بالجائزة بعد المستوى المبهر الذي قدمه مع ليفربول، الذي انضم إلى صفوفه خلال فترة الانتقالات الصيفية الماضية مقابل 42 مليون يورو قادما من روما الإيطالي، ليمحو صورته الباهتة التي بدا عليها في تجربته الأولى بالملاعب الإنكليزية عندما لعب في صفوف تشيلسي موسمي (2013–2014)، و(2014–2015)، حيث كان حبيسا خلالهما لمقاعد البدلاء.

ساهم الأداء اللافت الذي قدمه صلاح مع ليفربول في أن يصبح أول لاعب في تاريخ الدوري الإنكليزي يتوج ثلاث مرات بجائزة لاعب الشهر في المسابقة المقدمة من الشركة الراعية، عقب فوزه بها في أشهر نوفمبر وفبراير ومارس الماضية، كما توج أيضا بجائزة لاعب الشهر المقدمة من رابطة اللاعبين المحترفين ثلاث مرات.

وأصبح صلاح اللاعب الأفريقي الأكثر تسجيلا للأهداف خلال موسم واحد بالدوري الإنكليزي، محطما الرقم القياسي السابق الذي كان يحمله الإيفواري ديدييه دروغبا أسطورة فريق تشيلسي، الذي أحرز 29 هدفا للفريق اللندني في موسم (2009–2010).

واستطاع صلاح أن يعادل الرقم الذي حققه روجر هانت لاعب ليفربول السابق في موسم (1961–1962)، ليصبح ثاني لاعب في تاريخ الفريق يسجل في 23 مباراة مختلفة خلال موسم واحد بالمسابقة.

ويتصدر صلاح حاليا هدافي جائزة الحذاء الذهبي، التي يتم منحها لأفضل هداف في الدوريات الأوروبية المختلفة، متفوقا بفارق هدفين أمام ليونيل ميسي نجم برشلونة.

محمد صلاح من نجم كرة قدم إلى ظاهرة اجتماعية

محمود القصاص
كاتب من مصر

❑ اهتزت أركان المقهى الشعبي القريب من وسط القاهرة بصيحات رواده وهم يتابعون بحماس منقطع النظير لمسات نجمهم المحبوب، محمد صلاح، في إحدى مباريات فريق ليفربول في الدوري الممتاز لكرة القدم في إنكلترا.

سرعان ما تحوّلت الصيحات إلى موجة عارمة من الفرح والانفعال، بعد أن تمكن صلاح من إحراز هدف آخر لفريقه، بشكل يصعب معه تصديق أن هذه الجماهير تتابع فريقا في بلد آخر، ولا تتابع مباراة للفرق المصرية الكبيرة أو للمنتخب الوطني المصري. وبدا المشهد وكأن نادي ليفربول الإنكليزي يلعب باسم الجماهير المصرية في دوري إنكلترا!

ربما يتشابه المشهد الذي رأيته في هذا المقهى الشعبي مع مشاهد حماس الجماهير الإنكليزية في مقاهي وحانات لندن، وهي تتابع نجومها وهم يتألقون ويهزون شباك الخصم.

لكن الفارق الكبير هو أن جماهير الكرة الإنكليزية تتابع بشغف بطولات كرة القدم في بلدها، والبطولات الأوروبية التي تشارك فيها الأندية الإنكليزية، وتنقسم هذه الجماهير في تشجيع مجموعة من الأندية، وفي المقارنة بين أداء كل منها، وفي تقييم مجموعة من نجوم اللعبة الذين يصولون ويجولون في ملاعب إنكلترا.

أما جماهير كرة القدم المصرية فهي تتابع ناديا واحدا وهو نادي ليفربول، وتترقب نجما واحدا وهو محمد صلاح، ولا يعنيها كثيرا ما تقوم به بقية الأندية واللاعبين في الدوري الإنكليزي إلا عند مقارنتها مع أداء ليفربول وأهداف صلاح.

يرى ستيفن جيرارد، نجم نادي ليفربول السابق، أن صلاح هو أفضل لاعب في العالم حاليا. وبالإضافة إلى جيرارد، حظي محمد صلاح بتقدير وإعجاب مجموعة كبيرة من محللي كرة القدم في إنكلترا، علاوة على الشعبية الجارفة التي يتمتع بها بين جماهير ليفربول، والتقدير والاحترام من قبل مدرب الفريق الألماني يورغن كلوب.

وتمكن صلاح من الفوز بلقب أفضل لاعب في الدوري الممتاز لكرة القدم في إنكلترا هذا الموسم. وهو أول لاعب مصري يفوز بهذه الجائزة، وثاني لاعب عربي يفوز بها بعد الجزائري رياض محرز نجم نادي ليستر.

وكل هذا يستحقه صلاح بلا شك بعد أن أثبت قدراته العالية في مباريات صعبة ورفيعة المستوى، مثل مباراة فريقه مع نادي روما في الدور قبل النهائي لدوري أبطال أوروبا التي صال فيها وجال، وأحرز هدفين، وصنع هدفين آخرين.

لكن الأمر في عدة مجتمعات عربية، تجاوز الإعجاب بصلاح لأنه لاعب كرة قدم موهوب. تحول صلاح إلى ظاهرة اجتماعية تخبرنا الكثير عن واقع المجتمعات العربية في الوقت الحالي.

اللافت للنظر في تجربة صلاح أنه حقق قفزة هائلة من نادي متوسط في مصر، هو نادي المقاولون العرب، إلى أندية كبيرة في أوروبا، وهو في هذا يختلف عن اللاعبين العرب الذين يحملون جنسيات أوروبية، واستفادوا من التدريب منذ الصغر مع أندية أوروبية للانطلاق في عالم الاحتراف.

وبالطبع لا يقلل هذا من موهبتهم وإنجازاتهم، ولكن يعني ببساطة أن طريق صلاح كان أشد قسوة وأكثر صعوبة. لكنه بإصراره وصبره وتفانيه في التدريب وموهبته الواضحة استطاع أن يحفر لنفسه مكانا بين كبار نجوم كرة القدم في أوروبا. ولعل هذا ما يفسر هذا الإعجاب الجارف والحماس الهائل لصلاح بين الشباب العربي. صلاح بعث الأمل في قلوب الكثير من الشباب العربي بإمكانية النجاح والتميز في أوروبا، والوصول إلى أرفع المستويات، على الرغم من كل المعوقات.

توحد الكثير من الشباب العربي مع تجربة صلاح، ورأوا أنها مخرجا من مشاعر القهر والإحباط التي يعيش تحت وطأتها الكثير منهم. نجح صلاح في اختراق الأوضاع الصعبة التي كانت تواجهه كما تواجه الكثير من الشباب العربي، ونجح أيضا في التغلب على مشاعر اليأس التي كانت تلاحقه، كما تلاحق الملايين من الشباب العربي، وحقق نقلة هائلة في عالم كرة القدم.

وهذا هو الحلم الذي يداعب كل هؤلاء الشباب بأن يحققوا اختراقا مثل الذي حققه صلاح، وأن يقفزوا قفزة هائلة مثل التي قفزها في مجالات مختلفة.

بالإضافة إلى كل هذا يبدو صلاح، اللاعب العربي المسلم الذي يتعامل مع الآخرين بتواضع واحترام، نموذجا محببا للملايين من المسلمين في أوروبا، إذ يقدم صورة تختلف تماما عن الصورة النمطية للعربي المسلم الذي يعيش في أزمة مع المجتمع الأوروبي الذي هاجر إليه.

نجح صلاح في التوافق مع جماهير ليفربول، وأصبح نجمها المحبوب، كما نجح من قبل في اكتساب احترام جماهير نادي روما.

ولعل موقفه الأخير في المباراة التي جرت في الدور قبل النهائي من دوري أبطال أوروبا بين ناديه الحالي ليفربول وناديه السابق روما، كان محل احترام الكثيرين.

إذ رفض صلاح الاحتفال بعد إحراز هدفين في مرمى روما، واكتفى برفع يديه احتراما لمشاعر جماهير روما التي تعاملت معه بحب وتقدير. وفوق كل هذا لم ينس صلاح قريته نجريج التي نشأ وتعلم فيها، ويتبرّع بانتظام لمشروعات خيرية في قريته، ودفع تكاليف إنشاء مجمع رياضي وملعب حديث حتى تتاح الفرصة لأبناء قريته الذين يمارسون كرة القدم في إظهار مهاراتهم. كما تبرع بنحو 30 ألف يورو لجمعية قدامى اللاعبين في مصر.

تجربة محمد صلاح توضح لنا حجم معاناة الشباب في المجتمعات العربية، ومشاعر اليأس والإحباط التي تطارد الكثيرين منهم، وصعوبة حصول الموهوبين على فرصة لإثبات قدراتهم ومواهبهم، وسوء الإدارة والفساد في الكثير من المؤسسات بشكل يحرم ملايين الشباب من فرص عادلة. وظاهرة الإعجاب الجارف بين الشباب العربي بصلاح، والتوحد مع ما يحققه من إنجازات توضح شوق هؤلاء الشباب للنجاح والتميز، ورفضهم للصورة النمطية التي كثيرا ما تسوق عن المهاجرين المسلمين.

قدّم صلاح صورة رائعة للمهاجر العربي المسلم، والمهم أن تتكرر هذه الصورة، ونرى الكثير من أمثال صلاح في كل المجالات، ولا يبقى صلاح وحده يحمل على كتفيه أحلام وتطلعات الملايين من الشباب العربي.

> محمد صلاح يقدم صورة تختلف تماما عن الصورة النمطية للعربي المسلم الذي يعيش في أزمة مع المجتمع الأوروبي الذي هاجر إليه

كولون يغادر البوندسليغا وبايرن يواصل انتصاراته

فورتونا دوسلدورف يصعد إلى دوري الأضواء بعد غياب أربع سنوات

أسفرت مباريات الجولة الثانية والثلاثين من الدوري الألماني لكرة القدم عن نزول فريق كولون بصفة رسمية إلى دوري الدرجة الثانية الألماني لكرة القدم، في حين ضمن فريق فورتونا دوسلدورف عودته مجددا إلى دوري الأضواء بعد غياب أربع سنوات.

انتصار العادة لبايرن

❑ **برلين** – هبط فريق كولون إلى دوري الدرجة الثانية الألماني لكرة القدم بعد خسارته أمام مضيفه فرايبورغ 2 – 3 خلال المباراة التي جمعتهما السبت في المرحلة الثانية والثلاثين من الدوري الألماني لكرة القدم (البوندسليغا).

وشهدت أيضا الجولة نفسها فوز بايرن ميونخ على آينتراخت فرانكفورت 4–1، وهامبورغ على فولفسبورغ 3–1، وتعادل شالكه مع بوروسيا مونشنغلادباخ 1–1 وأوغسبورغ مع هيرتا برلين 2–2.

وعلى ملعب بادينوفا ستاديون، تلقى فريق كولون هزيمته الـ20 في الدوري هذا الموسم وهبط لدوري الدرجة الثانية، بعد سقوطه أمام مضيفه فرايبورغ 2–3.

وسجل أهداف فرايبورغ نيلز بيترسن (هدفين) في الدقيقتين 14 و52 ولوكاس هولير في الدقيقة الثانية من الوقت بدل الضائع، فيما سجل هدفي كولون بيتينكورت ليوناردو في الدقيقتين 82 و87، وأهدر كريستيان غونتر لاعب فرايبورغ ركلة جزاء في الدقيقة 23.

> بصعود فورتونا دوسلدورف عزز فريدهيلم فونكل مدرب الفريق رقمه القياسي في عدد مرات الصعود إلى دوري الأضواء الألماني إلى ست مرات

ورفع فرايبورغ رصيده إلى 33 نقطة في المركز الرابع عشر وتوقف رصيد كولون عند 22 نقطة في المركز الثامن عشر الأخير.

وكان كولون عاد للبوندسليغا في موسم 2015/2014، وقضى أربعة مواسم في البوندسليغا قبل أن يهبط هذا الموسم.

وعلى ملعب "ألianز أرينا"، فاز بايرن ميونخ على ضيفه آينتراخت فرانكفورت 4–1، وسجل أهداف بايرن ميونخ نيكلاس دوريتش وساندرو فاغنر ورافينيا ونيكلاس سول في الدقائق 43 و76 و87 وفي الدقيقة الأخيرة من المباراة، فيما سجل هدف آينتراخت فرانكفورت سباستيان هيلير في الدقيقة 78.

ورفع بايرن ميونخ رصيده إلى 81 نقطة في صدارة الترتيب، وتوقف رصيد فرانكفورت عند 46 نقطة في المركز السابع. وكان بايرن ميونخ قد حسم لقب الدوري للمرة السادسة على التوالي بعد فوزه على أوغسبورغ 4–1 في الجولة التاسعة والعشرين من الدوري.

وجاءت بداية المباراة متوسطة المستوى، وفرض بايرن ميونخ سيطرته على مجريات اللعب منذ بدايتها وسط تراجع لفريق آينتراخت فرانكفورت للحفاظ على نظافة شباكه واعتمد في ذات الوقت على شن الهجمات المرتدة.

ورغم سيطرة بايرن ميونخ على مجريات اللعب ومحاولاته المستمرة لتسجيل هدف التقدم، إلاّ أنه فشل في ضرب دفاعات فرانكفورت لينحصر اللعب في وسط الملعب.

وظل اللعب منحصرا في وسط الملعب حتى جاءت الدقيقة 25 والتي شهدت أخطر فرص هذا الشوط عندما سدّد فرانك إيفانا كرة قوية، لكن كرته خرجت بعيدة عن المرمى.

وعاد اللعب لينحصر مرة أخرى في وسط الملعب حتى جاءت الدقيقة 40 والتي كادت أن تشهد الهدف الأول لفريق فرانكفورت عندما سدد ميات جاسينوفيتش كرة قوية، لكنها جاءت بعيدة عن المرمى بسنتيمترات قليلة.

وفي الدقيقة 43 سجل بايرن ميونخ هدف التقدم عندما لعبت كرة طولية وصلت إلى ساندرو فاغنر الذي انطلق بها من الجانب الأيمن، ومرّر كرة بينية إلى نيكلاس دورش الذي سدّد الكرة بنجاح إلى داخل المرمى.

ومع بداية الشوط الثاني، تخلى فريق آينتراخت فرانكفورت قليلا عن حذره الدفاعي بحثا عن تسجيل هدف التعادل وبادل بايرن ميونخ الهجمات، لكن كلاهما فشل في تشكيل أي خطورة على المرميين لينحصر اللعب في وسط الملعب.

وفي الدقيقة 75 سجل بايرن ميونخ الهدف الثاني عندما أخطأ فالايت سيمون في تمرير الكرة ليقطعها سبستيان رودي الذي انطلق بالكرة قبل أن يمرّرها إلى ساندرو فاغنر في الناحية اليسرى داخل منطقة جزاء فرانكفورت، ليسدّدها إلى داخل المرمى.

وفي الدقيقة 78 سجل فرانكفورت هدف تقليص الفارق عندما لعبت كرة عرضية من الجانب الأيمن لتصطدم بقدم سيباستيان هيلير وتدخل المرمى.وفي الدقيقة 87 سجل رافينيا الهدف الثالث لبايرن ميونخ عندما انطلق بالكرة حتى دخل منطقة جزاء آينتراخت فرانكفورت من الناحية اليمنى وسدّد كرة أرضية رائعة إلى داخل المرمى.

وفي الدقيقة الأخيرة من الوقت الأصلي للمباراة سجل البافاري الهدف الرابع عندما مرر رافينيا كرة بينية إلى نيكلاس سول الذي انفرد على إثرها بالحارس لوكاس هراديكي، ثم سدّدها إلى داخل المرمى ليطلق بعدها الحكم صافرة نهاية المباراة.

وعلى الملعب الأولمبي، عاد فريق هيرتا برلين من بعيد وقلب تأخره بهدفين نظيفين أمام ضيفه أوغسبورغ إلى تعادل 2–2.

وسجل هدفي أوغسبورغ مياكيل غريغوريتش وسيرجيو كوردوفا في الدقيقتين 32 و61، ثم تعادل هيرتا برلين بهدفين سجلهما فيداد إيبيسيفتش الدقيقة 84 من ركلة جزاء ودافي سليك في الدقيقة 87.

ورفع أوغسبورغ رصيده إلى 41 نقطة في المركز الحادي عشر، كما رفع هيرتا برلين رصيده إلى 43 نقطة في المركز التاسع.

وعلى ملعب فولكسفاغن أرينا، جدّد هامبورغ آماله في البقاء بالبوندسليغا بتغلبه على فولفسبورغ 3–1، وسجل أهداف هامبورغ بوبي شوو وود في الدقيقة 43 من ركلة جزاء ولويس هولتبي في الدقيقة الأولى من الوقت بدل الضائع للشوط الأول ولوكا فالد شميدت في الدقيقة الثالثة من الوقت بدل الضائع للمباراة، فيما سجل هدف فولفسبورغ جوسيب بريكالو في الدقيقة 78.

ورفع هامبورغ رصيده إلى 28 نقطة في المركز السابع عشر قبل الأخير، بفارق نقطتين خلف فولفسبورغ صاحب المركز الخامس عشر.

وعلى ملعب فيلتينس أرينا، خيم التعادل 1–1 على المباراة التي جمعت شالكه بضيفه بوروسيا مونشنغلادباخ.

وتقدّم بوروسيا مونشنغلادباخ بهدف سجله رافاييل في الدقيقة 32 وتعادل شالكه بهدف سجله دانيل كاليغوري في الدقيقة الأخيرة من الشوط الأول من ركلة جزاء، واضطر فريق شالكه لاستكمال المباراة بعشرة لاعبين منذ الدقيقة 12 بعد طرد نبيل بن طالب. ورفع شالكه رصيده إلى 57 نقطة في المركز الثاني كما رفع غلادباخ رصيده إلى 44 نقطة في المركز الثامن.

وبهدف في الدقيقة 90 فاز فورتونا دوسلدورف 2–1 على مضيفه دينامو دريسدن السبت ليضمن الفريق الفائز أحد المركزين الأولين في دوري الدرجة الثانية، ومن ثم الصعود لدوري الدرجة الأولى الألماني لكرة القدم بعد غياب عن بطولة الكبار استمر أربعة أعوام.

وأحرز روفين هنينغز هدف الفوز للضيوف ليرفع رصيد فريقه إلى 59 نقطة بفارق عشر نقاط عن فريق المركز الثالث هولشتاين كيل الذي لا يزال أمامه ثلاث مباريات حتى نهاية الموسم.

وبهذا الصعود عزّز فريدهيلم فونكل مدرب فورتونا رقمه القياسي في عدد مرات الصعود إلى دوري الأضواء الألماني إلى ست مرات، ويحتل نورمبرغ المركز الثاني برصيد 54 نقطة وسيستضيف إينتراخت براونشفيغ الاثنين.

ويصعد أول فريقين في الدرجة الثانية مباشرة لدوري الدرجة الأولى، في حين يخوض فريق المركز الثالث جولة فاصلة على الصعود مع فريق المركز 16 في الدوري الأول.

غلطة الشاطر بألف

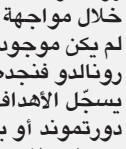

مراد البرهومي
كاتب صحافي تونسي

❑ سبق وأن تحدّثنا في ما مضى عن النجم الموهوب والهدّاف الماهر لنادي بايرن ميونيخ روبيرت ليفاندوفكسي. ذكرنا أن هذا الهدّاف الأول في الدوري الألماني طيلة المواسم الأخيرة ليس بمقدوره أن يكون في مقام أساطير الكرة الذين سيخلّدهم التاريخ، فالأمر ببساطة يتعلق أساسا بـ"الكاريزما" من ناحية وقوة التأثير والتغيير من ناحية ثانية.

اليوم جاء التأكيد من قبل عدد كبير من المتابعين والأطراف المؤثرة في محيط النادي البافاري. جاء التأكيد مباشرة بعد مباراة ذهاب نصف نهائي دوري الأبطال ضد ريال مدريد، حيث تم توجيه اللوم والنقد اللاذع لهذا المهاجم البولندي بما أنه تخلّف مرة أخرى عن الموعد مع التألّق وكان نجما من "ورق" في مواجهة الكتيبة المدريدية.

مباشرة إثر تلك المباراة تحدّثت عدة أطراف عن مردود هذا اللاعب في المباريات والمواعيد الكبرى، فأطنب الجميع في التأكيد على أن "ليفا" ليس بمقدوره أن يكون بمثل سحر ميسي أو تأثير رونالدو أو تألّق النجم المصري محمد صلاح.

بالأمس القريب لم يفوّت النجم الألماني السابق لبايرن ميونيخ ديتمار هامان الفرصة دون أن يبرز نقائص هدّاف البايرن وعيوبه، لقد عقد مقارنة بين هذا اللاعب ومهاجم ريال مدريد كريستيانو رونالدو، فقال "أين كان ليفاندوفسكي خلال مواجهة ريال مدريد؟ أعتقد أنه لم يكن موجودا، لكن إذا نظرتم إلى رونالدو فنجده نموذجا للمهاجمين، إنه يسجّل الأهداف أمام الجميع، ليس أمام دورتموند أو بايرن ليفركوزن فقط".

كان كلام هامان واضحا ودقيقا، لقد أشار إلى مكامن الضعف لدى الهدّاف البولندي، حيث أنه ليس بمكانة الهدّافين العباقرة القادرين بجرّة قدم إحداث الفارق والتغلّب على الجميع. فليفاندوفسكي هدّاف قوي، لكن ضدّ الأندية الضعيفة فقط، أما في المواعيد الكبرى، فإنه يفقد كل تلك الهيبة التي تميّز نجوم الصف الأول في العالم.

ومع ذلك، فالأكثر أهمية من تصريحات هامان في سياق الحديث عن قائد المنتخب البولندي، هو ما جاء على أعمدة صحيفة "بيلد" الألمانية التي أفردت حيّزا كبيرا للحديث عن إنجازات هذا المهاجم في المواعيد الهامة، وتحديدا في الأدوار المتقدّمة من مسابقة دوري الأبطال والمحصّلة كانت متواضعة.

إذ أوضحت الصحيفة أن معدّلات ليفاندوفسكي لا تقارن بالمرة مع ما يقدّمه رونالدو مثلا في دوري الأبطال، فهدّاف البايرن سجّل هذا الموسم خمسة أهداف في عشر مباريات ضمن هذه المسابقة في حين سجل رونالدو 13 هدفا، وزيادة على ذلك فإن "ليفا" لم يقدر على الوصول إلى المرمى في المباريات الأربع الأخيرة أي في مباريات الأدوار الإقصائية، الأمر الذي يؤكّد أن الإضافة المنتظرة من لاعب مؤثر وهدّاف في الدوري المحلي تظل محدودة وغير مجدية قياسا بما يقدّمه بقية النجوم البارزين في الأندية الأوروبية الكبيرة.

الثابت حاليا أن ليفاندوفسكي برهن مجدّدا على فشله في ارتقاء سلّم المجد الذهبي، لن يكون يوما مثل أساطير الكرة الذين خلّدوا أسماءهم في التاريخ، لقد فشل بالفعل حتى وإن تمكّن من التسجيل خلال موعد الإياب في مدريد، فإن ذلك لن يحيله إلى لاعب عبقري واستثنائي.

إن التفرّد في كرة القدم يعني صياغة المستحيل إلى واقع ملموس. لقد نجح في ذلك لاعبون كثر على غرار بيليه ومارادونا وزيدان فرونالدو البرازيلي وصولا إلى ميسي ورونالدو البرتغالي وأيضا الفرعون المصري صلاح.

لكن "ليفا" فشل، وأكّد مرة أخرى فشله في التفاصيل الحاسمة والمواعيد الدقيقة، ليس المهم أن تكون هدّافا شاطرا ضد الفرق المتوسطة، لكن قيمة "الشطارة" تكمن في تطويعها عند الشدائد والمحن.

وما عجز عن فعله ليفاندوفسكي في دوري الأبطال خلال السنوات التي لعبها مع بايرن تثبت فعلا مقولة "غلطة الشاطر بألف"، فكل الإنجازات والأرقام التي حقّقها هذا اللاعب على المستوى المحلي قد لا يكون لها أي وزن أمام هدف حاسم في موعد قوي ضمن المسابقة الأوروبية.

أنظروا اليوم إلى رونالدو، فهذا اللاعب كفر عن كل عيوبه في المسابقة المحلية بعد إنجازات مذهلة ضمن المسابقة الأوروبية. رونالدو تخلّف عن ركب ثنائي برشلونة ميسي وسواريز في الدوري المحلي وعوّض ذلك بأهداف رائعة ضد باريس سان جرمان واليوفي، والأهم من روعة هذه الأهداف أنها كانت مؤثرة للغاية فقرّبت الفريق الملكي من الوصول إلى اللقب الأوروبي الثالث على التوالي.

أما ليفاندوفسكي فإنه أصرّ على المضي قدما بجانب الحدث، كان لاعبا تائها في مواجهة الريال لم يقدر على التخلص من دور نجم "الصف الثاني"، وبدا كأنه يصرّ على التعاقد مع "الفشل".

قديما قال أحد الحكماء "إيّاك أن تعزّز الفشل بالفشل"، وقال آخر "الفشل.. ربما يكون أحيانا صديقي وصديقك وصديق الجميع يا صديق.. لكن المهم ألا يكون صديقك الوحيد"، بيد أن نجم البايرن لم يدرك كنه الفشل، لم يفهم قيمته ومعناه، لقد أخطأ المرمى عندما توهّم أن تألقه في حصد الألقاب المحلية هو قمة النجاح.

ومن حيث لا يدري عزّز فشله في السنوات الماضية بفشل جديد، لقد بدا لنا وكأنه ارتبط بصديق وحيد في المسابقة الأوروبية، فلم يسلم هذه المرة من النقد بعد أن يئس الجماعة من كونه "الشاطر" الذي لا يخطئ.

نيمار في طريقه إلى المونديال الروسي

❑ **ريو دي جانيرو (البرازيل)** – أكد طبيب المنتخب البرازيلي رودريغو لاسمر، أن نجم باريس سان جرمان الفرنسي نيمار يبذل جهدا كبيرا للتعافي من الإصابة التي تعرض لها في فبراير الماضي، وسيعود في الوقت المناسب للمشاركة مع بلاده في مونديال روسيا الصيف المقبل.

وقال لاسمر لموقع "غلوبو إيسبورتي" البرازيلي "نيمار يتعافى بأفضل طريقة ممكنة، إنه يعمل بجهد كبير وتوقعاتنا هي أنه سيصل جاهزا بأفضل طريقة لكي يتمكن من المشاركة بشكل ممتاز في التمارين الخاصة بكأس العالم".

وكان النجم السابق لنادي برشلونة الإسباني، قد أعلن الأسبوع الماضي أنه سيخضع لفحص جديد في 17 مايو القادم، لتقييم إعادة تأهيله بعد العملية الجراحية التي خضع لها في الثالث من مارس، لمعالجة كسر في مشط القدم اليمنى تعرض له خلال مباراة فريقه الحالي باريس سان جرمان ضد مرسيليا أواخر فبراير.

والأهم بالنسبة إلى نيمار وملايين البرازيليين، سيكون قدرته على خوض غمار نهائيات كأس العالم 2018 في روسيا بين 14 يونيو و15 يوليو، والمساهمة في قيادة "سيليساو" إلى لقب عالمي سادس.

ويخوض المنتخب البرازيلي معسكرا تدريبيا بين 21 و27 مايو في تيريسوبوليس بريو دي جانيرو، لكن لاسمر اعترف بأن ابتعاد نيمار عن الملاعب منذ فبراير الماضي يعني أنه يحتاج في البداية إلى برنامج لياقة مخصص في الفترة التي تسبق نهائيات كأس العالم.

وكشفت تقارير فرنسية الأسبوع الماضي أن أغلى لاعب في العالم سيعود إلى العاصمة الفرنسية، حيث مقر ناديه باريس سان جرمان، في مايو القادم.

وأوردت صحيفة "ليكيب" أن عودة اللاعب الدولي البرازيلي متوقعة في "منتصف مايو على أبعد تقدير"، للمشاركة في احتفالات ناديه الفرنسي بإحراز لقب الدوري المحلي للمرة الخامسة في المواسم الستة الأخيرة.

وأتت هذه التقارير بعد ساعات من نشر نيمار عبر حسابه على موقع "إنستغرام"، شريطا مصوّرا قصيرا يظهر خلاله وهو يمشي من دون استخدام عكازين يعتمد عليهما منذ إجراء العملية الجراحية.

يتعافى بالشكل المطلوب

25 ألف شخص عبر الإنترنت يتشاركون ملكية لوحة لبيكاسو

غامر موقع سويسري للتبضع عبر الإنترنت في خطوة لفتح أبوابه لجمهور من نوع آخر، بشراء النسخة الأصلية من لوحة للرسام الإسباني بيكاسو وعرضها على منصته للبيع وتحت شعار "الفرد للجميع والجميع للفرد"، اشترى 25 ألف شخص اللوحة على أن تعرض في المتاحف بدءا بمتحف مدينة جنيف.

لوحة الرسام الإسباني تبحث عن جمهور أوسع

❏ **جنيف (سويسرا)** – اشترى 25 ألفا من رواد الإنترنت عبر منصة سويسرية لوحة للرسام الإسباني بابلو رويز بيكاسو لن يتمكنوا من تعليقها في منازلهم إلا أنه في وسعهم تأملها للمرة الأولى مع عرضها في مدينة جنيف (جنوب غرب سويسرا).

زبائن موقع "كوكا" السويسري للتبضع على الإنترنت غالبا ما يشترون مجموعة من الحقائب أو آلة أو تذكرة سفر إلى مراكش بأسعار مخفضة.

لكن في يناير الماضي، عرضت عليهم هذه المنصة التي أطلقت سنة 2005 تحت شعار "نفعل أي شيء إكراما لكم" اقتناء لوحة "تمثال نصفي لفارس" لبابلو بيكاسو (1968) بمقابل مليوني فرنك سويسري.

واشترى 25 ألف شخص، خلال ثلاثة أيام، الحصص المعروضة للبيع بقيمة 50 فرنكا والمقدر عددها بأربعين ألفا وباتوا يملكون كلهم هذه اللوحة البالغ حجمها 58 سنتمترا طولا و5.28 عرضا.

وأرادت كوكا وضع مجال الفنون الذي يعتبر عادة "مغلقا وضبابيا" في متناول الجميع، بحسب باسكال مينير (37 عاما) مدير الشركة ومؤسسها.

وقال مينير من مقر الشركة في ضاحية لوزان حيث ينشط موظفون شباب يحظر عليهم وضع ربطة عنق "عندما أطلقنا الفكرة، قيل لنا أن ننسى الأمر لأنه ضرب من ضروب الخيال. وعندما تكلمنا عن بيكاسو، أكدوا لنا أن الأمر مستحيل". وأضاف "فقررنا أن نخوض هذا التحدي الهائل في مسعى إلى أن نفتح قليلا هذا المجال المغلق في وجه عامة الشعب".

وقد لجأت المجموعة إلى خبراء للتحقق من "صحة نسب اللوحة" وأيضا لضمان عرض "السعر الملائم لعمل فني كهذا"، بحسب ما أوضح مينير الذي لم يكشف عن السعر الذي دفعته كوكا لشراء هذه التحفة من "صاحبها الأوروبي".

وتماشيا مع جوهر شعار الفرسان "الفرد للجميع والجميع للفرد"، بات يتعين على هذه الكوكبة الواسعة من المالكين تقرير مصير التحفة والبت في مسائل عدة مثل موقع عرضها.

وكان متحف الفنون الحديثة والمعاصرة في جنيف (مامكو) أول مؤسسة تستضيف هذا العمل اعتبارا من الجمعة، بعدما لقيت هذه المبادرة استحسان مديرها ليونيل بوفييه.

وبالنسبة إلى مؤسسة معروفة بطابعها النخبوي، يشكل التعاون في هذا المشروع التشاركي خطوة لفتح أبوابها لجمهور من نوع آخر.

وأفاد بوفييه أن "أكبر مكسب قد نحققه هو الانفتاح على جمهور أوسع"، على أمل "استقبال أكبر عدد ممكن من مشتري هذه اللوحة البالغ عددهم 25 ألفا". وقال "قمنا بمسح اللوحة مسحا ضوئيا بالأبعاد الثلاثة وبات يتسنى للمتفرّج الغوص في تفاصيلها". ويتسنى لكل شخص من هؤلاء مزوّد ببطاقة مرقمة مع صورة للوحة، زيارة المتحف لتأمل هذا العمل الفني بالمجان.

وينظم المتحف أيضا "لقاءات" و"أنشطة" و"مؤتمرات حول اللوحة وبيكاسو، فضلا عن أعمال الحفاظ على تحف من هذا القبيل"، بحسب ما يقول مديره. ومن المرتقب أن يبقى هذا العمل الفني في جنيف حتى أكتوبر المقبل، على أن يصوت أصحابه لاحقا على وجهته المقبلة.

اكتشاف منطقة ميتة كبيرة تخنق خليج عمان

❏ **مسقط** – اكتشف باحثون "منطقة ميتة" في خليج عمان "أكبر من أسكتلندا"، حيث يؤدي انخفاض مستوى الأكسجين إلى انعدام الحياة البحرية، وهي "كارثة" أسوأ بكثير مما كان متوقعا.

ويعدّ بحر العرب الذي يضمّ خليج عمان أكبر منطقة ميتة في العالم، لكن "لم يكن أحد يعلم مدى سوء الوضع بسبب أعمال القرصنة والنزاعات في المنطقة التي كانت تحول دون جمع البيانات"، وفق باستيان كويست أحد القيمين على هذه الدراسة.

وأوضح الباحث في جامعة إيست أنغليا البريطانية "بينت أبحاثنا أن الوضع أسوأ مما كان متوقعا، وأن المنطقة الميتة تتوسّع. وبات المحيط يختنق".

المنطقة الميتة أو قليلة الأكسجين هي منطقة في المحيط تكون فيها نسبة الأكسجين منخفضة، فتختنق الثروة النباتية والحيوانية المائية التي يعوّل عليها الإنسان. وهي تنمو بشكل طبيعي في بعض المواقع على عمق يتراوح بين 200 و800 متر، غير أن احترار المحيطات يفاقم هذه الظاهرة، إذ أن المياه الأكثر دفئا تحتوي على نسبة أقل من الأكسجين.

وبغية تقييم الوضع في خليج عمان، أرسل فريق من العلماء من جامعة إيست أنغليا وجامعة السلطان قابوس في عمان، روبوتات بحجم البشر إلى أعماق البحر لمدة ستة أشهر يمكنها أن تغطي الآلاف من الكيلومترات وتغوص إلى عمق ألف متر.

وجاء في بيان جامعة إيست أنغليا "عُثر على منطقة أكبر من أسكتلندا حيث انعدم الأكسجين تقريبا".

راكبة تقاضي شركة طيران بسبب انفجار محرك طائرة

❏ **واشنطن** – رفعت راكبة كانت على متن طائرة تابعة لشركة طيران ساوث ويست ايرلاينز انفجر أحد محركاتها الأسبوع الماضي، دعوى قضائية ضد الشركة، بحسب وسائل إعلام محلية.

وذكرت صحيفة "دالاس مورنينغ نيوز" أن الدعوى القضائية الاتحادية ضد شركتي "ساوث ويست" و"سي.أف.أم إنترناشيونال" لصناعة المحركات تزعم حدوث إهمال من جانب الشركتين.

وتحطمت شفرة مروحة المحرك الأيسر للطائرة يوم 17 أبريل خلال رحلة لطيران "ساوث ويست" رقم 1380 من نيويورك إلى دالاس، مما أسفر عن مقتل راكبة (43 عاما).

وقال التقرير إن ليليا تشافيز التي رفعت الدعوى، وهي أول دعوى يجري الإبلاغ عنها نتيجة للحادث، كانت واحدة من بين 144 راكبا على متن الطائرة.

وفي أعقاب الحادث، تعاني تشافيز من اضطراب ما بعد الصدمة والقلق فضلا عن اضطرابات عاطفية وعقلية، وفقا للدعوى.

شهد الحفل الذي أحيته الفنانة اللبنانية نانسي عجرم بدبي، حضور زوجها وابنتيها، الأمر الذي أثار اهتمام الجمهور خاصة أن حضور أسرة نانسي للحفل جاء على غير المعتاد في حفلاتها. وجلس الطبيب فادي الهاشم زوج نانسي عجرم، وابنتاها إيلا وميلا، في الصف الأول ضمن الحضور، حيث تفاعلت الأسرة مع أداء عجرم بشكل كبير

❏ طفل يبكي في أحضان أحد مصارعي السومو الهواة، السبت، خلال مشاركته في مسابقة أقيمت في معبد سينسوجي في العاصمة اليابانية، تشترط أن يحمل كل واحد من المصارعين طفلا بينما يقوم الحكم بإحداث ضوضاء تدفع الطفل إلى البكاء، على أن يفوز الأعلى صوتا عند البكاء. ويعتقد أن هذه الطقوس تساعد على النمو الصحي للأطفال ودرء الأرواح الشريرة عنهم. وقال المنظمون إن 160 طفلا شاركوا هذا العام.

لبنان: حفظ آية قرآنية بدل السجن

❏ **بيروت** – ألزم قاض لبناني، موقوفا بحفظ آية من القرآن الكريم من "سورة مريم"، في حكم هو الثاني من نوعه بحق موقوفين على خلفية الإساءة للأديان.

وأوضح بيان نشرته وكالة الأنباء الرسمية، السبت، أن قاضي التحقيق في منطقة جبل لبنان (وسط)، نديم الناشف، أصدر أمس، قرارا مشروطا بإخلاء سبيل الموقوف "ع.غ"، مقابل حفظ آية من القرآن الكريم من سورة "مريم".

وأضاف البيان، أن القاضي أمهل الموقوف إلى الاثنين، للمثول أمامه مجددا، للتحقق من حفظه الآية.

ولفتت الوكالة إلى أن إشكالا وقع بين شبان في منطقة "الرميلة"، بجبل لبنان، أقدم خلاله "ع.غ" على الإساءة للأديان، وهو ما اعتبر جرما بإثارة النعرات الطائفية.

وفي سابقة مماثلة، في فبراير الماضي، أمرت قاضية تحقيق ثلاثة شبان متهمين بإهانة السيدة مريم العذراء بحفظ قسم من سورة آل عمران، كشرط لإطلاق سراحهم، وهو ما أثار ردود فعل إيجابية واسعة داخل البلاد وخارجها.

وفي تفاصيل هذه القضية رفضت قاضي التحقيق في شمال لبنان جوسلين متى (مسيحية) اعتماد المسار «التقليدي» مع 3 شبان مسلمين (أعمارهم بين 16 و18 عاماً) مدعى عليهم لإقدامهم على الإساءة لتمثال السيدة العذراء وتحطيمه في كنيسة.

صباح العرب

عدلي صادق

حفنة من تراب

❏ تدهشنا سيرة الرجل الذي كان أول من تقلد أمر القضاء في فلسطين بعد ظهور الإسلام. إنه عبادة بن الصامت، الذي عاش في قلب القدس، ومات ودُفن في الرملة. قال عنه الفاروق عمر، إنه بألف رجل!

كان لعبادة، من بين مآثره الكثيرة، موقف صارم من نفاق الخطباء للولاة في صدر الإسلام.

وأصل النفاق في لغة العرب، يتعلق بفتحتي نفق الجرذ أو سواه، فإذا انكشف من واحدة أفلت من الأخرى. والفتحتان، مجازاً، تعادلان الوجهين واللغتين والرأيين، في سياقات الرياء.

وحدثت في رفقته لمعاوية إلى بلاد الشام، مشادات بين الرجلين. وقف الأول يرقب سلوك الثاني، فرآه باذخا بعيدا عن الزهد، فغضب لأنه يرى أن من يُسرف على نفسه، يفارق روح الرسالة، ومن يُقرّب المداحين منه، يخادع الناس، ويقدم المنافقين ويبُعد الناصحين. قال لابن العاص: "والله لا أسكنك بأرض". ولما عاد إلى الخليفة عمر في يثرب، سأله "ما الذي أقدمك" فروى له كل ما أنكره على معاوية، وأجابه عمر قائلاً: "ارحل إلى مكانك، فقبّح الله أرضًا لست فيها وأمثالك، فلا إمرة له عليك"!

في العبارة الأخيرة، كان النطق باستقلالية القضاء وسلطته، وبوجاهة الاعتراض، والتسليم باختلاف طبائع الناس وسلوكها، وبأن الجريمة والمروق متوقعان في كل زمن، لذا وُجد القضاء الذي لا يسمو بغير القاضي النزيه. وبدوره كتب معاوية إلى من يرجو عونه، وهو عثمان: "إن عُبادة بن الصامت قد أفسد عليّ الشام وأهله، فإما أن تَكُفّه إليك، وإما أن أُخلي بينه و بين الشام".

كان ذلك لأن الرجل ظل على دأبه، إذ كان يوماً في صحبة معاوية، الذي أذن لرجل أن يخطب ويمتدحه، فقام عبادة وفي يده حفنة تراب، حشاها في فم الخطيب، فغضب معاوية. رد عبادة: "إنك لم تكن معنا حين بايعنا رسول الله بالعقبة على السمع والطاعة، في منشَطنا ومكرهنا ومكسلنا، وأثره علينا، وأن لا نُنازع الأمر أهله، وأن نقوم بالحق حيث كنا، لا نخاف في الله لومة لائم، وقال رسول الله، إذا رأيتم المداحين، فاحشوا في أفواههم التراب"!

الخطباء المنافقون، منذورون للضلال. فكم ألف طن من تراب، في أوطاننا، تكفي لحشو أفواههم. وليس أرجح عقلا من بين ولاة الأمور، من يكتفي من الخطيب بالدعاء له بالهداية وأن يُرزق بالبطانة الصالحة، وذلك دعاء مستنير، يُقِرُ ضمناً بأن هناك مشكلة في البطانة، وإن لم يلمّح إلى أن هناك مشكلة في ولي الأمر نفسه!